تفسير

المحيط الأعظم والبحر الخضم

في تأويل كتاب الله العزيز المحكم

لمؤلفه العارف الكامل والولي الواصل مولانا

السيد حيدر الآملي

[illegible] والمتوفى في القرن الثامن

المجلد الرابع

حققه وقدم له وعلق عليه

السيد محسن الموسوي التبريزي

القاعدة الثانية

في بيان الفروع الخمسة الّتي هي الصّلاة والصوم والزّكاة والحجّ والجهاد في المراتب الثلاث أيضاً الّتي هي الشّريعة والطّريقة والحقيقة، وعلّة حصرها فيها، وعلّة تقديم كلّ واحدة منها على الأخرىٰ عقلاً ونقلاً.

(تقسيم الفروع الخمسة على الشريعة والطّريقة والحقيقة)

إعلم وفّقك الله تعالىٰ لتحصيل مرضاته، أنّ هذه القاعدة مشتملة على تقسيم الفروع الخمسة المذكورة في المراتب الثّلاث المعلومة الّتي هي الشّريعة والطّريقة والحقيقة.

فأوّل الفروع وأعظمها وأقدمها الصّلاة، فالشروع فيها أولىٰ من غيرها،

لكن بعد الشروع في مقدّماتها، ثم في حكمة أوضاعها على الوضع المخصوص، ثم في الطّهارات الثلاث على التّرتيب المعلوم.

ثم في علّة ترجيحها وتقديمها على غيرها من العبادات الخمسة.

ثمّ في بيان حصر الفروع في الأعداد المذكورة، ومايتعلّق بها من الأسرار.

وأمّا المقدّمات

إعلم أنّ الصّلاة لها مقدّمات لابدّ من ذكرها، لأنّ بدونها مايحصل المقصود منها، فإنّ الصّلاة كما لا يتمّ إلاّ بها فبحثها أيضاً لا يتمّ إلاّ بها.

(أسرار الطّهارة والصلاة)

فمنها الطّهارة، المشتملة على الوضوء والغسل والتيمّم، وتقريرها على قاعدة الطّوائف الثّلاث موقوف على مقدّمات كثيرة من العقليّة والنقليّة بحيث يكون مطابقاً لأصول أرباب الكشف وقواعدهم، وتلك المقدّمات بعضها يكون خاصّة من السّوانح الإلهيّة، وبعضها منقولة من النّبيّ ﷺ وأصحابه.

ومن جملتها فصلاً جامعاً لجميع هذه الفروع على طريق التأويل المنقول من الإمام جعفر بن محمّد بن الصّادق ؑ لبعض السّامعين وهو قوله:

«**الماء الطّاهر**: ماء الرّياضة من بحر القدس يغسل العبد سرّه حتىٰ

يصفوا، **والنيّة**: إخراج سرّه من معاملات البشريّة، **والوضوء**: على الولاء جولانه في الملكوت، **وستر العورة**: ستر سرّه بغطاء التوفيق (التوضّوء)، **وثوب طاهر**: قلب صابر تقيّ منّور لا يسع فيه غير حبيبه، **وطلب الوقت**: طلب الحقّ بالحقّ، **ومكان**: تلمسّه طهارة سرّه لرؤيته ومشاهدته، **وإستقبال القبلة**: إستقبال قلبه إلى الكعبة الحقيقيّة وطلب حقه من الحقّ، **والقيام بالصّلاة**: القيام على بساط الحقّ، **وتكبيرة الإحرام**: زهده عن الدنيا ومافيها.

والمصلّي: إذا كبّر ودخل في صلاته حرم الكلام والطعام والشّراب عليه، **كذلك العارف**: إذا دخل في خدمة ربّه حينئذ حرم عليه كلّ شيء دونه، **وقراءة فاتحة الكتاب**: ذكر حبيبه وثناء خالقه وتمجيد ماجده، **والرّكوع**: أن يتواضع له دون خلقه، **والسّجود**: أن لا يطمع إلاّ فيه ولا يخاف إلاّ منه ولا يلجأ إلا إليه، **والإعتدال بينهما**: تعتدل من الخوف والرّجاء، **والتّشهد**: جلوسه على بساط القرب في مقام صدق عند مليك مقتدر، **وقراءة التشهّد**: قراءة كتابه بالتمييز والفهم والتوفيق بين آلآئه ونعمائه، **والصّلوة على النبيّ ﷺ**: تعظيم حرمة رسوله لتعظيم حرمته، **والسّلام**: يكون سالما من الدّنيا سالما من عباده خائفا من نفسه».

فإنه يقول ﷺ:

«أعدىٰ عدوّك نفسك الّتي بين جنبيك»[1]

---

(١) قوله: أعدىٰ عدوّك.

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي عن النبيّ ﷺ ج ٤ ص ١١٨ الحديث ١٨٧.

كما قال الله تعالىٰ:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٢٦].

(تكليف الإنسان من حيث الباطن)

والمراد من إيراد هذا النقل غير ماذكرناه أن يتحقق عندك وعند غيرك: أنّ الإنسان ليس مكلّفا من حيث الظاهر فقط بل هو مكلّف من حيث الظاهر والباطن لأنّ نعمة الله تعالىٰ شاملة لظاهره وباطنه لقوله جلّ ذكره:

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

فيجب عليه الشكر المسمّىٰ بالتكليف ظاهراً وباطناً، والقيام بطاعته وعبوديّته كذلك ليكون شكره جامعا كاملاً من جميع الوجوه كما قيل:(٢)

ورواه المجلسي في البحار ج ٧٠ ص ٦٤ الحديث ١ عن عدّة الداعي عن النبيّ ﷺ. وأخرجه أيضاً الغزالي في إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٤ قال العراقي في ذيله: أخرجه البيهقي في كتاب الزهد من حديث أبن عباس.

(٢) قوله الشكر قيام كل عضو.

قال الله سبحانه وتعالىٰ:

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

وقال تعالىٰ أيضاً:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون:٧٨].

«الشكر قيام كلّ عضو من أعضاء الإنسان وقواه لأجل ماخلق له»
وإلى التكليف المخصوص بالباطن أشار الحقّ تعالىٰ في قوله:
﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

➲ روى الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ باب الشكر الحديث ١٠ ص ٩٥ بإسناده عن الصادق ﷺ قال:
«شكر النعمة إجتناب المحارم وتمام الشكر قول الرجل: الحمد لله ربّ العالمين».
وروى أيضاً في نفس المصدر الحديث ١٢، بإسناده عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبدالله ﷺ: هل للشكر حدّ إذا فعله العبد كان شاكراً؟ قال: نعم، قلت: ماهو؟ قال: «يحمد الله على كلّ نعمة عليه في أهل ومال، وإن كان فيما أنعم عليه في ماله حقّ أدّاه». الحديث.
أقول: إذا كان أداء الحقّ الموجود في المال شكراً، فالعمل بالتكليف وبالّذي خُلق كلّ عضو لأجله شكر بطريق أولىٰ.
هذا إن قرأنا الحديث «مالِه» وأمّا إن قرأناه «مالَه» فيعمّ الكل من المال والجوارح وايّ نعمة غيرهما، فلا نحتاج الى الفحوى.
قال العلاّمة الطباطبائي في الميزان ج ٤ ص ٣٨ في تفسير قوله تعالىٰ:
﴿وسيجزي الشاكرين﴾ [آل عمران: ١٤٤].
وحقيقة الشكر إظهار النعمة كما أنّ الكفر الّذي يقابله إخفائها والستر عليها، وإظهار النعمة هو إستعمالها في محلّها الّذي أراده منعمها، وذكر المنعم بها لساناً وهو الثناء وقلباً من غير نسيان، فشكره تعالىٰ على نعمة من نعمه أن يذكر عند استعمالها، ويوضع النعمة في الموضع الّذي أراده منها ولا يتعدّىٰ ذلك، وإن من شيء إلاّ وهو نعمة من نعمه تعالىٰ، ولا يريد بنعمة من نعمه إلاّ أن تستعمل في سبيل عبادته، قال تعالىٰ:
﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].
فشكره على نعمته أن يطاع فيها ويذكر مقام ربوبيّته عندها.

وذلك الإيمان بالله، والتصديق بوجوده بالقلب، والإعتقاد بأنّه عادل في فعله لا يفعل القبيح ولا يخلّ بالواجب، والتصديق بالنبوّة وكلّ ماجاء به، والتصديق بالإمامة وكلّ مايأمر به، وبالجملة كلّ ما تقرّر في الأصول الخمسة المذكورة، فالعامل حينئذ يجب عليه السّعي في القيام بتكليف الباطن بعد القيام بتكليف الظاهر، لأنّ الظّاهر تابع للباطن كما قيل:

«الظّاهر عنوان الباطن»[٣]، وقيل:

«من خبث باطنه خبث ظاهره ومن طاب باطنه طاب ظاهره». الخبر بتمامه.

وإلى هذا المعنىٰ أشار بعض العارفين في بعض كتبهم وهو قولهم:

«إنّ الله خاطب الإنسان بجملته وماخصّ ظاهره من باطنه ولا باطنه من ظاهره، فتوفّرت دواعي النّاس، أكثرهم إلى معرفة أحكام الشرع في

---

(٣) قوله: الظاهر عنوان الباطن.

روى الصدوق في «الخصال» في حديث أربعمائة، ج ٢ ص ٦٢٨ بإسناده، عن محمد بن مسلم، عن الصادقؑ عن آبائهؑ عن أمير المؤمنينؑ قال:

«من خشع قلبه لله عزّ وجلّ خشعت جوارحه»

عنه البحار ج ١٠ ص ١٠٦.

وقال الطبرسي في تفسير مجمع البيان في الآية: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ [المؤمنون: ٢].

روي أنّ رسول اللهﷺ رأىٰ رجلاً يعبث بلحيته في صلاته، فقال:

«أما إنّه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه».

وروي في «مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة» الباب العاشر، عن الصادقؑ قال:

«وطهّر قلبك بالتقوىٰ واليقين، عند طهارة جوارحك بالماء».

ظواهرهم، وغفلوا عن الأحكام الشّرعيّة في بواطنهم إلاّ القليل، ومنهم أهل طريق الله فانّهم بحثوا في ذلك ظاهراً وباطناً فما من حكم قرّروه شرعاً في ظواهرهم إلاّ ورأوا أن ذلك الحكم له نسبة إلى بواطنهم أخذوا على ذلك جميع أحكام الشرايع، فعبدوا الله بما شرّع لهم ظاهراً وباطناً ففازوا حين خسر الأكثرون:

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصّلت: ٣٥].

وإذا تقرّر هذا، فلنشرع في المقدّمات المذكورة ونبدأ ببحث الطّهارة بحسب الظّاهر والباطن على طريق الطوائف الثلاث كما قرّرناه، ثمّ بما بعدها من الأبحاث.

أمّا الطّهارة مطلقاً

فالطّهارة في اللّغة النّظافة، وفي الشّرع إسم للوضوء أو الغسل أو التيمّم على وجه له تأثير في استباحة الصّلاة، وإليها أشار الحقّ تعالىٰ في كتابه العزيز بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

أمّا وضوء أهل الشّريعة

فذلك معلوم مشهور عند الخاصّ والعام، وأفعاله على ثلاثة أضرب: واجب، ومندوب، وأدب.

وهذا المكان غير محتاج إلى ذكر القسمين الأخيرين اللّذين هما المندوب والأدب.

وأمّا القسم الأوّل الّذي هو الواجب فذلك على قسمين: أفعال، وكيفيّات.

أمّا الأفعال، فواجباته خمسة: النيّة، وغسل الوجه، وغسل اليدين، ومسح الرأس، ومسح الرّجلين.

وأمّا الكيفيّات. فواجباته عشرة[٤]: مقارنة النيّة لحال الوضوء

---

(٤) فواجباته عشرة.

أقول: بل سبعة. كما في «القواعد» و «التذكرة» للعلاّمة الحلّي وكما في «إيضاح الفوائد في شرح القواعد» لفخر المحققين ولد العلاّمة وأستاذ السيد المؤلف.

واستمرار حكمها إلى الفراغ، وغَسل الوجه من قصاص شعر الرأس إلى محادر[٥] شعر الذّقن طولاً ومادارت عليه الإبهام والوسطى عرضاً، وغسل اليدين، من المرفق إلى أطراف الأصابع وألا يستقبل الشعر في غسلهما[٦]، والمسح بمقدّم الرأس مقدار مايقع عليه إسم المسح، ومسح

وذكر السيد المؤلّف أيضاً في تفصيل واجبات الوضوء سبعة أعمال كما تلاحظ في عبارة المتن، وكأن قوله عشره خطأ لفظي.

(٥) قوله: الى محادر شعر الذقن.

قال المحقق الكركي في «جامع المقاصد في شرح القواعد» ج ١ ص ٢١٢:

«المحادر - بالحاء المهملة، والدال والراء المهملتين - جمع محدر، وهو: طرف الذقن، بالمعجمة محركة، أعني: مجمع اللحيين اللذين عليهما الأسنان السفلى من الجانبين».

وفي اللغة: حَدَرَ الشيء: أنزله من علو إلى أسفل، إنحَدَر، نزل وهبط. وفي مجمع البحرين، مَحادِرُ شعر الذقن: أوّل انحدار الشعر عن الذقن، وهو طرفه.

(٦) قوله: وألا يستقبل الشعر في غسلهما.

كما في «المبسوط» للشيخ الطوسي ج ١ ص ٢١: **«ولا يستقبل الشعر، فإن خالف وغسلها فالظاهر أنّه لا يجز به»**.

يعني: كل مانبت على اليد من الشعر يجب غسله مع البشرة رقيقا كان أم غليظاً، ولا يجزي غسل الشعر الكائن على اليدين عن غسل البشرة، كما هو المشهور، هذا بمقتضى إطلاقات أدلّة وجوب غسل الوجه واليدين، وأمّا ماورد في صحيحة زرارة في نقل الشيخ في التهذيب ج ١ ص ٣٦٤ الحديث ٣٦: **«كلّ ماأحاط به الشعر فليس للعباد أن يغسلوه ولا يبحثوا عنه، ولكن يجري عليه الماء»**، يختصّ للوجه، ولا عموم له فلا يشمل اليدين، لأنّه في هذا النقل عن زرارة لو لم يكن هو نفس مانقل الصدوق عنه في الفقيه ج ١ ص ٢٨ الحديث ٨٨. المختصّ بالوجه، إجمال فلا يمكن التمسّك به، ولكن الظاهر، الروايتان رواية واحدة، حيث إن زرارة سأل عن الوجه وجواب الإمام عليه السلام أيضاً يختص بالوجه فلا عموم.

الرّجلين من رؤوس الأصابع إلى الكعبين.

والتّرتيب، وهو أن يبدأ بغسل الوجه، ثمّ باليد اليمنى، ثمّ اليسرى، ثمّ بمسح الرأس، ثمّ بمسح الرّجلين.

والمولاة، وهي أن يوالي بين غسل الأعضاء ولا يؤخر بعضها عن بعض بمقدار مايجف ماتقدم، وبمسح الرأس والرجلين ببقيّة نداوة الوضوء من غير استيناف ماء جديد.

هذا على طريقة أهل البيتعليهم السلام، وإلاّ على طريقة غيرهم ففيه إختلافات كثيرة لسنا بصدد بيانه، والله أعلم وأحكم.



وأمّا رواية الصدوق في الفقيه ج ١ ص ٢٨، باب ١٠ حدّ الوضوء الحديث ١ هكذا:
قال زرارة بن أعين لأبي جعفر الباقرعليه السلام: أخبرني عن حدّ الوجه الّذي ينبغي أن يوضأ الّذي قال الله عزّ وجلّ؟ فقال: «**الوجه الّذي قال الله وأمر الله عزّ وجلّ بغسله الّذي لا ينبغي لأحد أن يزيد عليه ولا ينقص منه، إن زاد عليه لم يؤجر، وإن نقّص منه أثِمَ، مادارت عليه الوسطىٰ والإبهام من قصاص شعر الرأس إلى الذقن، وماجرت عليه الإصبعان مستديراً فهو من الوجه، وماسوىٰ ذلك فليس من الوجه**».

فقال له: الصدغ من الوجه؟ فقال: «لا».

قال زرارة: قلت له: أرأيت ماأحاط به الشعر؟ فقال: «**كلّما أحاط به من الشعر فليس على العباد أن يطلبوه ولا يبحثوا عنه ولكن يجري عليه الماء**».

وأمّا وضوء أهل الطّريقة

(طهارة النفس والعقل)

فالطّهارة عندهم بعد القيام بالطّهارة المذكورة، عبارة عن طهارة النفس من رذائل الأخلاق وخسايسها، وطهارة العقل من دنس الأفكار الرّدية والشُّبه المؤدّية إلى الضّلال والإضلال، وطهارة السّرّ من النظر إلى الأغيار، وطهارة الأعضاء من الأفعال الغير المرضيّة عقلاً وشرعاً.

وأمّا أفعال هذه الطّهارة المعبّرة عنها بالوضوء.

فالنيّة فيه، وهي أن ينوي المكلّف بقلبه وسرّه أنّه لا يفعل فعلاً يخالف رضىٰ الله تعالىٰ بوجه من الوجوه، ويكون جميع عباداته لله خالصة دون غيره لقوله تعالىٰ:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣ - ١٦٤].

وغسل الوجه، وهو أن يغسل وجه قلبه عن حدث التعلّق بالدنّيا وما

فيها، فانّ الدّنيا جيفة وطالبها كلاب، فالطالب والمطلوب نجسان، ولهـذا قالﷺ:

«حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة وترك الدّنيا رأس كلّ عبادة»(٧).

وقال علي ؏:

«يا دنيا غرّي غيري فإنّي قدطلقتك ثلاثاً لارجعة فيها» [نهج البلاغة: الحكمة ٧٧](٨).

---

(٧) قوله: حبّ الدنيا.

روى الكليني في «الكافي» ج ٢ ص ٣١٥ باب حبّ الدنيا الحديث ١ بإسناده عن هشام عن الصادق ؏ قال:

«رأس كلّ خطيئة حب الدنيا».

وروى ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ١ ص ٢٧ الحديث ٩، بإسناده عن سلمان الفارسي، عن النبيّ ﷺ قال:

«حبّ الدنيا رأس كل خطيئة».

وأخرجه السيوطي في جامع الصغير ج ١ ص ٥٦٦ الحديث ٣٦٦٢.

والغزالي في إحياء علوم الدين ج ٣ص ٢٩٩ كتاب ذم الدنيا، بيان ذم الدنيا.

وأخرجه أيضاً الهندي في كنز العمال ج ٣ص ١٩١ الحديث ٦١١٤.

(٨) قوله: يادنيا غرّي غيري.

روى السيد الشريف الرضّي في نهج البلاغة الحكمة ٧٧ وقال: ومن خبر ضرار بن حمزة الضبائي عند دخوله على معاوية، ومسألته له عن أمير المؤمنين، وقال: فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخىٰ الليل سُدُوله وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول:

«يادنيا يادنيا، إليكِ عَنّي، أبي تعرّضتِ؟ أم إليّ تشوّقتِ؟ لا حان حينُكِ! هيهات! غرّي غيري، لا حاجة لي فيكِ، قد طلّقتُكِ ثلاثاً لا رجعة فيها! فعيشتكِ

وغسل اليدين، وهو غسلهما وطهارتهما عمّا في قبضيهما من النقد والجنس والدنيا والآخرة، فإنّ طهارتهما حقيقة ليس إلاّ بترك مما في تصرّفهما وحكمهما.

ومسح الرأس، وهو أن يمسح رأسه الحقيقي المسمّى بالعقل أو النّفس، أي يطلع عليهما حتّى يعرف أنّه بقي عندهما شيء من محبة الدّنيا ومايتعلّق بها من المال والجاه.

ومسح الرّجلين وهو أن يمنعهما عن المشي بغير رضىٰ الله وطاعته ظاهراً وباطناً، والمراد بالرجلين في الظاهر معلوم؛ وأمّا في الباطن هما عبارتان عن القوّة النّظرية والعملّية عند البعض؛ وعن القوّة الشهويّة والغضبيّة عند الآخرين؛ وإلى مثل هذا الوضوء المضاف إلى الوضوء الأوّل أشار النّبيّ ﷺ و قال:

(الوضوء نور)

«**الوضوء على الوضوء نور على نور**»[٩].

قصير، وخطرك يسير، وأمَلُكِ حقير، آه من قلّة الزاد، وطول الطريق، وبعد السفر، وعظيم المورد!»

رواه أيضاً الصدوق في «أمالي» المجلس الحادي والتسعون الحديث ٢ ص ٤٩٩.

ونقله أيضاً المسعودي في «مروج الذهب» ج ٢، «في ذكر لمع من كلامه» ص ٤٣٢.

وفيهما بدل طلّقتكِ ثلاثاً: «أبنتكِ ثلاثاً».

(٩) قوله: الوضوء على الوضوء.

رواه الصدوق في «من لا يحضره الفقيه» ج ١ باب ٨، باب صفة وضوء رسول الله ﷺ

أعني صفاء الظّاهر مع صفاء الباطن على الوجه المذكور فهو نور على نور، أي نور البصيرة على نور الشرع سبب صفاء الظاهر والباطن وموجب ثبات السّالك على الطّريق المستقيم في الدّنيا والآخرة لقوله تعالى:

﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

رزقنا الله الجمع بينهما والإقامة على كلّ واحد منهما، لأنّه المستعان وعليه التكلان.



⊃ الحديث ٩، ص ٢٦، وقال: وروي في خبر آخر:

«أنّ الوضوء على الوضوء نورٌ على نور، ومَن جدّد وضوءه من غير حدث آخر جدّد الله عزّ وجلّ توبته من غير استغفار».

ورواه أيضاً ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ٢ ص ١٧٠ الحديث ١٠.

وأخرجه الغزالي في «إحياء علوم الدين» ج ١، كتاب أسرار الطهارة، في فضيلة الوضوء ص ٢٠٣.

وأمّا وضوء أهل الحقيقة

(طهارة السرّ عن مشاهدة الغير)

فالوضوء عندهم المعبّر عنه بالطهارة عبارة عن طهارة السّرّ عن مشاهدة الغير مطلقا.

والنيّة فيها وهي أن ينوي السّالك في سرّه أنّه لا يشاهد في الوجود غيره ولا يتوجّه إلا إليه، لأنّ كلّ من توجّه في الباطن إلى غيره فهو مشرك بالشّرك الخفيّ المتقدّم ذكره المشار إليه في قوله تعالىٰ:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

ولقوله:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

والمشرك نجس لقوله:

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

(التوحيد الحقيقي)

فطهارته لا يكون إلاّ بهذه النيّة الّتي هي عبارة عن التوحيد الحقيقي النافي للشرك مطلقا، لأنّه معلوم، وبل مقرّر أنّ الخلاص من الشرك جلياً كان أو خفيا لا يمكن إلاّ بالتوحيد آلوهيّاً كان، أو وجوديّاً كما سبق ذكره مفصّلاً عند بحث الأصول.

وغسل الوجه فيها عبارة عن طهارة الوجه الحقيقي ونظافة سرّه عن دنس التوجّه إلى الغير، بحيث لا يشاهد غير وجهه الكريم المشار إليه في قوله:

﴿أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

ولا يعرف غير ذاته المحيط المؤمىٰ إليه في قوله:

«والله بكلّ شيء محيط»، وعن هذا التّوجّه أخبرمن لسان إبراهيم، بقوله:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الانعام: ٧٩].

وغسل اليدين عبارة عن عدم الإلتفات إلى مافي يديه من متاع الدّنيا والآخرة، من الدّنيا كالمال والجاه والأهل والولد، ومن الآخرة كالعلم والزّهد والطاعة ومايحصل منها كالثواب والجنّة والحور والقصور، لأنّ رؤية الطّاعة والعبادة واستحقاق التعظيم بهما عند أهل الله معصية، وفيه قيل:

«سيّئة تسوئكَ خير من حسنة تعجبك» [نهج البلاغة: الحكمة ٤٦].

وفيه قيل:

«خير الأعمال ذنب أحدث توبة، وشرّ الأعمال طاعة أورثت عجباً».

وإليه أشار ﷺ في قوله:

«الدّنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدّنيا، وهما حرامان على أهل الله»(١٠).

ومسح الرأس عبارة عن تنزيه سره وتقديس باطنه الّذي هو الرأس الحقيقي عن دنس الإنانيّة وحدث الغيريّة الحاجب والحاجز بينه وبين محبوبه لقول بعض العارفين فيه:

بيني وبينك إنّي ينازعني فارفع بفضلك إنّيّ من البين(١١)

وفيه قيل:

«وجودك ذنب لا يقاس به ذنب»(١٢).

---

(١٠) قوله: الدنيا حرام.

رواه ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ١١٩ الحديث ١٩٠. وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ٣ ص ٢٠٨، التعليق ١٠٩ و ج ١ ص ٣٠٩، التعليق ٦٨.

(١١) قوله: بيني وبينك.

الشعر للحلاّج كما ذكره القيصري في شرح فصوص الحكم في شرح فصّ حكمة إلهيّة في كلمة آدميّة ص ٨٩ وقال:

العالم هو عين الحجاب على نفسه، أي تعيّنه، وإنّيّته الّتي بها تميّز عن الحقّ وتسمّى بالعالم وهو عين حجابه، فلو رفعت الإنيّة ينعدم العالم، وإليه أشار الحلاّج بقوله: الشعر.

وراجع التفسير المحيط الأعظم ج ٣ ص ٦٨، التعليق ٣٧.

(١٢) قوله: وجودك ذنب.

وقد سبق أنّ كلّ من شاهد الغير فهو مشرك، وكلّ مشرك نجس، والنجس ليس له طريق إلى عالم القدس والحضرة الإلهيّة لقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ومسح الرّجلين، عبارة عن تنزيه قوتي العملية والعلمية عن السير إلاّ بالله وفي الله، لأنّهما كالقدمين والرجلين في الظاهر لأنّه بهما يسعىٰ في طلب الحقّ وبهما يصل إليه، وعند التّحقيق:

﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢].

إشارة إليهما، أعني إذا وصلت إلينا بواسطتهما فدع لهما فإنّك بعد هذا ماأنت محتاج إليهما، ومعلوم عند الوصول يجب طرح كلّ مافي الوجود سيّما القوى والحواسّ وماإشتمل عليهما ظاهراً وباطناً.

وعند البعض المراد بالنّعلين الدّنيا والآخرة. وعند البعض عالم الظاهر والباطن، وعند البعض النّفس والبدن، والكلّ صحيح، وفي مثل هذا الحال وهذا المقام ورد في الحديث القدسي:

«لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتىٰ أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله، فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش وبي يمشي»(١٣).

➲ ذكره أيضاً القيصري في شرح حكمة إلهيّة في كلمة إسماعيليّة ص وقال:

«قال: فقلت: وماأذنبت؟ قالت مجيبة: وجودك ذنب لا يقاس به ذنب».

(١٣) قوله: لا يزال العبد.

➲

إشارة إلى السيّر بالله الّذي هو مقام التكميل دون الكمال المشار إليه في قوله:

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وأمّا بالنّسبة إلى اليدين كقوله:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الانفال: ١٧].

وهاهنا أبحاث وأسرار يطول ذكرها، يكفي الفطن اللبيب هذا المقدار، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.



⬅ الحديث بمضمونه متفق عليه بين الفريقين، و يُعبّر عن مضمونه بقرب النوافل.
رواه الكليني (رض) في الأصول من الكافي ج ٢ ص ٣٥٢، الحديث ٧٦٨، و أخرجه البخاري في صحيحه ج ٨، ص ١٣١، فإن شئت أكثر من هذا، فراجع تفسر المحيط الأعظم ج ١، ص ٤٠٣، التعليق ٨٥ و ج ٣ ص ١١٩، التعليق ٦٦.

وأمّا غسل أهل الشريعة

فالغسل عندهم مشتمل على واجبات ومندوبات ومحرمات ومكروهات، وذلك يطول فالمقصود منه الواجبات الّتي بها يحصل الطهارة في الظاهر شرعاً.

فالواجبات في الغسل ستّة أشياء، ثلاثة منها أفعال، وثلاثة كيفيات.

أمّا الأفعال، فالإستبراء بالبول على الرجال[١٤]، والإجتهاد في انقاء مَجرىٰ المني من البقّية على سبيل الأغلب.

والنيّة، وهي قول المجنب باللسان[١٥] بعد العقد بالقلب: أغتسل لرفع حدث الجنابة واستباحة الصّلاة لوجوبه[١٦] قربة إلى الله.

---

(١٤) قوله: فالإستبراء بالبول.

لا يجب الإستبراء بل يستحبّ في غسل الجنابة لمن أجنب بالإنزال، وليس شرطاً في صحته أيضاً.

(١٥) قوله: وهي المجنب باللسان.

النيّة تتحقّق بالقصد ولا يلزم فيها القول وإتيانها باللسان، بل يكفي في كلّ عمل تعبّديّ إتيان ذلك العمل بقصد القربة قلباً أي بالعقد القلبي.

(١٦) قوله: لوجوبه.

وغسل جميع الجسد على وجه يصل الماء إلى أصول كلّ شعر عليه من الرأس إلى القدم بأقل مايقع عليه إسم الغسل.

وأمّا الكيفيّات: فثلاثة مقارنة النيّة لحال الغسل، والإستمرار عليها حكماً، والتّرتيب(١٧) في الغسل، أعني الإبتداء بالرأس، ثمّ بالجانب الايمن، ثمّ بالجانب الأيسر.

➲ غسل الجنابة مستحبّ لرفع الحدث، وأمّا بالنسبة الى الصلاة وغيرها من الأمور المذكورة في الفقه، واجب شرطيّ غيريّ، ويكفي فيه قصد القربة، ولا يلزم قصد الوجوب لاستباحة الصلاة، وأيضاً قصد الإستحباب لرفع الحدث.

(١٧) قوله: والترتيب في الغسل.

الإتيان بالغسل يقع على صورتين: الترتيب والإرتماس: أمّا الغسل الترتيبي وهو غَسل أجزاء البدن الثلاثة أي الرأس مع العنق، والجانب الأيمن، والجانب الأيسر، واحداً بعد واحد على الترتيب.

أمّا الإبتداء بالرأس والعنق فواجب، وأمّا الترتيب بين الجانبين فليس واجباً بل يكفي بأيّ ترتيب كان بينهما، بل يكفي غسلهما معاً بعد غسل الرأس والرقبة.

وأمّا الغسل الإرتماسي وهو غمس تمام البدن في الماء دفعة واحدة، وبعبارة أخرىٰ تغطية تمام البدن في الماء بحيث يستوعب الماء أجزاء البدن، مرفوعة قدماه عن الأرض وبدون أيّ إتّكاء أو أتّصال من البدن إلى الأرض والجدار مثلاً بحيث يحصل غسل تمام البدن دفعة وفي زمان واحد عرفاً.

هذا إذا كان داخل الماء ويقصد الغسل، وأمّا إذا كان خارج الماء ويريد الغُسل الارتماسي يكفيه بعد النيّة أن يدخل الماء وارتمس فيه دفعة، فيتحقق الغُسل بعد احاطة الماء تمام بدنه إي بعد استيلاء الماء على جميع أجزاء البدن، فيكون ابتداء الغُسل ابتداء التغطية، وأخره حين دخل وانغسل آخر جزء البدن.

والتغطية يلزم أن يكون دفعة أي بحيث تتّحد عرفا بلا فاصل ملحوظ.

وأمّا غسل أهل الطّريقة

(حبّ الدنيا جنابة)

فالغسل عندهم بعد القيام بالغسل المذكور، طهارة من الجنابة الحقيقيّة الّتي هي البُعد عن‌الله، دون المجازيّة الّتي هي الأحداث الشّرعيّة.

والجنابة الحقيقية على قسمين: قسم يتعلّق بهم، وقسم متعلّق بأهل الحقيقة.

أمّا الّذي يتعلّق بأهل الحقيقة فيسجيء بيانه بعد هذا بلا فصل.

وأمّا الّذي يتعلّق بهم فهي الجنابة الحاصلة من محبّة الدّنيا، فإنّ الدّنيا في الحقيقة كالمرأة الّتي لها كلّ ساعة بعل آخر كما أشار إليها الإمام ﷺ في قوله:

«قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها». [نهج البلاغة: الحكمة ٧٧].

لأنّها لو لم تكن كالمرأة أو في حكمها ماخاطبها الإمام بهذا الخطاب، فكلّ من يلامس مثل هذه ويجامعها بالنّفس أو الروح أو القلب يكون جنباً بالحقيقة، والجنابة هي البُعد عن الله تعالىٰ، فكلّ من يحبّ الدّنيا علىٰ

الوجه المذكور يكون بعيداً عن الله ضرورة، فإنّ محبّة الله وقربه، ومحبّة الدّنيا وقربها ضدّان لا يجتمعان، وإليه الإشارة في القول السّابق عن النبيّ ﷺ الّذي قال:

«الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدّنيا، وهما حرامان على أهل الله»(١٨).

وكذلك ماقال تعالىٰ في كتابه العزيز:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

وكذلك ماأشار الإمام عليه في قوله:

«إنّ الدّنيا والآخرة عدوّان متفاوتان وسبيلان مختلفان، فمن أحبّ الدّنيا وتولاّها أبغضَ الآخرة وعاداها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب، وماشٍ بينهما كلّما قَرُب من واحد بَعُد من الآخر، وهما بَعْد ضرّتان» [نهج البلاغة: الحكمة ١٠٣].

فالغسل والطّهارة من هذه الجنابة يكون بترك الدّنيا ومافيها بحيث لا يبقىٰ له تعلّق بها بمقدار شعرة، لأنّ في الغسل الشّرعي لو بقي على الجسد شعرة لم يصل الماء إليها؛ لم يصح غسله ولم يطهر صاحبه من الجنابة، فإنّ التعلق من حيث التعلّق له حكم واحد وهو التعلّق سواء كان قليلا أو كثيراً، كما قيل:

---

(١٨) قوله: الدنيا حرام.

راجع التعليق ١٠.

«المحجوب محجوب سواء كان بحجاب أو ألف حجاب».

وترتيب **هذا الغسل** وهو أن يغسل السّالك أوّلاً رأسه الحقيقي - الّذي هو القلب هاهنا - بماء العلم الحقيقي النازل من بحر القدس، من حدث الأهواء المختلفة، والآراء المتشتّتة المتعلّقة بالدّنيا وبمحبّتها الموجبة للدّخول في الهاوية الّتي هي النّار لأنّ الهوى إذا أغلب إنجذب صاحبه إلى عبادة الأصنام والأوثان الباطلة ذهنا كان أو خارجاً، أمّا الخارج فهو معلوم، وأمّا الدّاخل فذلك أيضاً قد سبق بحكم قوله تعالىٰ:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وكلّ من أطاع لهواه لابّد وأن يدخل النار لقوله تعالىٰ أيضاً:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٧ - ٨].

أي من خفّت موازينه من العلم والعمل الصّالح الصّادران من العقل الصحيح والنفس الكامل، فهو في الهاوية الّتي هي أصلها وأمّها، لأنّ منشأ الهوىٰ من النّفس الأمّارة، والنّفس الأمّارة منشاؤها ومنبعها الطبيعة الحيوانيّة، والقوىٰ الشهويّة والغضبية اللتّان هما من جنودها وأعوانها، كذلك صادران من الطبيعة والنّفس، فلا يكون الهاوية في الحقيقة إلاّ التوجّه إلى النّفس، الأمّارة والشّهوة والغضب، وأسفل سافلين إشارة إليها في قوله تعالىٰ:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥].

أي رددناه بأفعاله إلى أسفل عالم الطبيعة والنّفس الأمّارة بمتابعة الهوى ومخالفة الحقّ في أفعاله وأقواله، لقول أهل النّار فيه:

﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

ولهذا دائما أهل الله الّذين هم أهل العلم الحقيقي والعمل الصّالح والعقل الصّحيح، موصوفون بالسّكينة[١٩] والوقار، والطمأنينة والأخبات وأمثال ذلك لقوله تعالىٰ فيهم:

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦ - ٧]

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الغاشية: ١٠].

وأهل الأهواء والبدع موصوفون بالخفة وقلّة العقل، وعدم السكينة والوقار، لقوله تعالىٰ فيهم:[٢٠]

---

(١٩) قوله: موصوفون بالسكينة.

أمّا السكينة والوقار ففي قوله تعالىٰ:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وأمّا الطمأنينة ففي قوله تعالىٰ:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقوله تعالىٰ:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧].

وأمّا الأخبات ففي قوله تعالىٰ:

﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِ الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٥].

(٢٠) قوله: موصوفون بالخفّة.

أمّا الخفّة وقلّة العقل ففي الآيات التالية:

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

«قد خسر الّذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم و حرّموا ما رزقهم الله افتراءً على الله قد ضلّوا و ما كانوا مهتدين».

﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام: ٧١].

وقد سدّ باب سؤال كلّ سائل في هذا المقام قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤١].

لأنّ هذا تحريص على منع النّفس عن الهوى، وتشويق إلى دخول الجنّة الّتي هي المأوى الحقيقي والموطن الأصلي من غير التراخي ولا التأخير وإليه أشار عليّ ﷺ في قوله:

«تخففوا تلحقوا فإنّما ينتظر بأوّلكم آخركم» [نهج البلاغة: الخطبة ٢١ و١٦٧][21].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨].

﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

وأمّا عدم السكينة ففي قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾ [طه: ١٢٤].

(٢١) قوله: تخففوا تلحقوا.

ذكره السيد الرضي في نهج البلاغة الخطبة ٢١ وقال: ومن خطبة له ﷺ – وهي كلمة جامعة للعظة والحكمة –:

«فإنّ الغاية أمامكم، وإنّ وراءكم الساعة، تحدؤكم. تخفّفوا تلحقوا، فإنّما ينتظر بأوّلكم آخركم».

قال السيد الشريف بعد نقله: أقول: «إنّ هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله ﷺ، بكل كلام لمال راجحاً، وبرّز عليه سابقاً.

فأمّا قوله ﷺ: «تخففوا تلحقوا» فما سمع كلام أقل منه مسموعاً ولا أكثر منه محصولاً، وماأبعد غورها من كلمة، وأنقع نطفتها من حكمة. وقد نبهنا في كتاب «الخصائص» على عظيم قدرها وشرف جوهرها».

وذكر تمام الخطبة أيضاً في نهج البلاغة الخطبة ١٦٧، وقال: ومن خطبة له ﷺ في أوائل خلافته:

«إنّ الله سبحانه أنزل كتاباً هادياً فيه الخير والشرّ،...». الخطبة فراجع.

ونقلها أيضاً المجلسي في البحار ج ٣٢ ص ٩، نقلاً عن ابن أثير في الكامل. ونقلها أيضاً في ج ٦٨ ص ٢٩٠ الحديث ٤٩.

ونقلها أيضاً الطبري في تاريخه ج ٢ ص ٧٠١، في بيان ماوقع في سنة ٣٥، وخلافة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ، عند بيان اتّساق الأمر في البيعة لعليّ بن أبي طالب ﷺ.

وقال:

فأوّل خطبة خطبها عليّ ﷺ حين استُخلف - فيما كتب به إليّ، السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن سليمان بن أبي المغيرة، عن عليّ بن الحسين - حمد الله وأثنى عليه، فقال:

«إنّ الله عزّ وجلّ أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشرّ، فخذوا بالخير ودعوا الشرّ، الفرائض أدّوها إلى الله سبحانه يؤدّكم إلى الجنّة، إنّ الله حرّم حُرَماً غير مجهولة، وفضّل حُرمة المسلم على الحُرَم كلّها، وشدّ بالإخلاص والتوحيد المسلمين.

والمسلم مَن سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحقّ، لا يحلّ أذى المسلم إلاّ بما يجب.

بادروا أمر العامّة، وخاصة أحدكم الموت، فإنّ الناس أمامكم، وإنّ مامن

يعني تخفّفوا من أثقالكم الحاصلة من متابعة الهوىٰ ومحبّة الدّنيا، فإنّ إلحاقكم بالحقّ وبالجنّة موقوف عليه، أي علىٰ تخفيفكم منها، وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ* لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

ثمّ يغسل ويطهّر روحه وسرّه الّذي هو من الجانب الأيمن المعبّر عنه: بالرّوحانيّات عن محبّة العلويّات، والرّوحانيّات المعبّر عنها بالآخرة والجنّة، لأن أهل الآخرة مخصوصون بأصحاب اليمين والعلويّات، لقوله تعالىٰ في الأوّل:

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ* وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ [الواقعة: ٢٧ – ٣١].

ولقوله في الثّاني:

﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

ثمّ يغسل جانبه الأيسر، أي يغسل ويطهّر نفسه وجسده الّذي هو الجانب الأيسر المعبّر عنه: بالجسمانيّات عن محبّة السّفليّات والنفسانيّات المعبّرة عنها بالدّنيا، بماء الترك والتجريد وعدم الإلتفات إليه، فإنّ الدّنيا

⬅ خلفكم الساعة تحدوكم، تخففوا تلحقوا، فإنّما ينتظر الناس أخراهم.
إتّقوا الله عباده في عباده وبلاده، إنّكم مسؤولون حتّىٰ عن البقاع والبهائم.
أطيعوا الله عزّ وجلّ ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشرّ فدعوه، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٤١]».
هذا مانقل الطبري، وقريب منه مانقله ابن أثير في الكامل، وحيث إنّ في هذا النقل ونقل السيد الشريف‏ فرق في بعض التعبيرات، نقلنا هنا مانقله الطبري، لأنّ نهج البلاغة موجود عند أكثر وهو سهل المراجعة.

مخصوصة بأهل الشمال، كما أن الآخرة مخصوصة بأهل اليمين لقوله تعالىٰ:

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة:٤٣].

فانّ بهذه الطّهارة يحصل له إستحقاق دخول الجنّة واستعداد قرب الحضرة العزّة، كما قال:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٥].

رزقنا الله الوصول إليها، فانّ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وأمّا غسل أهل الحقيقة

(البعد عن الحق سبحانه ومشاهدة الغير، جنابة عند أهل الحقيقة)

فالغسل عندهم عبارة عن طهارتهم من الجنابة الحقيقية الّتي هي مشاهدة الغير مطلقا، لأنّ الجنابة كما سبق بيانها هي البُعد، وكلّ من شاهد الغير فهو بَعُد عن الحقّ ومشاهدته، ولا يمكن إزالة هذا البُعد إلاّ بقربه إلى التوحيد الحقيقي الّذي هو مشاهدة الحقّ تعالىٰ من حيث هو هو لقوله:

﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقد مرّ بيان هذا التّوحيد مراراً.

وترتيب هذا الغسل وهو أن يغسل رأسه الحقيقي الّذي هو هاهنا روحه المجرّد بماء التوحيد الذّاتي عن حدث مشاهدة الغير، لأنّ محبّة الله تعالىٰ كما هو وظيفة الباطن المعبّر عنه بالنفس المطمئنّة، معرفته وظيفة القلب، ومشاهدته وظيفة الرّوح، كما أنّ الوصول إليه وظيفة (السّر) الّذي

هو باطن الرّوح.

والى هذا الترتيب أشار جعفر بن محمّد الصّادقﷺ في بعض أدعيته وهو قوله:

«اللّهم نوّر ظاهري بطاعتك، وباطني بمحبتك، وقلبي بمعرفتك، وروحي بمشاهدتك، وسرّي باستقلال اتّصال حضرتك ياذا الجلال والإكرام»(٢٢).

---

(٢٢) قوله: اللّهم نوّر ظاهري.

لم أجد بهذا اللفظ، ولكن يوجد في الادعيّة المأثورة بعض التعبيرات القريبة منه، وهو كما يلي:

روى المجلسي في البحار ج ٩٤ ص ١٥٣ الحديث ٢٣، المناجات الإنجيلية لمولانا علي بن الحسينﷺ عن كتاب أنيس العابدين، ومن فقرات ذلك الدعا هكذا:

«اللهم أجعلني من الذين جدّوا في قصدك فلم ينكلوا، وسلكوا الطريق إليك فلم يعدلوا، وأعتمدوا عليك في الوصول حتّى وصلوا فرَويت قلوبهم من محبّتك، وآنست نفوسهم بمعرفتك..

وأجعل سرّي معقوداً علىٰ مراقبتك، وإعلاني موافقا لطاعتك».

وروى الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ ص ٥٨٥ الحديث ٢٤ بإسناده عن أبن أبي يعفور عن الصادقﷺ أنّه كان يقول:

«اللهم أملأ قلبي حبّاً وخشية منك، وتصديقاً وإيماناً وفرقاً منك (بك)، وشوقاً إليك ياذا الجلال والإكرام»، الدعاء.

و ورد قريب منه أيضاً في دعاء أبي حمزة الثمالي:

«اللهم إني أسألك أن تملأ قلبي حبّاً لك وخشية منك، وتصديقاً بكتابك وإيماناً وفَرَقاً منك وشوقاً إليك ياذا الجلال والإكرام».

وأيضاً من فقرات المناجات الشعبانية هكذا:

وهذا الغسل لا يمكن إلاّ بفناء العارف في المعروف، والشاهد في المشهود المعبّر عنه بالفناء في التوحيد، وذلك يكون بمشاهدة الحقّ من حيث هو هو، أعني يشاهده بحيث لا يشاهد معه غيره، أعني لا يشاهد في الوجود إلاّ وجوداً واحداً، وذاتاً واحدة مجّردة عن جميع الإعتبارات والتّعينات، وإليه أشار الحقّ تعالىٰ في قوله:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

وكذلك في قوله:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

وقد مرّ تحقيق هاتين الآيتين غير مرّة والتكرار غير مستحسن.

وحيث تقرّر هذا التّوحيد، هو الصّراط المستقيم الحقيقي، المأمور بالإستقامة عليه نبيّنا ﷺ:

﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢].

والحدّ الأوسط المشار إليه في قوله:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الانعام: ١٥٣].

وتقرّر أنّ له طرفان: طرف إفراط، وطرف تفريط، اللّذان هما التّوحيد الإجمالي، والتوحيد التّفصيلي.

«إلهي هب لي كمال الإنقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتّى تخرق أبصار القلوب حُجُب النّور فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلّقة بعزّ قدسك».

فالطّهارة من دنس جانب الإفراط المعبّر عنه بالأيمن يكون بخلاصه من التّوحيد الإجمالي، والطّهارة من دنس التفريط المعبّر عنه بالأسر يكون بخلاصه من التّوحيد التفصيلي، والإستقامة على الصّراط المذكور والحدّ الأوسط المعبّر عنه بالطّهارة الكبرى يكون بجمعه بين التّوحيدين، وقطع النّظر عن مشاهدة الغير أصلاً ورأساً مع إعتباره ومشاهدته من حيث الجمع المعبّر عنه باحديّة الفرق بعد الجمع، وذلك صعب في غاية الصّعوبة، ولهذا وصفه النبيّ ﷺ:

بـ«أحدّ من السيّف، وأدقّ من الشعر»(٢٣).

وقوله تعالىٰ:

«مازاغ البصر وماطغى» [النجم: ١٧].

إشارة إلى الطّرفين، وقوله:

«فكان قاب قوسين أو أدنىٰ» [النجم: ٩].

---

(٢٣) قوله: أحدّ من السيف.

روى الصدوق في أماليه المجلس الثالث والثلاثون، ص ١٤٩، الحديث ٤ بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله الصادق ؑ قال:

«الناس يمرّون على الصراط طبقات، والصراط أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف، فمنهم من يمرّ مثل البرق، ومنهم من يمرّ مثل عدو الفرس، ومنهم من يمرّ حبواً، ومنهم من يمرّ متعلّقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً».

وقريب منه في تفسير القمي ج ٢ ص ٤٢١ في قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

وأيضاً أخرج قريباً منه ابن حنبل في مسنده ج ٦ ص ١١٠، بإسناده عن عائشة، عن النبيّ ﷺ.

إشارة إلى التّوحيد الجمعي المحمّدي الجامع للتّوحيدات كلّها.

وبالجملة ليست الجنابة الحقيقية إلاّ مشاهدة الغير على أيّ وجه كان، وليست الطّهارة الحقيقية عند التحقيق إلاّ بعد الخلاص منها على أيّ وجه كان، وفيه قيل:

قنعت بطيف من خيال بعثتم ... وكنت بوصل منكم غير قانع

إذا رمت من ليلى من البعد نظرة ... لتطوى جوى بين الحشا والاضالع

تقول نساء الحيّ تطمع أن ترىٰ ... بعينيك ليلى مت بداء المطامع

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها ... سواها، وماطهرتها بالمدامع

وأمثال ذلك في هذا المعنىٰ كثير، فليطلب من مظانّها.

والله أعلم وأحكم وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

هذا غسل الطّوايف الثّلاث بقدر هذا المقام.

وأمّا تيمّم أهل الشّريعة

فالتيمّم عندهم عبارة عن طهارة ترابيّة مع تعذّر الماء عوضاً عن الوضوء أو الغسل، وحينئذ لا يجوز التيمّم إلاّ بأحد شروط ثلاثة:

إمّا عدم الماء مع الطّلب.

أو عدم مايتوصّل إليه من الآلة والثمن، كالدلو والحبل وأمثال ذلك.

أو الخوف على النّفس والمال من إستعمال الماء.

ومع حصول هذه الشروط لا يصحّ إلاّ عند تضيّق الوقت(٢٤).

---

(٢٤) قوله: عند تضيّق الوقت.

الظاهر المستفاد من الروايات: جواز التيمّم للمعذور - عند توفّر الشروط، وبعد طلب الماء بدون أيّ تقصير - في سعة الوقت وإن إحتمل أو ظنّ أرتفاع العذر في آخره.

نعم مع العلم أو الإطمئنان بارتفاع العذر في الوقت يجب عليه الصبر والتأخير إلى تضيّق الوقت.

وأمّا مع عدم العلم بارتفاع العذر (مع أنّه يجوز التيمّم) يستحبّ الصبر والتأخير إلى آخر الوقت، وكذا يستحبّ إعادة الصلاة إذا ارتفع العذر في الوقت، إلاّ أن يقصّر في طلب ⇐

ولا يصحّ أيضاً إلاّ بالأرض أو مايقع عليه الأرض على الإطلاق من تراب أو مدر أو حجر[٢٥].

وكيفيّته: وهي أن يضرب المتيمّم يديه على الأرض دفعة إن كان للوضوء، وينفضهما ويمسح بهما وجهه من قصاص شعر الرأس من ناصيته إلى طرف أنفه، وتمسح ببطن يده اليسرى ظهر كفّه اليمنى من الزند إلى أطراف الأصابع، وببطن كفّه اليمنىٰ ظهر كفّه اليسرى من الزند إلى أطراف الأصابع.

وإن كان للغسل يضرب ضربتين[٢٦]: ضربة للوجه والأخرى لليدين.

الماء فتجب الإعادة، هذا جمعاً بين الروايات الواردة في المقام، راجع وسائل الشيعة أبواب التيمّم باب ١٤، رجامع أحاديث الشيعة ج ٣، أبواب التيمّم باب ١٢ و ١٣.

(٢٥) قوله: على الإطلاق من تراب أو مدر أو حجر.

التراب مقدّم عند وجوده ومع الإختيار، لأنّ صدق الأرض والصعيد على التراب أقدم الى الذهن في التبادر من غيره.

(٢٦) قوله: وإن كان للغُسل يضرب ضربتين.

الظاهر أنّه لا فرق بين الغُسل والوضوء في كيْفية التيّمم، ولا يجب أكثر من ضربة واحدة، فيكفي الضرب الواحد فيهما، لموثقة عمار بن موسىٰ الساباطي عن أبي عبدالله الصادق، قال:

سألته عن التيمّم من الوضوء والجنابة ومن الحيض للنساء، سواء؟

فقال: «**نعم**». وسائل الشيعة أبواب التيمّم باب ١٢ الحديث ٦.

ولصحيحة زرارة عن أبي جعفر الباقر قال: قلت له: كيف التيّمم؟ قال: «**هو ضرب واحد للوضوء والغُسل من الجنابة**».

وسائل الشيعة أبواب التيمّم باب ١٢ الحديث ٤.

أقول: قوله‌ﷺ: «ضرب واحد»، يعني على كيفيّة واحدة، والله هو العالم.

إذن تحمل الأخبار الدالة على أكثر من ضربة للإستحباب، لأنّه لا يوجد تعارض بينها، لأنّ كل منها يدلّ على أمر ايجابيّ أكمل ممّا يدلّ الآخر فلا تنافي بينها، ولا ينفي مدلول بعضها مدلول بعض الآخر، فإذن يمكن العمل بالتيمّم في ضرب اليدين على الأرض فيه على خمس صور، الأكمل فالأكمل، فتلك الصور هكذا:

الصورة الأولى: بضربة واحدة للوجه والكفّين، لموثقة زرارة، قال: سألت أبا جعفر‌ﷺ عن التيمّم؟ **فضرب بيده إلى الأرض ثمّ رفعها فنفضها، ثمّ مسح بها جبينه وكفّيه مرّة واحدة.**

وسائل الشيعة أبواب التيمّم باب ١١ الحديث ٣، وهكذا يدل عليه اطلاق ساير الروايات الصحيحة في الباب.

الصورة الثانية: بضربة للوجه وبضربة أخرى للكفين يعني ممتازةً وكل منها في محلّها، لصحيحة إسماعيل بن همام الكندي، عن الرضا‌ﷺ قال:

«**التيمّم ضربة للوجه، وضربة لكفّين**»، وسائل الشيعة أبواب التيمّم باب ١٢ الحديث ٣.

الصورة الثالثة: بضربتين أي الضرب مرتين معاً للوجه والكفين، لصحيحة ليث المرادي، عن أبي عبدالله‌ﷺ، في التيمّم قال:

«**تضرب بكفيّك على الأرض مرّتين، ثمّ تنفضهما وتمسح بهما وجهك وذراعيك**». نفس المصدر الحديث ٢.

ومحمّد بن سنان ثقة على التحقيق.

الصورة الرابعة: بضربتين للوجه وضربة أخرىٰ للكفين، لصحيحة زرارة عن أبي جعفر الباقر ‌ﷺ قال: قلت له: كيف التيمّم؟ قال: «**هو ضرب واحد للوضوء والغُسل من الجنابة، تضرب بيديك مرّتين، ثمّ تنفضهما نفضةً للوجه، ومرّة لليدين، ومتىٰ أصبت الماء فعليك الغسل إن كنت جنباً، والوضوء إن لم تكن جنباً**». نفس

والكيفيّة فيهما واحدة.

ونواقض التيمّم نواقض الوضوء والغسل، ويزيد عليهما التمكّن من إستعمال الماء.

وكلّما يستباح بالوضوء من العبادة يستباح بالتيمم على حدّ واحد.

والله أعلم وأحكم وهو يقول الحقّ وهو يهدي السّبيل.



المصدر الحديث ٤.

الصورة الخامسة: بضربتين للوجه وضربتين أخريتين للكفين، يعني ممتازة كل في محلّه فتكون ضربتين للكفيّن بعد مسح الوجه، لصحيحة محمّد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام، قال: سألته عن التيمّم؟ فقال:

«مرّتين مرّتين، للوجه واليدين». نفس المصدر الحديث ١.

وأمّا تيمّم أهل الطريقة

فذلك يحتاج إلى تمهيد مقدّمتين:

الأولىٰ في تحقيق الماء الحقيقي.

والثّانية في تحقيق التّراب الحقيقي.

(الماء الحقيقي وهو عبارة عن العلوم والمعارف الإلهيّة)

فالماء الحقيقي بحكم العقل والنقل عبارة عن العلوم والمعارف الإلهيّة المسمّاة بالحياة الحقيقيّة أيضاً.

وبيان ذلك وهو أنّ الله تعالىٰ أخبر في كتابه: بأنّ حياة كلّ شيء من الماء لقوله:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

ومعلوم أنّ حياة كلّ شيء ليس من الماء الصّوري، لأنّ المَلَك والجنّ والأفلاك والأجرام وأمثال ذلك يصدق عليهم أنّهم شيء، وليس حياتهم من الماء إن أراد به الماء الصّوري والتناول منه، وإن أراد به أنّ جزء كلّ

مركّب من الماء الصّوري فكثير من الموجودات يخرج عن هذا الحكم كالبسايط والعلويات المذكورة ونحوها. فتقرّر أنّ المراد به العلم، وإن كان العلم يتفاوت في الشرف والخسّة كتفاوت الماء في العذب والإجاج وغير ذلك من الأوصاف.

(المراد من المعرفة هو العلم)

والّذي سبق عند بحث التوحيد: أنّ كلّ موجود له نطق وحياة ومعرفة دالّ على صدق هذا المعنى، لأنّ المراد بالمعرفة العلم بالله وبأسمائه وصفاته وافعاله. وليس هناك موجود يخلو من هذه العلوم على حسب استعداده واستحقاقه وقابليّته كما بيّناه أيضاً متمسّكاً بقوله تعالىٰ:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

لأنّ التسبيح للشّيء لا يكون إلاّ بعد معرفته والإقرار بوجوده، وهذان الفعلان لا يصدران إلاّ من موجود حيّ صوريّة أو معنويّة، فصحّ قولنا: إنّ كلّ شيء في الوجود له ثلاثة أشياء: العلم، والمعرفة، والحياة، وقوله تعالىٰ:

﴿أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرّعد: ١٧].

(المراد من الماء هو العلم)

باتّفاق أكثر المفسّرين من المحقّقين إشارة إلى هذا المعنى، لأنّ الماء

بمعنى العلم، والأودية بمعنى القلوب[٢٧]، وبقدرها بمعنى الإستعداد

---

(٢٧) قوله: لأنّ الماء بمعنى العلم والأودية بمعنىٰ القلوب.

روى الكليني في الأصول من الكافي ج ١ باب العرش والكرسي ص ١٢٩ الحديث ١ بإسناده عن أمير المؤمنين ﷺ قال:

«إنّ العرش خلقه الله تعالىٰ من أنوار أربعة: نور أحمر منه أحمرّت الحمرة، ونور أخضر منه أخضرّت الخضرة، ونور أصفر منه اصفّرت الصفرة، ونور أبيض منه (أبيّض) البياض، وهو العلم الّذي حمّله الله الحملة وذلك نور من عظمته، فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين».

وروى أيضاً في الحديث ٢ بإسناده عن صفوان بن يحيىٰ، عن الرضاﷺ قال:

«العرش ليس هو الله، والعرش إسمُ علم وقدرة، وعرشٌ فيه كلّ شيء، ثمّ أضاف الحمل إلى غيره (الذين يحملون العرش) خلقٍ من خلقه، لأنّه استعبد خلقُه بحمل عرشه وهم حملة علمه وخلقاً يسبّحون حول عرشه، وهم يعملون بعلمه، والملائكة يكتبون أعمال عباده». الحديث.

وروىٰ في الحديث ٧ بإسناده عن داود الرقّي قال: سألت أبا عبدالله ﷺ عن قول الله عزّ وجلّ: **﴿وكان عرشه علىٰ الماء﴾ فقال: مايقولون؟**

قلت: يقولون: إنّ العرش كان على الماء والربّ فوقه، فقال:

كذبوا، من زعم هذا فقد صيّر الله محمولاً ووصفه بصفة المخلوق ولزمه أنّ الشيء الّذي يحمله أقوىٰ منه، قلت: بيّن لي جعلت فداك؟

فقال:

إنّ الله حمّل دينه وعلمه الماء قبل أن يكون أرض أو سماء أو جنّ أو إنس أو شمس أو قمر، فلّما أراد الله أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه، فقال لهم: من ربّكم؟ فأوّل من نطق: رسول اللهﷺ وأمير المؤمنينﷺ والأئمّة صلوات الله عليهم فقالوا أنت ربّنا، فحمّلهم العلم والدين، ثمّ قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون، ثمّ قال لنبي آدم: اقرّوا الله

والقابليّة الحاصلة لكلّ موجود من غير جعل من الجاعل كما سبق ذكره مراراً.

وقوله تعالىٰ:

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧].

دالّ على هذا لأنه ليس بين العرش الصّوري، والماء الصّوري مناسبة، لا على طريق الشرع وترتيب الموجودات، ولا على طريق العقل وتحقيق المخلوقات، فحينئذ لابّد وان يكون بمعنىٰ العلم الّذي هو الحقيقة الكلّيّة السّارية في كلّ شيء بقدره، ذلك تقدير العزيز العليم.

وهذا الوجه أحسن الوجوه لأنّ العرش وغير العرش ليس قيامهم إلاّ بالحياة، والحياة الحقيقيّة ليس إلاّ العلم، فيكون حياة كلّ شيء بالعلم، ويكون معنى الآية مطابقاً، وخصوصيّة العرش بذلك، لأنّه أعظم الأجسام واقرب الأشياء إلى العلويات المجرّدة، وإذا خصّص أعظم الأشياء بشيء من الأوصاف المشتركة بين الكلّ، فلابّد لأحقر الأشياء من ذلك.

وكذلك قوله:

⮌ بالربوبيّة، ولهؤلاء النفر بالولاية والطاعة». الحديث.

وروى مثله الصدوق في «التوحيد» باب ٤٩ الحديث ١ ص ٣١٩. وراجع أيضاً أصول الكافي ج ١ ص ٢٥٦ باب نادر فيه ذكر الغيب الحديث ٢.

وروى الحميري في قرب الإسناد ص ١١٦ الحديث ٤٠٥ باسناده عن الحسين بن علوان عن الصادق عليه السلام قال: كنت عنده جالساً إذ جاءه رجل فسأله عن طعم الماء... فأقبل أبو عبدالله عليه السلام ثمّ قال:

«طعم الماء طعم الحياة، إنّ الله جلّ وعزّ يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾».

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

لأنّ الاستواء ليس إلاّ بمعنىٰ الإستيلاء، وإذا كان كذلك فخصوصيّة العرش به يكون من حيث إنّه أعظم الأشياء وأعظم الأجسام.

والإستيلاء على أعظم الأشياء يستلزم الإستيلاء على أحقرها بطريق الأولوية.

وهاهنا أبحاث من حيث المعقول ليس هذا موضعها فافهم ذلك جدّاً، والله أعلم بحقايق الأشياء ودقايقها، وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

(التراب الحقيقي هو العلوم الظّاهرة)

وأما التّراب الحقيقي الّذي بإزاء هذا الماء بحكم العقل والنّقل، عبارة عن العلوم الظّاهرة الّتي هي كالتراب بالنّسبة إلى تلك، والقشر إلى تلك اللُباب، فكما يكون المراد بالماء الحقيقي العلوم الرّوحانيّة والمعارف القدسيّة، يكون المراد بالتراب الحقيقي العلوم المحسوسة الكسبية والمعارف الفكريّة الحدسيّة، لأنّ المراد بالتّراب في جميع المواضع لو كان التراب الصرف لم يقل الحقّ تعالىٰ في حقّ آدم ﷺ:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩].

لأنّ آدم خلقه ليس من التراب فقط، بل من التراب وغيره من العناصر، بحيث يكون التراب جزء من أجزاء بدنه، لكن من جهة الأغلبيّة أشار إليه، وكذلك الحيوان بل وكلّ موجود، لأنّ إبليس أيضاً لم يكن مخلوقاً من نار صرف حيث قال:

﴿خَلَقتني من نار﴾ [الاعراف: ١٢].

بل من العناصر الأربعة، لكن نسب نفسه إلى النّار للأغلبيّة، لأنّ جزء النار أغلب في الجنّ الّذين منهم الشيطان من أجزاء أخر، فحينئذ يكون المراد بالتّراب الأرض وماعليها من المركبّات في خلق آدم، وبالنّسبة إلى الماء الحقيقي يكون العلوم الظاهرة الحاصلة من الحسّ بمعاونة الفكر.

وإذا تقرّر هذا فكلّ علم يكون منبعه ومنشأهُ الحواسّ الظاهرة والباطنة كالعلوم الكسبيّة المذكورة، نسبته إلى التّراب أولى وأنسب، وكل علم يكون منبعه ومنشأه الكشف والفيض من العلوم الإلهيّة والمعارف الرّبانيّة المعبّر عنها بالوحي والإلهام واللدنّي وغير ذلك، نسبته الى الماء أولى وأنسب، وإليهما أشار الحقّ تعالى في قوله:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦].

وقد سبق: أنّ المراد بهذا الفوق: العالم الروحاني والعلوم النازلة منه، وبالتّحت: العلوم الجسماني والعلوم الحاصلة منه، لأنّ قول المفسرّين في هذا المقام ليس على الأصل الصّحيح، لأنّهم قالوا: المراد بأكل الفوق: المطر، وبأكل التحت النبات، وليس هذا بصحيح لأنّ المطر والنّبات يحصل (يحصلان) لمن يقوم بالتوراة والإنجيل والقرآن ولغيره من الإنسان والحيوان اللّذين ليس لهم هذا القيام، والحال أنّ حصول هذين الأكلين موقوف على قيام التوراة والإنجيل والفرقان، ووجود المشروط بدون الشرط مستحيل ممتنع، وهذا لا يخفى على اللّبيب الفطن.

فأهل الطريقة إذا لم يكن لهم تمكّن من طهارة الباطن بماء العلوم الحقيقيّة لمانع من الموانع يجوز لهم التوجّه إلى العلوم الظاهرة المذكورة

لاستعمال الباطن وصفائه بقدرها، لأنّ العلوم الظّاهرة في المناسبة كالشريعة، والعلوم الباطنة كالطريقة، والّتي فوقهما من المعارف كالحقيقة.

فالسّالك إن لم يتمكّن من القيام والطّهارة من حيث الطريقة باستعمال الماء الحقيقي الّذي هو العلوم الحقيقيّة، يجوز له القيام بالشريعة وطهارة ظاهرة بها، لأنّ طهارة الظّاهرة على التدريج يؤدي إلى طهارة الباطن، ومن هذا أشار إلى علّة التيمّم وسببه مفصّلاً مبيناً وقال:

﴿وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء: ٤٣].

﴿مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

هذا وجه، وجه آخر وهو:

أنّه تعالىٰ أمر عبده بأنّه يرجع إلى طهارة النّفس بمعاونة البدن الّذي هو التّراب الطّيب، بقيامه بالوظايف الشرعيّة إن لم يتمكّن من طهارة النّفس بمعاونة العقل الّذي هو كالماء في حصول الطّهارة الحقيقيّة، وغرضه من ذلك ليحصل لعبده طهارة الظاهر قبل طهارة الباطن، لأنّ طهارة الظاهر معدّات (معدّة) لطهارة الباطن كما سبق ذكره، وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ:

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٤ - ٥].

لأنّ المراد بالثياب البدن وماشتمل عليه من أفعال الظاهر، وبطهارته الطهارة الشّرعيّة، وبالرجز تعلّقه بالدّنيا وتلوّثه بها، فإنّ الدّنيا جيفة وطالبها

كلاب.

ويجوز ان يكون ذلك إرشاداً للسّالك برجوعه إلى الفناء الأصلي والعدم الجبلي قهقهراً، المسمّىٰ: بالتراب الّذي هو منه بحسب الظاهر والبدن، وبالماء الّذي هو أصله أيضاً بوجه آخر، أما التراب فلقوله:

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الرّوم: ٢٠].

وأمّا العدم فلقوله:

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئاً﴾ [مريم: ٩].

أعني إن لم يتمكّن السالك من أستعمال الماء الحقيقي وتحصيله لطهارة الباطن من الأحداث العارضة عليه، فليرجع إليه وإلى خلقته الترابيّة الّتي هي أرذل الأشياء، وأخسّها، ليحصل له بذلك الكسر التّامّ والمذلّة الكّليّة، ويصل بها إلى مقام الفقر والإنكسار الموجبان للدخول إلى حضرة العزّة المعبّرة عنها بالجنّة لقوله:

«أنا عند المنكسرة قلوبهم»(٢٨).

---

(٢٨) قوله: أنا عند المنكسرة قلوبهم.

رواه المجلسي في البحار ج ٧٣، ص ١٥٧، الحديث ٣، عن «دعوات» الراوندي عن النبيّ ﷺ:

سُئل أين الله؟ فقال: «عند المنكسرة قلوبهم».

وروى الأنصاري في تفسيره «كشف الأسرار وعدّة الأبرار» ج ١ ص ١٣٥ وقال: قال تعالىٰ لبعض أنبياءه: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي».

وذكر مثله أيضاً صدر المتألهين الشيرازي في تفسيره ج ١ ص ٣٧، نقلاً عن رسول الله ﷺ.

ولقول عارفي عباده:

«إذا تمّ الفقر فهو الله»(٢٩).

وكذلك الإستغراق في بحر ماء الحياة الأبديّة الّتي بها تحصل الطهارة الحقيقيّة المشار إليها، والدخول في بيت الله الأعظم والمسجد الأقصىٰ وبيت الله الحرام المحرم على غيره الدّخول فيه.

وإلى الوجه الأخير المتمثل بالتراب والفقر والإنكسار أشار الشيخ قدّس الله سرّه في فتوحاته في فصل مفرد(٣٠).

وقال: القصد إلى الأرض من كونها ذلولاً، وهو القصد الى العبوديّة مطلقاً، لأنّ العبوديّة هي الذلّة والعبادة منها.

فطهارة العبد إنّما يكون باستيفاء مايجب أن يكون العبد عليه من

➲ وروى الأنصاري أيضاً في تفسيره ج ٦ ص ٣٧١ عن داود النبي ﷺ إنّه أوحىٰ الله سبحانه وتعالىٰ له: ياداود طهّر لي بيتاً أسكنه، قال: أي ربّ: أيّ بيت يسعك؟ قال: قلب عبدي المؤمن، إلى أن قال: «أنا عند القلوب المحمومة».

(٢٩) قوله: «إذا تمّ الفقر فهو الله»

ذكره أيضاً عبد الرزّاق القاساني في شرح منازل السائرين في باب الغربة،

قال الأنصاري (الماتن):

الدرجة الثالثة: غربة الهمّة، وهي غربة طلب الحقّ، وهي غربة العارف... الى أن قال: فغربة العارف غربة الغربة، لأنّه غريب في الدنيا والآخرة.

قال القاساني في شرحه: إذ لا يعرفه أحدٌ من أهل الدنيا ولا من أهل الآخرة، وهو كمال الفقر الّذي هو «سواد الوجه في الدارين» ولذلك قيل: «إذا تمّ الفقر فهو الله».

(٣٠) قوله: في فتوحاته في فصل مفرد.

ذكره الشيخ الأكبر في «الفتوحات المكيّة» ج ١ ص ٣٧٠، وج ٥ ص ٤١٢ طبع عثمان يحيىٰ، الباب الثامن والستّون.

الذّلة والإفتقار، الوقوف عند مراسم سيّده، وحدود أحكامه، وإمتثال أوامره، فإنّ فارق النظر من كونه أرضا،فلا يتميّم إلاّ بالتّراب من ذلك، لأنّه من تراب خُلق مَن نحن أبناؤه، وبما بقيَ فيه من الفقر والفاقة، من قول العرب: «تَرِبَتْ الرّجل» إذا أفتقر(٣١).

ثمّ إنّ التّراب أسفل العناصر فوقوف العبد مع حقيقته من حيث نشأته، طهوره من كلّ حدث يخرجه من هذا المقام، وهذا لا يكون إلاّ بعدم وجدان الماء، والماء العلم.

فإنّ بالعلم حياة القلوب، كما بالماء حياة الجسد أو حياة الأرض، فكأنّه حالة المقلّد في العلم بالله، والمقلّد عندنا في العلم بالله، هو الّذي قلّد عقله في نظره في معرفته بالله من حيث الفكر: (فكره)، فكما أنّه إذا وجد المتيمّم الماء، أو قدر على استعماله بطل التيمّم، كذلك إذا جاء الشّرع بأمر مّا من العلم الإلهي بطل تقليد العقل لنظره في العلم بالله في تلك المسألة، ولاسيّما إذا لم يوافقه في دليله كان الرّجوع بدليل العقل إلى الشّرع، فهو ذو شرع وعقل معاً في هذه المسألة، فاعلم ذلك.

فإنّه ينفعك كثيراً في إدراك أسرار العبادات.

---

(٣١) قوله: تَرِبتْ يدُ الرجل.

قال الطرابلسي في «فرائد اللآلي» ص ١١٠:

فَترِبَتْ يداكَ ياراجيهِ وبِتَّ مِن مكروهِهِ في تِيهِ

يقال للرجل إذا قلّ ماله قد تَرِبَ أي أفتقر حتىٰ لَصِق بالتراب، وهي كلمة جارية على ألسنة العرب يقولونها ولا يرون وقوع الأمر. ومنه الحديث: «عليك بذات الدين تَرِبَتْ يداك»، وراجع أيضاً «مجمع الأمثال» للميداني ج ١ ص ١٨٢، الرقم ٦٦٢.

وقد أشار أيضاً إلىٰ تقسيم الماء وتخصيصه بالعلوم الحقيقيّة المتنوعّة، وتقسيم التّراب وتخصيصه بالعلوم المجازيّة المتفنّنة، في فصل مفرد[(٣٢)] تركناه خوف الإطالة والملالة، المراد واحد وهو الّذي ذكرناه، وبيّناه.

وبالجملة يجب على السالك التيّمم على الوجه المذكور، ليحصل له التمكّن عن استعمال الماء المذكور الّذي هو العلوم الحقيقيّة.

وترتيب هذا التيّمم: وهو أن يمسح وجهه أوّلاً بالتراب المذكور أي يطهّر سرّه وحقيقته من كلّ حدث كلّ تعلّق، وخبث كلّ محبوب غيره تعالىٰ، ويزيّن ظاهره بالأعمال الشرعيّة والقوانين النبويّة.

ثمّ يمسح يمينه أي قلبه ليطهّره من التعلّق بالآخرة ومايتعلّق بها من النعيم والحور والقصور وأمثال ذلك.

ثم يمسح شماله أي نفسه من التعلّق بالدّنيا ومايتعلّق بها من المال والجاه وذكر الخير وأمثال ذلك، فانّ طهارتهما ليست إلاّ بتركهما، أعني طهارة اليمين والشمال ليست إلاّ بترك الدّنيا والآخرة كما مرّ ذكره غير مرّة، ولهذا شرط فيه مسّ ظاهر اليمين بباطن اليسار ومسّ ظاهر اليسار بباطن اليمين، لئلاّ يخالف ظاهره باطنه، وباطنه ظاهره، وتكون طهارة هذا معيناً لطهارة ذاك وبالعكس.

وذلك تقدير العزيز العليم وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

---

(٣٢) قوله: في فصل مفرد.

ذكره الشيخ الأكبر محي الدين في الفتوحات المكيّة ج ١ ص ٣٣٢، وطبع عثمان يحيىٰ ج ٥ ص ١٤٧.

وأمّا تيّمم أهل الحقيقة

(الفناء عن عالم الظاهر)

فالتيّمم عندهم عبارة عن فنائهم عن عالم الظاهر بأسره، أعني منه ومما أشتمل عليه من البسائط والمركبّات، لانّ هذا يطهّرهم عن الإنانيّة والغيّرية اللازمة لتعلّقهم بالدّنيا ومافيها، وذلك لأنّ عالم الظّاهر المعبّر عنه بالملك بمثابة التّراب، كما أنّ عالم الباطن المعبّر عنه بالملكوت بمثابة الماء، لانّ الله تعالىٰ مايشير إلى عالم الملك في أكثر المواضع إلاّ بالأرض، كما لا يشير إلى عالم الملكوت في أكثر المواضع إلاّ بالسماء، والأرض لها مناسبة بالتراب لثقلها وكثافتها، وبل هي التراب حقيقة، والسّماء لها مناسبة بالماء للطفها وخفتها وبل هي الماء حقيقة لأنّها من الماء وجدت بإتفاق أهل الشرع وبتطبيق الأفاق بالأنفس، وبيان ذلك وهو:

(في بيان فناء الفناء)

أنّهم إذا فرغوا من طهارة باطنهم بإفناء الرّوحانيات الّذي هو كالنيّة في الطهارة وكالماء في استعماله، شرعوا في طهارة ظاهرهم بإفناء

الجسمانيّات الّذي هو كالفعل في الطهارة وكالتراب في تيمّمه، وهذا هو المعبّر عنه عند أهل الله بفناء الفناء.

والفرق بين أهل الطريقة في هذه الطهارة وبين أهل الحقيقة، وهو أنّ أهل الطّريقة يتطهّرون في الطهارتين عن الأخلاق الذميمة والملكات الرديّة باتّصافهم بالأخلاق الحميدة والملكات الحسنة.

وأهل الحقيقة يتطهّرون فيهما عن الإنانيّة، والبقيّة المودّية إلى الإثنينيّة والغيريّة، لقول النبيّ ﷺ:

«وإنّه ليُغانُ على قَلبي وإنّي لأستغفِرِ الله في كلّ يوم وليلة سبعين مرّة» (٣٣).

---

(٣٣) قوله: إنّه ليغان على قلبي... إلى أن قال: سبعين مرّة.

أخرج مسلم في صحيحة ج ٤ كتاب الذكر باب ١٢ باب استحباب الاستغفار الحديث ٤١ ص ٢٠٧٥، باسناده عن الأغرّ المُزنيّ عن رسول الله ﷺ قال:

«إنّه ليُغان على قلبي، وإنّي لأستغفرُ الله في اليوم مائة مرّةٍ».

وفي الحديث ٤٢ بإسناده عن ابن عمر، عن رسول الله ﷺ قال:

«أيّها الناس! توبوا إلى الله، فإنّي أتوب في اليوم إليه مائة مرّةٍ».

وأخرج قريب منه الدارمي في سننه ج ٢ ص ٣٩١، كتاب الرقاق، باب ١٥، الحديث ٢٧٢٣ باسناده عن حذيفة عن النبيّ ﷺ.

وأيضاً ابن ماجة في سننه ج ٢ ص ١٢٥٤، كتاب الأدب باب ٥٧ وأيضاً ابن حنبل في مسنده ج ٥ ص ٤١١، باسناده عن أبي بردة عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ عنه ﷺ، وأيضاً ج ٤ ص ٢٦١.

وأخرج البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب ٧٠٥، الحديث ١١٧، بإسناده عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

ـــ

← «والله انّي لأستغفرُ الله وأتوب في اليوم أكثر من سبعين مرّة».
وأخرج مثله أبن حنبل في مسنده ج ٢ ص ٢٨٢.
وأخرج ابن ماجة في المصدر الحديث ٣٨١٦ بإسناده عن أبي بردة عن أبيه، عن جدّه، عن رسول الله ﷺ قال:
«إنّي لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم، سبعين مرّةً».
وأخرج مثله الترمذي في «الجامع الصحيح» ج ٥ كتاب تفسير القرآن سورة ٤٧ باب ٤٨ ص ٣٨٣ الحديث ٣٢٥٩، بإسناده عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ.
روى الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ كتاب الدّعاء باب الإستغفار ص ٥٠٤ الحديث ٥، بإسناده عن الحارث بن مغيرة، عن أبي عبدالله الصادق ؑ قال:
«كان رسول الله ﷺ يستغفر الله عزّ وجلّ في كلّ يوم سبعين مرّة ويتوب إلى الله عزّ وجلّ سبعين مرّة»، قال: قلت: كان يقول: أستغفر الله و أتوب إليه؟ قال: «كان يقول: أستغفر الله، استغفر الله، سبعين مرّة، ويقول: وأتوب إلى الله وأتوب إلى الله سبعين مرة».
هناك تسائل في بعض الأذهان بأنّ أمثال هذه الأحاديث والأدعية لا تنسجم عصمة النبيّ الأعظم ﷺ والأئمة أهل البيت ؑ.
نقول: نذكر في المقام بعض الأحاديث الأخرىٰ الّتي يوجد جواب ذلك السؤال فيها، إضافة إلى ذلك سنشير أيضاً إلى مقام الإنسان الكامل الّذي هو مظهر الجمال والجلال وهو «عند مليك مقتدر» دائماً:
روى الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ كتاب الأيمان والكفر باب نادر أيضاً الحديث ١ بإسناده عن ابن بكير، عن أبي عبدالله الصادق ؑ قال:
«إنّ رسول الله ﷺ كان يتوب إلى الله في كل يوم سبعين مرّة من غير ذنب».
وروى في الحديث ٢ من الباب باسناده عن عليّ بن رئاب، عن الصادق ؑ قال:
«إنّ رسول الله ﷺ كان يتوب إلى الله ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مرّة من ←

⬅ غير ذنب».

وروى مثله الصدوق في «معاني الاخبار» باب نوادر الأخبار ص ٣٨٣ الحديث ١٥.
وروى أيضاً عبدالله بن جعفر الحميري في «قرب الإسناد» ص ١٦٨، الحديث ٦١٨،
وعنهما البحار ج ٤٤، ص ٢٧٥، الحديث ٢ و ٤.

وروى الكليني في المصدر ص ٥٠٤ كتاب الدّعاء باب الإستغفار الحديث ٤، بإسناده عن طلحة بن زيد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان لا يقوم من مجلس وإن خفّ حتّى يستغفر الله عزّ وجلّ خمساً وعشرين مرّة».

وفي الباب الحديث ١ بإسناده عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:
«خير الدّعاء الإستغفار».

وفي الحديث ٦ روى بإسناده عن حسين زيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **«الإستغفار، وقول: لا إله إلاّ الله، خير العبادة».**

روى الكليني في ج ٢ أصول ٨٤ باب العبادة، الحديث ٥، بإسناده عن الصادق عليه السلام قال:
«العبادة ثلاثة: قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً، فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالىٰ طلب الثواب، فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ حبّاً له، فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة».

وفي نهج البلاغة الحكمة ٢٣٧ قال أمير المؤمنين عليه السلام:
«إنّ قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التّجار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار».

روى الكليني في ج ٢ أصول الكافي ص ٩٥ الحديث ٦ باب الشكر بإسناده عن الباقر عليه السلام: قال:
«كان رسول الله عند عائشة ليلتها، فقالت: يارسول الله لِمَ تتعب نفسك وقد غفر الله لك ماتقدّم من ذنبك وماتأخّر؟ فقال: ياعائشة! ألا أكون عبداً شكوراً».

⬅

راجع في نفس الحديث التعليق ٨٥ وتفسير الدّر المنثور ج ٧ ص ٥١٢ سورة الفتح الآية ٢.

في «مصباح الشريعة» باب ٨٠، قال الصادق ﷺ:

«كان رسول الله ﷺ يصلّي حتّىٰ يتورّم قدماه ويقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً»، أراد أن يعتبر به أمّتُه، فلا يغفلوا عن الإجتهاد والتعبّد والرياضة بحال، ألا وإنّك لو وَجدتَ حلاوة عبادة الله ورأيت بركاتها واستضأت بنورها لم تصبر عنها ساعةً واحدةً ولو قُطِعتَ إرباً إرباً، فما أعرض مَن أعرض عنها إلاّ بحرمان فوائد السلف من العصمة والتوفيق».

في «الإحتجاج» للطبرسي ج ١ ص ٣٢٦، عن عليّ أمير المؤمنين ﷺ قال:

«كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة سمع لصدره وجوفه أريزٌ، كأريز المرجل على الأثافيّ مِن شدّة البكاء، وقد آمنه الله عزّ وجلّ من عقابه، فأراد أن يتخشّع لربّه ببكائه، ويكون إماماً لِمن اقتدىٰ به، ولقد قام ﷺ عشر سنين على أطراف أصابعه حتّى تورّمت قدماه، وأصفر وجهه، يقوم الليل أجمع حتّى عوتب في ذلك، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿طه* ماأنزلنا عليك القرآن لتشقىٰ﴾، بل لتسعد به، ولقد كان يبكي حتّى يغشىٰ عليه، فقيل له: يارسول الله أليس الله عزّ وجلّ قد غفر لك ماتقدّم من ذنبك وماتأخّر؟ قال: بلىٰ، «أفلا أكون عبداً شكوراً».

عنه البحار ج ١٧ ص ٢٨٧.

في تفسير القمي ج ٢ ص ٣١٤ - سورة الفتح، روى بإسناده عن يزيد بياع السابري، قال: قلت لأبي عبدالله ﷺ قول الله في كتابه: **﴿ليغفر لك الله ماتقدّم من ذنبك وماتأخّر﴾.**

قال: **«ما كان له من ذنب ولاهمّ بذنب ولكن الله حمله ذنوب شيعته، ثمّ غفرها له».**

لا بأس بذكر كلمات بعض العلماء من السنّة والشيعة في المقام مزيداً للفائدة:

الف - قال الرازي في تفسيره ج ١٥ ص ٩٧، سورة الأعراف الآية ٢٠٠:

«أحتجّ الطاعنون في عصمة الأنبياء ﷺ بهذه الآية وقالوا: لولا أنّه يجوز من

الرسول الإقدام على المعصية أو الذنب، وإلاّ لم يقل له:
﴿وإمّا ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله﴾.
والجواب عنه من وجوه:
الأوّل، أنّ حاصل هذا الكلام إنّه تعالىٰ قال له: إن حصل في قلبك من الشيطان نزغ، (ولم يدل ذلك على الحصول) كما أنّه تعالىٰ قال: ﴿لئن أشركت ليحبطنّ عملك﴾ [الزمر: ٦٥]، ولم يدلّ ذلك على أنّه أشرك، وقال: ﴿لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ولم يدلّ ذلك على أنّه حصل فيهما آلهة.
الثّاني، هب أنّا سلّمنا أنّ الشيطان يوسوس للرسول ﷺ، إلاّ أنّ هذا لا يقدح في عصمته ﷺ، إنّما القادح في عصمته لو قبل الرسول وسوسته، والآية لا تدلّ على ذلك.
الثالث، هب أنّا سلّمنا أنّ الشيطان يوسوس إليه، وأنّه ﷺ يقبل أثر وسوسته، إلاّ أنّا نخصّ هذه الحالة بترك الأفضل والأولى، قال ﷺ:
«وإنّه ليغن على قلبي وإنّي لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرّة»
هذا ماقاله الرازي إلاّ أنّ الثالث منه ليس بدقيق كما أنّ الأوّل والثاني ليسا بأدق.
ب - قال الأربلي في «كشف الغمّة في معرفة الأئمّة» ج ٣ ص ٦٢، في ذكر الإمام السابع أبي الحسن موسىٰ الكاظم ؑ باب دلائل الامام موسىٰ الكاظم ؑ: فائدة سنيّة: كنت أرىٰ الدعاء الّذي كان يقوله أبو الحسن موسىٰ ؑ في سجدة الشكر وهو:
«ربّ عصيتُك بلساني ولو شئت وعزّتك لأخرستني، وربّ عصيتُك ببصري ولو شئتَ وعزّتك لأكْمَهْتني، وعصيتُكَ بسمعي ولو شئتَ وعزّتك لأصَمْمَتني، وعصيتكَ بيدي ولو شئت وعزّتك لمنعتني، وعصيتك بفرجي ولو شئت وعزّتك لأعقمتني، وعصيتك برجلي ولو شئت وعزّتك لجَذَمتَني، وعصيتك بجميع جوارحي الّتي أنعمتَ بها عليّ ولم يكن هذا جزاك منّي».
فكنت افكّر في معناه وأقوال: كيف يتنزّل على ماتعتقده الشيعة من القول بالعصمة؟
فهداني الله إلى معناه ووفّقني على فحواه، وتقريره: أنّ الأنبياء والأئمة ؑ تكون

أوقاتهم مشغولةٌ بالله تعالىٰ، وقلوبهم مملوءةٌ به، وخواطرهم متعلّقة بالملأ الأعلىٰ، وهم أبداً في المراقبة، وكما قال ﷺ: «أعبد الله كأنّك تراه فان لم تكن تراه فإنّه يراك».
فهم أبداً متوجهون إليه ومقبلون بكلّهم عليه، فمتىٰ انحطّوا عن تلك الرتبة العالية، والمنزلة الرفيعة إلى الإشتغال بالمأكل والمشرب، والتفرُّغ إلى النكاح وغيره من المباحات عدّوه ذنبا واعتقدوه خطيئة، واستغفروا منه». انتهىٰ.
ولله درّه، ماذكره أدّق لا ريب فيه ولكن استشهاده بذلك الحديث الوارد عن الرسول الأعظم في معنىٰ الإحسان ليس بأدق بل، ليس بدقيق، لأنّه ولو أنّ الّذي جاء في الحديث من المقام والمنزلة، مقام رفيع، ومنزلة عزيزة جدّاً، ولكن ليس مناسباً ولا ينسجم لشأنهمﷺ لأنّهم الذين يعبدون الله، وأنّهم يرونه، لا كأنّهم يرونه، كما قال عليّ عليه أفضل الصلاة والسلام: «لو كشف الغطاء ماأزددت يقيناً».
وقال: «لم أعبد ربّاً لم أره»، «أفأعبد رباً لم أره» [نهج البلاغة: ح ١٧٨].
وأمّا في الّتي جاءت في الحديث من رتبة الإحسان يوجد حجاب الكاف وهو مع أنّه شأن كبير ولكن يرتبط لخواصّ الرعيّة من أهل اليقين والمعرفة كما ورد في حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري قال: «كأني أنظر إلى عرش ربّي»، أصول الكافي ج ٢ ص ٥٤ الحديث ٣ باب حقيقة الإيمان واليقين. وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ٣ ص ٤٧٦، التعليق ٢٢٢.

ج - قال المولىٰ محمّد صالح المازندراني في «شرح أصول الكافي» ج ١٠ ص ١٧٦:
«التوبة وهي الرجوع ممّا يوجب الغفلة عن الحقّ إليه، كما تكون من الكفر والمعصية كذلك تكون من الغفلة عن ذكر الحقّ ولو لحظة إليه، فإنّها أصل من أصول المعاصي، ولو فرض عدم الغفلة أصلاً ودوام اشتغال القلب بالذكر والتفكّر، فلا ريب في أن مقامات الذكر متفاوتة لأجل الاشتغال بالأمور الدنيويّة مثل المشارب والمآكل والمناكح وغيرها، فالكون في الدرجة التحتانية نقص بالنسبة إلى الكون في الدرجة الفوقانيّة، ولا ريب في أنّ التوبة

منه أيضاً مطلوبة، ولعلّ توبتهﷺ كانت من هذا القبيل».

د - قال المجلسي في «البحار» ج ٤٤ ص ٢٧٦:

«إنّ الأستغفار يكون في غالب الناس لحطّ الذنوب وفي الأنبياء لرفع الدرجات» إنتهى.

هـ - حيث إنّ معنىٰ «حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين» يجري في أيّة منزل ومنزلة بحسبها، يكون معنى الإستغفار والهدف منه أيضاً في كلّ مرحلة بحسب تلك المرحلة والرتبة.

ومعلوم أنّ السفر الرابع من الأسفار الأربعة للسلوك، الّذي هو الرجوع إلى الخلق بالحقّ، لتكميل النفوس البشريّة، قال سبحانه وتعالىٰ:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]

نفس هذا السفر مع أنّه أمرٌ عظيم، وسبب لهداية الناس من الشرك والضلالة، وهكذا وسيلة لإيصالهم إلى المطلوب يعني التوحيد والعبوديّة، مع ذلك نفس هذا المقام والمنزلة يعتبر بالنسبة إلى الإنسان الكامل حين اشتغاله لهداية الناس وتبليغ دين الله سبحانه وتعالىٰ، وحين حشره مع الناس، منافيا لرتبته من الوجود ومقامه الّذي هو المقام العنديّة المطلقة كما قال تعالىٰ:

﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ [القمر: ٥٥].

وقال:

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٧-٩]

وقال النبيّ الأكرمﷺ:

«لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل»

لأنّه مَظهر لِـ «يامَن لا يشغله شيء عن شيء».

هذا هو الّذي يكون سبباً لحزنهم وشجىٰ روحهم واحتراق قلبهم وصَهر وجودهم،

ولقول عارف أمّته:

بـيني وبـينك إنـيّ يـنازعني   فارفع بفضلك إني من البين[٣٤]

والغين المشار اليه في قول النبيّ ﷺ ليس إلاّ رجوعه إلى عالم الكثرة للدعوة والإرشاد الّذي من مقتضىٰ التكميل، وعالم البشريّة لقوله:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠].

وقوله: ﴿إلاّ بلاغاً من الله﴾ [الجن: ٢٣]. يشهد بذلك.

والتجرّد التامّ والوحدة الحاصلة له في بعض الأوقات بحكم قوله:

«لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل»[٣٥].

يشهد بأنّه كان في عالم الوصول والقرب التام الّذي هو من اقتضاء

فصدر منهم عليهم أفضل صلوات المصلّين تلك الأدعية والمناجات الّتي لم تصدر ولن تصدر من غيرهم أبداً. والله العالم.

نعم بما أنّهم أي الأنبياء وأئمّة أهل البيت ﷺ كانوا أسوة للخلق، ويجب علينا أن نطيع قولهم ونتّبع عملهم، وهم الهادون المهديّون بقولهم وعملهم، وأتّباعهم طريق وحيد للوصول إلى الكمال والفلاح وللنجاه والنجاة:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

إذن يكون دعاءهم ومناجاتهم (من حيث اللفظ والمعنىٰ والكيفيّة) هداية وتعليماً لنا أيضاً.

(٣٤) قوله: بيني وبينك.

قاله الحلاج، راجع تفسير المحيط الأعظم، ج ٣، ص ٦٨، التعليق ٣٧.

(٣٥) قوله: لي مع الله.

رواه المجلسي في بحارالانوار ج ٨٢ص ٢٤٢، و ج ١٨ ص ٣٦٠ مع زيادة: «ولا عبد مؤمن إمتحن الله قلبه للإيمان»، و راجع تفسير المحيط الأعظم ج ٣ ص ٦٩ التعليق ٣٨، و ص ١٢٢ التعليق ٦٧.

عالم البقاء، و ﴿قاب قوسين أو أدنىٰ﴾ ذلك المقام، و ﴿أنا بشر مثلكم﴾ من أقتضاء المقام الأوّل.

وكذلك الطّهارتين أعني: الطّهارة المائيّة والطهارة الترابيّة المعبّر عنهما بإفناء عالم الملك والجسمانيّات وإفناء عالم الملكوت والروحانيّات. ونفض اليدين بعد ضربهما على التراب في التيمم إشارة إلى نفض اليدين عن العالمين بعد التعلّق بهما، فافهم جدّاً فإنّه لطيف.

وترتيب هذه الطّهارة وهو أن يضرب العارف بيديه اللّذين هما العقل والنّفس على أرض عالم الظاهر وعالم الباطن ونفيهما عن النظر بالكلّي، ثمّ ينفض أيدهما المذكورتان عن رؤية هذا الفناء بالكلّي أيضاً، ثمّ يمسح بهما وجهه الحقيقي المعبّر عنه بالسّر تارة، وبالرّوح أخرىٰ، حتّىٰ بقي من محبّة العالمين عنده شيء أم لا.

ثمّ يمسح لكلّ واحدة من اليدين المعبّر عنهما بالعقل والنفس، ظهر كلّ واحدة منهما وبطنهما، ليعرف حقيقة أنّه بقي عليهما من التعلّق بالعالمين أثر أم لا؟ فإنّ التعلّق بالغير مطلقا قليلا كان أو كثيراً يمنع عن الطهارة الحقيقيّة مائيّة كانت أو ترابيّة.

فيجب على السالك التفتيش لظاهره وباطنه مع إفنائهما على أنّه بقي فيهما شيء من التعلّق بالعالمين أم لا، ويعضد ذلك قوله ﷺ:

«الدّنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام أهل الدنيا وهما حرامان على أهل الله»[٣٦].

---

(٣٦) قوله: الدنيا حرام.

وقد سبق أيضاً أنّ محبّة الدنيا والآخرة حجاب وشرك، ومع وجود الحجاب والشرك يستحيل حصول الطهارة المذكورة، فإنّ صاحب الحجاب والشرك نجس بحكم قوله تعالىٰ:

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

والطهارة والنجاسة ضدّان لا يجتمعان، فيجب أوّلاً رفع النجاسة، ثمّ الشروع في الطهارة على الوجه الّذي بيّناه، وإليه الإشارة بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدّثر: ٥ - ١٠].

لأنّ قوله: وثيابك فطهّر إشارة إلى طهارة الظاهر كما مرّ ذكره، والرجز فاهجر، إلى طاهرة الباطن بهجرانه الرجز المعبّر عنه بالشرك والحجاب والغيريّة، وأمثال ذلك في القرآن والأخبار كثيرة فاطلب من مظانّها.

هذا آخر الطهارات الثلاث من الوضوء والغسل والتيّمم بقدر هذا المقام، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

وأمّا معرفة القبلة والوقت والمكان وأخواتها فتلك تطلب من مظانّها من الكتب الفقهيّة، فإنّ هذا البحث قد طال ولا يحتمل أكثر من ذلك، مع أن هناك أبحاث أخر لابّد منها كما ستعرفها. وإذا فرغنا من المقدّمات فلنشرع في حكمة أوضاع الصّلاة الّتي هي أيضاً من الأبحاث الموعودة عند بحث الفروع، وهي هذه وبالله العصمة والتوفيق.

راجع التعليق ١٠.

ضابطة كلّية في حكمة أوضاع الصّلاة على الوضع المخصوص مطابقاً للعقل والنقل والكشف

(سرّ تطبيق الأحكام والعبادات للأزمنة والأمكنة)

إعلم أيّها السامع كحّل الله عين بصيرتك بنور الهداية والتوفيق، إنّ جميع الأوضاع الإلهيّة والقوانين الربّانيّة مبنيّة على رعاية الزمان، والمكان، والإخوان، صوريّة كانت أو معنويّة أو كلاهما.

أمّا **الزمان** فمثل زمان الصلوات، والصّوم، الزكاة، والحجّ، والجهاد، وغير ذلك من الأعياد والزيادات والإجتماعات المستحسنة.

وأمّا **المكان** فمثل مكّة،ومدينة، والمسجد الحرام، والكعبة، والمسجد الأقصى، والصخرة، والمسجد الكوفة، ومسجد البصرة، ومدافن الأنبياء والأولياءعليهم السلام، ومشاهد الأئمة المعصومين من أهل البيتعليهم السلام.

وأمّا **الإخوان** فكالأنبياء والرسل والأولياء والأوصياء وأولوا العزم من الرسل والأئمة الراشدين وخلفاء الله في الأرضين والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، ثمّ الملائكة على العموم، ثمّ جبرئيل وميكائيل

وإسرافيل وعزرائيل على الخصوص وأمثالهم من الملائكة وعباد الله الصالحين، وبيان ذلك مفصّلاً وهو:

(الشرف في الأزمنة و الأمكنة)

أنّ الزمان من حيث الزمان وإن كان واحداً لكن فيه زمان مخصوص بوقت الصّلوات والصوم والعبادات المذكورة، بحيث لا تحصل تلك العبادات بدونه، وذلك من خصوصيّته وشرفه علىٰ باقي الزمان المطّلع عليه النبيّ أو الرسول بالوحي الخاصّ من عند الله، كما أنّ الصّلاة مثلاً، فإنّها لا تصحّ بعد وقتها، وكذلك جميع العبادات، ومثال ذلك مثال شخص يتوفّى ويوصي لأولاده بكنزٍ في موضع معيّن، ويعيّن لهم أنّ من الحايط الفلاني يعدون عشر خطوات الى الجانب الفلاني ويأخذون الكنز، فأولاده لوعدّوا إحدى عشر خطوات مالقيوا الكنز، وكذلك التسع، فيجب محافظة الأعداد ورعاية الجانب المعيّن حتّى يلقون كنزهم.

فكذلك في العبادات والأزمان المقرّرة لها، فإنّها لو وقعت مثلاً في غير وقتها لا يقبل منها شيء ولا يحصل لصاحبها ثواب أصلاً.

وكذلك المكان، لأن المكان من حيث هو المكان وإن كان واحداً لكن لبعض الأمكنة خصوصيّة وشرف ليس لغيرها، ولا يحصل المقصود بدونه، كالكعبة والمسجدالحرام والمسجدالأقصى وغيرذلك منالأمكنة المذكورة.

وكذلك الإخوان لأنّ الإخوان من حيث هم إخوان وإن كانوا واحداً لكن لبعضهم خصوصيّة وشرف ليس للبعض الآخر منها شيء، كالأنبياء والرّسل والأولياء والأوصياء وأمثالهم.

وعند التحقيق لم يكن وضع الصلوات اليوميّة، وصلاة الجمعة والأعياد والحج وأمثال ذلك إلاّ لأجل إجتماع هذه الثلاث، فإنّ الصلوات اليوميّة في المحلاّت مشتملة عليها، وصلاة الجمعة والجماعة في المدينة كذلك، والحجّ والزيارات في الأقاليم كذلك، أعني المكان الّذي يصلون فيه الصلوات أو يحجّون فيه الحج ويقضون المناسك أو يزورون فيه الزيارات وهو مكان مخصوص معيّن موسوم ببيت الله وبيت عبيده «جامع للزمان والإخوان، لأنّ الصلاة لابّد لها من الوقت المعين في ذلك المكان، أو يحجّون فيه الحجّ، وذلك الجماعة هم الإخوان، فحصل في فعل واحد: المكان والزمان والإخوان.

والحكمة في ذلك إجابة دعائهم فيما يدعون الله من الخير، واستحقاق الفيض الإلهي على نفوسهم فيما يستحقونه بالإستحقاق الذاتي والإستعداد الجبلي الّذي لا يحصل بدون هذا الإجتماع على الأغلب وبل لا يمكن إلاّ به لأنّ لكلّ إجتماع وصورة، حكمة وفايدة لا توجد في غيرها كالأعداد مثلاً، فإنّ في الثلاث خاصيّة ليس في الأربع وبالعكس، وكذلك بالنسبة إلى جميع الأعداد من العشرة والمائة والألف ومابين هذه المراتب.

وقيل: إنّ هذا الترتيب وإن كان من إقتضاء ترتيب الوجود، لكن من حيث الحقيقة ليس إلاّ من اقتضاء حقيقة المحمّديّة الّتي هي جامعة لهذه المراتب صورة ومعنى، وإليه الاشارة بقوله:

«أوتيت جوامع الكلم».[٢٧]

---

(٣٧) قوله: أوتيت جوامع.

و: «بُعثتُ لأتمّم مكارم الأخلاق».[٣٨]

لأن هذا الكلام من إقتضاء التثليث الغالب عليه وعلى حقيقته كالنبّوة والرّسالة والولاية، والإسلام والإيمان والإيقان، والوحي والإلهام والكشف، وأمثال ذلك من حيث المعنىٰ، وكالمحبّة للطيب والنساء، والقيام بالصلاة وأمثالها من حيث الصورة لقوله:

«حبّب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرّة عيني في الصلاة».[٣٩]

ولهذا الأبحاث أسرار ستعرف في موضعها.

(إقامة العبادات جماعة تورث المحبّة بين المسلمين)

والغرض من تقديم هذه المقدّمات أنّه: لما أقتضى ذاته الإجتماعات بين الأشياء، والإئتلاف بين الموجودات خصوصاً بين نوع الإنسان، كان غالباً عليه وضع أمثال هذه الأوضاع الّتي توجب الإئتلاف والإجتماع، لأنّ العلّة الغائية من ظهوره وظهور الأنبياء والرّسل لم يكن إلاّ هذا،

➲ روي هذا الحديث المبارك عن النّبيّ ﷺ كثيراً و بتعابير مختلفة، و راجع تفصيله تفسير المحيط الأعظم ج ٣، ص ٣٦ التعليق ٢١.

(٣٨) قوله: بعثت لأتمّم.

راجع في ما يرتبط إلى مصادره و ما ورد في مضمونه تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص١٩٦ التعليق ٣، و ج ٣ص ٣٩ التعليق ٢٢.

(٣٩) قوله: حبّب إليّ.

الخصال باب الثلاثة ص ١٦٥ الحديث ٢١٨ و مسند ابن حنبل ج ٣ ص ١٢٨، و راجع أيضاً تفسير المحيط الأعظم ج ٣ ص ٣٥ التعليق ١٩.

ومعلوم أنّ إجتماع طايفة مخصوصة في موضع مخصوص على وضع مخصوص مراراً متعددة في يوم واحد أو أكثر أو أقلّ يكون موجباً لاشتداد المحبّة بينهم واستحكامه بقدر استعدادهم واستحقاقهم، كصلاة الجماعة في المحلّة، وصلاة الجمعة في المدينة، والحجّ في كلّ سنة في مكّة، وغير ذلك من الإجماعات، فإنّ العقل الصحيح يحكم بالائتلاف والمحبّة بلا خلاف، وقد شهد به الكتاب الكريم في مواضع شتّىٰ.

وتفصيل ذلك وهو أنّ المحبّة كما تحصل من إجتماعهم في كلّ يوم خمس مرّات في محلّتهم، تحصل أيضاً من إجتماعهم كلّ جمعة في المدينة والمسجد الجامع، وتحصل أيضاً في بعض الشهور والأوقات في موضع معين من الأعياد والزيارات، وتحصل أيضاً من اجتماع أهل الأقاليم في موضع معين للحجّ، لأنّ هذه الأوضاع ماوضعوا (وضعت) إلاّ لأجل هذا كما سبق ذكره، وفيه أيضاً غير المحبّة فوائد أُخر كالمعاملات بينهم والمناكحات وغير ذلك من المعارف بين أهل كلّ إقليم وكلّ بلدان الّتي توجب تلك المعارف أخر وهلمّ جرّاً، ولهذا الأوضاع أسرار وأبحاث لا يحتمل بعض ذلك أمثال هذه المقامات، لأنّها تحتاج إلى مجلّدات معتبرة، والغرض أنّ الكلّ مبني على الزمان والمكان والإخوان.

وإذا عرفت هذا، فاعلم: **أنّ معراج النبيّ**ﷺ بحسب الصورة مشتمل على هذا وكذلك بحسب المعنى أيضاً، وحيث **إنّ المعراج معراجان: صوريّ ومعنويّ**، نشرع أوّلاً في بيان المعراج الصوري، ثمّ في بيان المعراج المعنوي، لأنّ فيه إختلاف كثير بين العلماء والعوام، وبين الحكماء والصوفيّة.

فالمعراج الصّوري

(معراج النبيﷺ الصوري والجسماني)

هو أنّ النبيّ ﷺ أراد أن يحصل له هذه الإجتماعات الثلاث بحسب الصورة، كما كان له حاصلاً بحسب المعنى في جميع الأمكنة الشريفة من السّماوات والعرش ومابينهما، فمجيئه بحسب الصورة من المسجد الحرام إلى مسجد الكوفة[٤٠]، ثمّ منه إلى المسجد الأقصى، ثمّ عروجه منه إلى

---

(٤٠) قوله: إلى المسجد الكوفة.

روى المجلسي في البحار ج ١٨ ص ٤٠٤، الحديث ١٠٩، عن تفسير العيّاشي عن هارون بن خارجة قال: قال أبو عبدالله ﷺ:

«مامن ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا عبد صالح إلاّ وقد صلّىٰ في مسجد كوفان، حتّىٰ محمّدﷺ ليلة أسري به، مرّ به جبرئيل فقال: يامحمّد هذا مسجد كوفان، فقال: استأذن لي حتّىٰ أصلّي فيه ركعتين، فاستأذن له فهبط به وصلّى فيه ركعتين».

أيضاً في البحار ص ٣٨٥، الحديث ٩١، عن العياشي عن سلام الحنّاط عن رجل، عن

السماوات السبع ثمّ إلى الكرسيّ، ثمّ إلى العرش، كما أخبر به الخبر والقران، كان لأجل ذلك، أي لأجل الإجتماعات الثلاث المذكورة، إمّا من طرفه أو من طرف سكان تلك الأمكنة واستدعائهم منه، فإنّ هذه الإجتماعات علّة في إفاضة كمالاته عليهم وسبب في زيادة كمالهم منه، لأنّه يخرجهم من نقصهم ويوصلهم إلى كمالهم المعين لهم بحسب استعدادتهم وقابليّاتهم.

أمّا الخبر فكخبر ليلة الإسرى وله طول(٤١).

أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن المساجد الّتي لها الفضل، فقال: «**المسجد الحرام ومسجد الرسول**، قلت: والمسجد الأقصى؟ جعلت فداك. فقال: **ذاك في السماء إليه أسري رسول الله** صلى الله عليه وآله، فقلت: إنّ الناس يقولون إنّه بيت المقدس، فقال: **مسجد الكوفة أفضل منه**».

وروى الكليني في «الروضة» ص ٢٧٩ الحديث ٤٢١، بإسناده عن المفضّل بن عمر في حديث قال: كنت عند أبي عبدالله بالكوفة، فلّما انتهينا إلى الكناسة، قال: «**هاهنا صلب عمّي زيد** عليه السلام»، ثمّ مضى حتّى انتهى إلى طاق الزيّاتين وهو آخر السرّاجين فنزل وقال: «**أنزل فإنّ هذا الموضع كان مسجد الكوفة الأوّل الّذي خطّه آدم** عليه السلام **وأنا أكره أن أدخله راكباً**»، قال: قلت: فمن غيّره عن خطّته؟ قال: «**أمّا أول ذلك الطوفان في زمن نوح**»، فقلت له: إنّ مسجد الكوفة قديم! فقال: «**نعم وهو مصلّى الأنبياء** عليهم السلام، **ولقد صلّى فيه رسول الله** صلى الله عليه وآله **حين أسري به إلى السماء، فقال له جبرئيل** عليه السلام: **يامحمّد** صلى الله عليه وآله **هذا مسجد أبيك آدم** عليه السلام **ومصلّى الأنبياء** عليهم السلام **فأنزل فصلّ فيه، فنزل فصلّى فيه، ثمّ إنّ جبرئيل عرج به إلى السماء**».

(٤١) قوله: فكخبر ليلة الإسرى.

الأخبار في قصّة ليلة الإسرى وفي المعراج كثيرة جداً، نقلت بإسناد مختلفة عن

وأمّا القرآن فكقوله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وقوله:

﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: ١].

يدل على عبوره على تلك الأمكنة الشريفة بحسب الصورة كما سنبيّنه في موضعه إن شاء الله تعالى(٤٢).

وورد أنّهم التمسوا من الله تعالى هذه الصورة المشتملة على هذه

النبيّ ﷺ وعن أئمة أهل البيت ﷺ، نقلها الشيعة والسنّة في كتبهم، التفسيريّة والحديثيّة.

منها ماروى القمي في تفسيره ج ٢، ص ٣، سورة الإسرىٰ، عن أبيه، عن أبن أبي عمير عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله ﷺ. وعنه البحار ج ١٨ ص ٣١٩ الحديث ٣٤. وتفسير الميزان ج ١٣ ص ٨.

ومنها، ماروى السيد رضي الدين علي بن الطاووس في كتابه اليقين، الباب ١٥٨، ص ٤٢٤، بإسناده عن أبن عباس، وعنه بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٩٧، الحديث ١٠١.

ومنها ماأخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ج ٥ ص ١٨٢ «سورة الإسرى» عن أبن أبي شيبه ومسلم، وابن مردويه، عن أنس، عن رسول الله ﷺ، وعنه الميزان ج ١٣ ص ٣١.

(٤٢) قوله: يدل على عبوره على تلك الأمكنة الشريفة.

ورد ذلك أيضاً في الأخبار، منها ماروى المجلسي في البحار ج ١٨ ص ٣١٠ الحديث ١٩ عن روضة الكافي، ومنها مارواه أيضاً في ص ٣٣٦، الحديث ٣٧، عن أمالي الصدوق. فراجع.

الإجماعات. والحقّ تعالىٰ أمر نبيّه بذلك، أي بالعبور والعروج على تلك الأمكنة بجسده[٤٣] من حيث الصورة، حتّى ورد أنّه أراد أن يخلع نعليه

---

(٤٣) قوله: بجسده.

ولعلّه يدل على المعراج الجسماني ماروى القمي في تفسيره عن أبيه، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي عبيدة، عن الصادق عليه السلام قال:

«كان رسول الله ﷺ يكثر تقبيل فاطمة فأنكرت ذلك عائشة، فقال رسول الله ﷺ: ياعائشة إنّي لمّا أسري بي إلي السماء دخلت الجنّة فأدناني جبرئيل من شجرة طوبىٰ، وناولني من ثمارها فأكلته، فحوّل الله ذلك ماء في ظهري، فلمّا هبطت إلي الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، فما قبّلتها قطّ إلاّ وجدت رائحة شجرة طوبىٰ منها». راجع الميزان ج ١٣ ص ٢٤، ورواه الصدوق ايضاً، راجع البحار ج ١٨ ص ٣١٥ الحديث ٢٧.

وماروى الصدوق في العلل، باب ٣٢ ص ٣٣٤، الحديث ١ و٢ بإسناده عن اسحاق بن عمار وهشام بن الحكم، عن ابي الحسن موسىٰ بن جعفر وأبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال:

«إنّ أوّل صلاة صلاّها رسول الله ﷺ إنّما صلاّها في السماء بين يدي الله تبارك وتعالىٰ قدام عرشه جلّ جلاله، وذلك أنّه لمّا أسري به وصار عند عرشه تبارك وتعالىٰ فتجلّىٰ له عن وجهه حتّىٰ رآه بعينه قال: يامحمّد أدن من صاد فاغسل مساجدك وطهّرها وصلّ لربك، فدنا رسول الله ﷺ إلى حيث أمره الله تبارك وتعالىٰ فتوضّأ فأسبغ وضوءه، ثمّ أستقبل الجبّار تبارك وتعالىٰ قائماً فأمره بافتتاح الصلاة ففعل». الحديث.

(قال إسحاق بن عمّار في آخر الحديث):

قلت: جعلت فداك وما صاد الّذي أمر أن يغتسل منه؟ فقال: **عين تنفجر من ركن من أركان العرش ماء الحياة وهو ماقال الله عزّ وجلّ: ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾**.

وروى الصدوق في العلل باب ١١٢ «علة المعراج» الحديث ١ ص ١٣١، بإسناده عن

عند عروجه إلى السّماء كما خلع موسىٰ ﷺ عند صعوده إلى الطور، فقالت الملائكة: «يانبيّ الله لا تخلع، فإنّا نريد أن تصل بـركة[٤٤] نـعليك إلى أمكنتنا»

(تصرّف الأنبياء والأولياء في الملك والملكوت)

وهذا كلّه ليس بممتنع ولا مستحيل عـلى الله تـعالىٰ، لأنّـه مـمكن مقدور، والله تعالىٰ قادر على الممكنات والمقدورات.

ثابت بن عمران قال: سألت زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، عن الله جلّ جلاله هل يوصف بمكان؟ فقال: تعالى الله عن ذلك، قلت: فلم أسرىٰ بنبيّه محمّد ﷺ إلى السماء؟ قال: ليريه ملكوت السماوات ومافيها مـن عـجائب صنعه وبدائع خلقه، قلت: فقول الله عزّ وجلّ: ﴿ثمّ دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ قال: ذاك رسول الله ﷺ، دنا من حجب النور، فرأىٰ ملكوت السماوات، ثـمّ تدلّىٰ ﷺ فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتىٰ ظنّ أنّه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنىٰ».

(٤٤) قوله: فإنّا نريد أن تصل بركة.

روى الصدوق في «علل الشرايع» باب علة المعراج الحديث ٢ ص ١٣٢ بإسناده عن يونس بن عبد الرحمان، قال: قلت لأبي الحسن موسىٰ بن جعفر ﷺ لأيّ علّة عرج الله نبيّه ﷺ إلى السماء، ومنها إلى سدرة المنتهىٰ ومنها إلى حجب النور وخاطبه ونـاجاه هناك، والله لا يوصف بمكان؟، فقال:

«إنّ الله لا يوصف بمكان، ولا يجري عليه زمـان، ولكـنّه عـزّ وجـلّ أراد أن يشرّف به ملائكته وسكان سماواته، ويكرمهم بمشاهدته، ويريه من عجائب عظمته مايخبر به بعد هبوطه، وليس ذلك على مايقوله المشبّهون سبحان الله عمّا يصفون».

وأيضاً قد تقرّر في الحكمة الإلهيّة والقوانين الربانيّة(٤٥): أنّ الأنبياء والأولياء والكمّل والأقطاب، لهم هذه الخصوصيّة، وهذا التصرّف في الملك والملكوت، لأنّ الشخص إذا صار كاملاً(٤٦) واستحقّ خلافة الله

---

(٤٥) قوله: قد تقرّر في الحكمة الإلهية.

لاشك في أنّ من المقامات الّتي ثابتة للإنسان الكامل هو قدرة التّصرّف في عالم التكوين وأجزاءه.

والمقصود من التصرّف: تأثيره في وجود الأشياء تأثيراً حقيقيّاً تكوينيّاً، والمؤثّر المتصرّف هو ذلك الإنسان نفسه، نعم بإذن الله سبحانه وتعالىٰ التكويني الّذي هو مفروغ عنه في الكلّ، فإذن ليس هذا التصرّف من قبيل: أنّ الإنسان يدعوا الله سبحانه وتعالىٰ في شيء فهو تعالى يستجيب له، لأن الدعا والإستجابة مع أنه أمر حقيقي ثابت ولكنّه شيء آخر لا ربط له على التصرّف التكويني والقدرة عليه بإذن الله الّذي نعبّر عنه بالولاية التكوينيّة، وهذه كمعاجز الأنبياء وكرامات الأولياء.

وللولاية التكوينيّة مراتب، توجد أكملها لنبيّنا الرسول الأعظم ﷺ وللأئمّة من أهل بيته عليهم السلام، فلهم قدرة التصرّف في عالم التكوين بالجملة.

ومعلوم أنّ هذه الولاية وإعمالها أحياناً، لا تنافي النظام العلّية في العالم بل داخلة فيها.

قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام:

«أبىٰ الله أن يجري الأشياء إلاّ بالأسباب، فجعل لكلّ شيء سبباً، وجعل لكلّ سبب شرحاً، وجعل لكل شرح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، ذاك رسول الله ﷺ ونحن».

أصول الكافي ج ١ باب «معرفة الإمام» الحديث ٧، ص ١٨٣.

ومن هنا يعلم أنّ هذه التصرّفات و القدرة عليها أمر خارق للعادة، ولكن ليست أمراً خارجاً عن النظام السببيّة والمسببيّة في العالم، وصدورها من الأنبياء عليهم السلام إنّما هولمبدإ مؤثّر موجود في نفوسهم الشريفة.

راجع في المقام أيضاً تفسير الميزان ج ١ ص ٨٩ إلى ٧٣.

(٤٦) قوله: إذا صار كاملاً.

⬅ الإنسان لا يصير كاملاً إلاّ بوصوله إلى مقام اليقين، فيكون متحققاً لصفات الله تعالىٰ العليا ومظهراً لأسماءه الحسنىٰ. قال تعالىٰ:
﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

روى الكليني في أصول الكافي ج ٢ باب الحسد الحديث ٢ ص ٣٠٦، بإسناده عن الصادق ﷺ قال:

«إنّ عيسىٰ بن مريم كان من شرايعه السيح في البلاد، فخرج في بعض سيخه ومعه رجل من أصحابه وكان كثير اللّزوم لعيسىٰ ﷺ، فلّما أنتهىٰ عيسىٰ إلى البحر، قال: بسم الله، بصحّة يقين منه فمشىٰ على ظهر الماء، فقال الرجل حين نظر إلى عيسىٰ ﷺ جازه بسم الله بصحة يقين منه فمشىٰ على الماء ولحق بعيسىٰ ﷺ». الحديث.

قال العلامة الطباطبائي في الميزان ج ٦ ص ١٨٧:

«وإلىٰ هذا الباب يرجع معنىٰ ماروي: «أنّه ذُكر عند النبي ﷺ: أن بعض أصحاب عيسىٰ ﷺ كان يمشي على الماء، فقال ﷺ: لو كان يقينه أشدّ من ذلك لمشىٰ على الهواء». فالحديث كما ترىٰ يومئ إلى أنّ الأمر يدور مدار اليقين بالله سبحانه وإمحاء الأسباب الكونيّة عن الاستقلال في التأثير، فإلىٰ أيّ مبلغ بلغ ركون الإنسان إلى القدرة المطلقة الإلهيّة انقادت له الأشياء على قدره، فافهم ذلك. انتهىٰ».

وروى الكليني أيضاً في الكافي ج ٢، باب في تنقل أحوال اللقلب الحديث ١.

بإسناده عن سلام بن المستنير قال: كنت عند أبي جعفر ﷺ فدخل عليه حمران بن أعين وسأله عن أشياء، فلمّا همّ حمران بالقيام قال لأبي جعفر ﷺ: أخبرك - أطال الله بقاءك لنا وأمتعنا بك: - أنّا نأتيك، فما نخرج من عندك حتّىٰ ترقّ قلوبنا وتسلموا أنفسنا عن الدنيا، ويهون علينا مافي أيدي الناس من هذه الأموال، ثمّ نخرج من عندك فإذا ⬅

صرنا مع الناس والتجارة أحببنا الدنيا؟ فقال أبو جعفر ﷺ:

«إنما هي القلوب مرّة تصعُب ومرّة تسهل»

ثمّ قال أبو جعفر ﷺ:

«أمّا إنّ أصحاب محمّدﷺ قالوا: يارسول الله نخاف علينا النفاق قال: فقال: ولِم تخافون ذلك؟ قالوا: إذاكنّا عندك فذكّرتنا ورغّبتنا وجلنا ونسينا الدّنيا وزَهِدنا حتّىٰ كأنّا نعاين الآخرة والجنّة والنّار ونحن عندك، فإذا خَرَجْنا من عندك، ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن تحوّل عن الحال الّتي كنّا عليها عندك وحتّىٰ كأنّا لم نكن على شيء؟ أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً؟ فقال لهم رسول اللهﷺ: كلاّ إنّ هذه خُطوات الشيطان فيرغّبُكم في الدنيا، والله لو تدومون على الحالة الّتي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء، ولولا أنّكم تذنبون فتستغفرون الله، لخلق الله خلقاً حتّىٰ يذنبوا، ثمّ يستغفروا الله فيغفر (الله) لهم، إنّ المؤمن مفتّن توّاب أمّا سمعت قول الله عزّ وجلّ:

﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقال:

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣].

فاعلم أنّ أسباب اللقرب إلى الله سبحانه و تعالى عبارة عن: العبوديّة الخالصة، والتخلّق بإخلاق الله سبحانه والتحقق به، واليقين، ومعلوم أنّ كلّما كان الإنسان أقرب إلى الله تعالىٰ يكون أكثر تشابهاً منه سبحانه ومن وصل إلى مرتبة اليقين بسلوكه طريق الطهارة والإخلاص، يؤيّده الله سبحانه وتعالىٰ بروح منه وبروح القدس، قال تعالىٰ:

﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وهذا الروح من قبيل أمره تبارك وتعالىٰ، قال سبحانه وتعالىٰ:

﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقال:

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

إذن عندما كان العبد مطهّراً، ومخلصاً، ومقرّباً، ومظهراً للأسماء الفعليّة، ومؤيّداً بروح منه وبروح القدس، يستطيع أن يقول لشيء كن فيكون. روي الكليني بإسناده عن الباقر ﷺ قال:

«إنّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح الحياة، وروح القوّة، وروح الشهوة، فبروح القدس عرفوا ماتحت العرش إلى ماتحت الثرىٰ».

وأيضاً روى بإسناده عن المفضل، عن الصادق ﷺ قال: سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مُرخىً عليه ستره، فقال:

«يامفضّل إنّ الله تبارك وتعالىٰ جعل في النبيّ ﷺ خمسة أرواح: روح الحياة فبه دبّ ودرج، وروح القوّة فبه نهض وجاهد، وروح الشهوة فبه أكل وشرب وأتىٰ النساء من الحلال، وروح الإيمان فبه آمن وعدل، وروح القدس فبه حمل النبوّة، فإذا قبض النبيّ ﷺ انتقل روح القدس فصار إلى الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو، والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو، وروح القدس كان يُرى به». أصول الكافي ج ١ باب ذكر الأرواح ص ٣٧٢ الحديث ٢ و٣.

وروى أيضاً بإسناده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله ﷺ يقول: ﴿يَسألونك عَن الرّوح قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾، قال: **خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، لم يكن مع أحد ممّن مضىٰ غير محمّد ﷺ وهو مع الأئمّة سيّدهم،** (وفي حديث آخر: وهو من الملكوت) **وليس كلّ ماطلب وُجد».** الأصول من الكافي ج ١ ص ٢٧٣ الحديث ٣و ٤.

ورد في الحديث القدسي:

«يابن آدم، أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني فيما أمرتك، أجعلك تقول للشّيء كن فيكون». الجواهر السنيّة ص ٢٨٥ عن عدّة الداعي. وهذا معنىٰ قرب الفرائض الّذي يصير الإنسان فيه بمنزلة الجوارح لربّه، كما أنّ أجزاء العالم تكون بمنزلة الجوارح للعبد، كما أنّ القرب النوافل سبب لأن يكون الرّب جوارح العبد المقرّب والمحبوب.

القرب الفرائض يوصل العبد الى الفناء الذاتي كما أن القرب النوافل بوصله الى الفناءالصفاتي، كَم فرق بينهما، ومن هنا يعلم الفرق بين مقام الخليل ومقام الحبيب، اذ قال سبحانه وتعالىٰ حكاية عن أبراهيمﷺ:

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩].

وقال في الرسول الخاتم ﷺ:

﴿سبحان الذي أسرىٰ بعبده﴾ [الإسرى: ١].

وفي الثاني لا يُرىٰ «إني» و«ذاهب» و «الياء التكلّم» في «ربّي» قال القيصري في شرح الفصوص في بيان التفاوت بين القربين:

«والتخلل من إبراهيم ﷺ نتيجة قرب النوافل، ومن الحقّ نتيجة قرب الفرائض».

وقال الإمام الخميني ﷺ في تعليقه على شرح فصوص الحكم ص ١١٢:

«فإنّ قرب الفرائض لا يحصل إلاّ بعد قرب النوافل، فالقرب النوافلي: استهلاك الأسماء والصفات فيصير الحق سمعه ويده».

والقرب الفرائضي: الإستهلاك الكلّي الذاتي والصفاتي المستبع لإبقاء العبد في بعض الأحيان، فيصير العبد سمع الحقّ وبصره، فإنّ حصول الولاية الكليّة وظهور البرزخيّة الكبرىٰ لا يحصل إلاّ بعد قرب الفرائض وهو غاية المعراج الصعودي لنبيّناﷺ، ولا يحصل لغيره من الأنبياء والأولياء إلاّ لتبعيّة لا الإصالة».

تعالىٰ في ملكه وملكوته، حصل له التصرّف فيهما بما أراد كتصرّف بعض

➡ راجع تفسير المحيط الأعظم، الجزء الأوّل ص ٣٤٥، التعليق ٨٥.
روى الكليني في الأصول من الكافي ج ١ كتاب التوحيد باب النوادر ص ١٤٣، بإسناده عن الباقر عليه السلام قال:
«نحن المثاني الّذي أعطاه الله نبيّنا محمّداً ﷺ، ونحن وجه الله نتقلّب في الأرض بين أظهركم، ونحن عين الله في خلقه، ويده المبسوطة بالرحمة على عباده، عرفنا من عرفنا وجهلنا من جهلنا وإمامة المتقين».
وروى أيضاً بإسناده عن الباقر عليه السلام قال:
«نحن حجّة الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمر الله في عباده»
وروى أيضاً بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:
«أنا عين الله، وأنا يد الله، وأنا جنب الله، وأنا باب الله».
وروى أيضاً بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: في قول الله عزّ وجلّ:
«ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها»، قال: «نحن والله الأسماء الحسنىٰ الّتي لا يقبل الله من العباد عملاً إلاّ بمعرفتنا».
المصدر، الحديث ٣ و٤ و٧ و٨.
على أنّ قرب الفرائض وهكذا قرب النوافل لا يرتبطان إلى المقام الذات وكذا لا يتحققان في الصفات الذاتية له سبحانه وتعالىٰ، بل يقعان لمن وصل هذا المقام والمنزلة في مقام الفعل، أعني أنّ العبد يكون يد الله سبحانه وتعالىٰ في مقام فعله تعالىٰ وهكذا هو سبحانه وتعالىٰ يكون يد العبد في مقام الفعل والظهور، ومن هنا يُعلم معنىٰ قوله تعالىٰ:
﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].
ومعنىٰ قوله تعالىٰ:
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ [الفتح: ١٠].

أولياء الله في الأرض بالطيّ والنشر، ومنه تصرّف اصف في الأرض(٤٧) بطيّه حين أراد حضور تخت (عرش) بلقيس.

وكتصرّف موسىٰ ﷺ في الماء شقّه حين أراد هلاك فرعون ونجاة أهله(٤٨).

---

(٤٧) قوله: ومنه تصرّف آصف في الأرض.

أخبر عنه سبحانه وتعالىٰ في القرآن الكريم وقال:

﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۞ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۞ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل: ٤٠ - ٣٨].

روى الكليني بإسناده عن الباقر ﷺ قال:

«إنّ إسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلّم به فخسف بالأرض مابينه وبين سرير بلقيس حتّى تناول السرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين.

ونحن عندما من الإسم الأعظم إثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالىٰ استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوّة بالله العليّ العظيم».

وروى أيضاً بإسناده عن أبي الحسن العسكري ﷺ قال:

«إسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، كان عند آصف حرف فتكلّم به فانخرقت له الأرض فيمابينه وبين سبأ فتناول عرش بلقيس حتّى صيّره إلى سليمان، ثمّ انبسطت الأرض في أقلّ من طرفة عين.

وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب».

الأصول من الكافي ج ١ باب (ماأعطي الأئمة ﷺ من إسم الله الأعظم)، الحديث ١ و ٣، ص ٢٣٠.

(٤٨) قوله: كتصرّف موسىٰ ﷺ.

وكتصرّف سليمان ﷺ في الهواء بالركوب عليه والسير به بما أراد، كما أخبر به الكتاب الكريم (٤٩).

وكتصرّف إبراهيم عليه في النار حين القى فيها بالتبريد والخمود وعدم الإحراق (٥٠).

أخبر به سبحانه وتعالى في القرآن الكريم. قال:

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: ٦٣ – ٦٥].

وقال:

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى﴾ [طه: ٧٧].

(٤٩) قوله: كتصرّف سليمان ﷺ:

أخبر به سبحانه وتعالى بقوله في القرآن الكريم:

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢].

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١].

(٥٠) قوله: كتصرّف إبراهيم ﷺ.

أخبر به سبحانه وتعالى في القرآن الكريم وقال:

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

روى المجلسي، عن ابن شهر آشوب بإسناده عن مأمون الرقي قال:

كنت عند سيّدي الصادق ﷺ إذ دخل سهل بن الحسن الخراساني، فسلّم عليه، ثمّ جلس فقال له: يابن رسول الله لكم الرأفة والرحمة، وأنتم أهل بيت الإمامة، ماالّذي يمنعك أن

وكتصرّف نبيّناﷺ بعد تصرّفه في هذه الأربع حين أراد ظهور المعجزة في ملكوت القمر وشقّه بحيث رآه الكفرة وغيرهم من المسلمين (٥١).

يكون لك حقّ تقعد عنه!؟ وأنت تجد من شيعتك مأة ألف يضربون بين يديك بالسيف!؟

فقال ﷺ له:

«**إجلس ياخراساني رعىٰ الله حقّك، ثمّ قال: ياحنيفة اسجري التنّور، فسجرته حتّىٰ صار كالجمرة وابيضّ علوُّه، ثمّ قال: ياخراساني! قُم فاجلس في التنّور**،فقال الخراساني: ياسيّدي يابن رسول الله لا تعذّبني بالنار، أقلني أقالك الله، قال: قد أقلتك، فبينما نحن كذلك إذ أقبل هارون المكّي ونعله في سبّابته، فقال: السّلام عليك يابن رسول الله، فقال له الصادق ﷺ: **ألق النعل من يدك وأجلس في التنّور،** قال: **فألقىٰ النعل من سبّابته ثمّ جلس في التنّور**، وأقبل الإمام ﷺ يحدّث الخراساني حديث خراسان حتّىٰ كأنّه شاهد لها، ثمّ قال: **قم ياخراساني وانظر مافي التنّور**، قال: فقمت إليه فرأيته متربعاً، فخرج إلينا وسلّم علينا فقال له الإمام ﷺ: **كم تجد بخراسان مثل هذا؟** فقال: والله ولا واحداً، فقال ﷺ **لا والله ولا واحداً، فقال: أمّا إنّا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا، نحن أعلم بالوقت**».

(بحار الأنوار ج ٤٧ ص ١٢٤، الحديث ١٧٤)

فدقّق في الحديث لكي تعرف منزلة أئمّة أهل البيت، كم فرق بين مَن أُلقي هو نفسه في النار، والنار صارت له برداً وسلاماً، وبين من جلس أحد أصحابه بأمره في النار، والنار أصبحت له برداً وسلاماً.

(٥١) قوله: كتصرف نبيّنا... في ملكوت القمر وشقّه.

أخبر به تعالىٰ في القرآن الكريم، في قوله:

﴿أقتربت الساعة وأنشق القمر ۞ وإن يروا إية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾

[القمر: ١ – ٢].

روى صاحب تفسير المنسوب إلى الأمام العسكري ﷺ عن أمير المؤمنين ﷺ قال: «**والّذي بعثه (محمد ﷺ) بالحقّ نبيّاً، مامن آية كانت لأحد من الأنبياء من لدن**

وكتصرّف شمعون الّذي هو من أوصياء عيسىٰ ﷺ في ملكوت الشمس بردّها من المغرب إلى المكان الّذي أراد(٥٢).

آدم إلى أن أنتهىٰ إلى محمّد ﷺ إلاّ وقد كان لمحمّد مثلها». الحديث طويل فراجع (التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ص ٤٢٩ الحديث ٢٩٢)، (وعنه البحار ج ١٧ ص ٢٣٩ الحديث ٢).

(٥٢) قوله: كتصرّف شمعون.

لم أجد نقلاً في تصرّف شمعون ﷺ في الشمس، ولكن روي في الأحاديث والتواريخ كهذه المعجزة في يوشع ﷺ وصيّ موسىٰ علىٰ نبيّنا وآله و ﷺ.

روى المفيد في «الإرشاد» ص ٣٨٥، عن أبي بصير، عن الباقر ﷺ - في حديث طويل - قال:

«فيمكث (القائم (عج)) على ذلك سبع سنين مقدار كلّ سنةٍ عشر سنين من سنيكم هذه، ثمّ يفعل الله ما يشاء».

قال: قلت له: جعلت فداك، فكيف تطول السنون؟

قال:

«يأمرُ الله تعالىٰ الفلك باللبوث وقلّة الحركة، فتطول الأيّام لذلك والسنون».

قال: قلت له: إنّهم يقولون: إنّ الفلك إن تغيّر فسد، قال: **«ذلك قول الزنادقة، فأمّا المسلمون فلا سبيل لهم إلى ذلك، وقد شقّ الله القمر لنبيّه ﷺ وردّ الشمس من قبله ليوشع بن نون».**

وقال المسعودي في «إثبات الوصيّة» في قصّة يوشع ﷺ:

«خرج يوشع وجميع أولاد بني إسرائيل الذين ولدوا في التيه معه وهم لا يعرفون الجبارين، ولا العمالقة، ولا يمتنعون من قتالهم، فقاتل بهم العمالقة وفتح بيت المقدّس وجميع مدائن الشام حتىٰ إنتهى إلى البلقا... فصلىّ يوشع بن نون ركعتين ودعا ربّه أن يحبس الشمس عنهم ساعة، فأجابه وأخّرت الشمس.

ذكر ابن كثير في «قصص الأنبياء» ص ٢٩٥:

وكتصرّف عليّ﴿ع﴾ بعد الكلّ في ملكوت الشمس بردّها أيضاً إلى مكان الصلاة مرّتين: مرّة في المدينة، ومرّة في أرض بابل كما هو مذكور في كتب الشيعة والسنّة[٥٣].

«الّذي خرج بهم (أي بني إسرائيل) من التيه، وقصد بهم بيت المقدّس، هو يوشع بن نون﴿ع﴾، فذكر أهل الكتاب وغيرهم من أهل التأريخ: أنّه قطع ببني إسرائيل نهر الأردن وانتهىٰ إلى أريحا، وكانت من أحصن المدائن سوراً وأعلاها قصوراً وأكثرها أهلاً، فحاصرها ستة أشهر... وذكروا أنّه انتهىٰ محاصرته إلى يوم جمعة بعد العصر، فلّما غربت الشمس أو كادت تغرب، ويدخل عليهم السبت الّذي جعل عليهم وشرع لهم ذلك الزمان، قال لها:

إنّك مأمورة وأنا مأمور، اللّهم أحبسها عليّ، فحبسها الله عليه حتّىٰ تمكّن من فتح البلد.

وأخرج ابن حنبل في مسنده ج ٢ ص ٣١٨ (وج ١٥ ص ٨٢٢٠ الحديث ٨٢٢١ طبع ج) بإسناده عن أبي هريرة عن النبيّ﴿ص﴾ قال:

«غزىٰ نبيّ من الأنبياء... فدنا من القربة حين صلاة العصر، أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللّهم أحبسها عليّ شيئاً، فحبست عليه، حتىٰ فتح الله عليه».

وقال المجلسي في البحار ج ١٣، ص ٣٧٤: قال صاحب الكامل:

«انّ الله تعالىٰ أمر يوشع بالمسير إلى مدينة الجبّارين، فسار ببني إسرائيل، فلّما ظفر يوشع بالجبّارين أدركه المساء ليلة السبت، فدعا الله تعالىٰ، فردّ الشمس عليه، وزاد في النهار ساعة، فهزم الجبارين».

(٥٣) قوله: كتصرّف علي﴿ع﴾.

روى الصدوق في «علل الشرايع» بإسناده عن جويرة بن مسهرة قال: «قطعنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب﴿ع﴾ جسر الصراة في وقت العصر فقال: إنّ هذه أرض معذبة لا ينبغي لنبيّ ولا وصيّ نبيّ أن يصلي فيها، فمن أراد منكم أن يصلّي فيها فليصلّ، فتفرّق الناس يمنة ويسرة وهم يصلّون، فقلت: أنا والله لأقلّدنّ هذا الرجل صلاتي اليوم،

ولا أصلّي حتّىٰ يصلّي، فسرنا وجعلت الشمس تسفل، وجعل يدخلني من ذلك أمر عظيم، حتّىٰ وجبت الشمس وقطعنا الأرض، فقال: ياجويرة أذّن، فقلت: تقول أذّن وقد غابت الشمس!!، فقال: أذّن، فأذّنت، ثمّ قال لي: أقم، فأقمت، فلمّا قلت: «**قد قامت الصلاة**»، رأيت شفتيه يتحرّكان وسمعت كلاماً كأنّه كلام العبرانيّة، فارتفعت الشمس حتّىٰ صارت في مثل وقتها في العصر، فصلّى فلمّا انصرفنا هوت إلى مكانها واشتبكت النجوم، فقلت أنا: أشهد أنّك وصيّ رسول الله ﷺ فقال: «**ياجويرة أما سمعت الله عزّ وجلّ يقول: «فسبّح باسم ربّك العظيم»**؟ فقلت: بلىٰ، قال: «**فإنّي سألت الله بأسمه العظيم فردّها عليّ**».

علل الشرايع باب ٦١، ص ٣٥٢، الحديث ٤.

وقال المفيد في الإرشاد: وممّا أظهره الله تعالىٰ من الأعلام الباهرة على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ما استفاضت به الأخبار، ورواه علماء السيرة والآثار، ونظمت فيه الشعراء الأشعار: رجوع الشمس له ﷺ مرّتين: **في حياة النبيّ ﷺ مرّة، وبعد وفاته مرّة أخرىٰ.**

وكان من حديث رجوعها عليه في المرّة الأولى مارَوَته أسماء بنت عُميس، وأمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ وجابر بن عبدالله الأنصاري، وأبو سعيد الخدريّ، في جماعة من الصحابة: أنّ النبيّ ﷺ كان ذات يوم في منزله، وعليّ ﷺ بين يديه، إذ جاءه جبرئيل ﷺ يناجيه عن الله سبحانه، فلّما تغشّاه الوحي توسّد فَخذَ أمير المؤمنين ﷺ فلم يرفع رأسه عنه حتّىٰ غابت الشمس، فاظطرّ أمير المؤمنين ﷺ لذلك إلى صلاة العصر جالساً يُومئُ بركوعه وسجوده إيماءً، فلّما أفاق من غشيته قال لأمير المؤمنين ﷺ: «أفاتتك صلاة العصر»؟ قال له:

«**لم أستطع أن أصلّيها قائماً لمكانك يارسول الله، والحال الّتي كنتَ عليها في إستماع الوحي**»، فقال له: «**أدعُ الله ليَرُدّ عليك الشمس حتّىٰ تصلّيها قائماً في وقتها كما فاتتك، فإنّ الله يُجيبك لطاعتك الله ورسوله**»، فسأل أمير المؤمنين الله

عزّ اسمه في ردّ الشمس، فرُدّت عليه حتىٰ صارت في موضعها من السماء وقت العصر، فصلّىٰ أمير المؤمنين ﷺ صلاة العصر في وقتها ثم غربت، فقالت أسماء: أمَ والله لقد سمعنا لها عند غروبها صريراً كصَرِيرِ المنشار في الخشبة.

وكان رجوعها عليه بعد النبيّﷺ: أنّه لمّا أراد أن يعبر الفرات ببابل، إشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابّهم ورحالهم، وصلّىٰ ﷺ بنفسه في طائفة معه العصر، فلم يفرغ الناس من عُبورهم حتّى غربت الشمس، ففاتت الصلاة كثيراً منهم، وفات الجمهور فضل الاجتماع معه، فتكلّموا في ذلك، فلمّا سمع كلامهم فيه سأل الله تعالىٰ ردّ الشمس عليه، ليجتمع كافّةُ أصحابه على صلاة العصر في وقتها، فأجابه الله تعالىٰ إلى ردّها عليه، فكانت في الأفق على الحال الّتي تكون عليها وقت العصر، فلمّا سلّم بالقوم غابت فسُمع لها وَجيبٌ شديد هالَ الناس ذلك، وأكثروا من التسبيح والتهليل والإستغفار والحمد لله على نعمته الّتي ظهرت فيهم.

وسار خبر ذلك في الآفاق وانتشر ذِكرُه في الناس، وفي ذلك يقول **السيّد بن محمّد الحميريّ**ﷺ:

رُدّتْ عليه الشمسُ لمّا فاته	وقتُ الصلاةِ وقد دنتْ للمغرب
حتّى تَبَلَّجَ نورُها في وقتها	للعصر ثمّ هوتْ هَوِيَّ الكوكبِ
وعليه قد رُدّتْ ببابلَ مرّةً	أخرىٰ ومارُدّتْ لخلق مُعربِ
إلاّ ليُوشَعَ أولَه مِن بعده	وليَرَدِّها تأويلُ أمرٍ مُعجِبِ

مصنّفات الشيخ المفيد ج ١١ ص ٣٤٥ وفي الإرشاد ج ١ ص ٣٤٥.

وقال ابن شهر آشوب: روى أبو بكر بن مردويه في المناقب، وأبو أسحاق الثعلبي في تفسيره، وأبو عبدالله ابن مندة في المعرفة، وأبو عبدالله النطنزي في الخصائص، والخطيب في الأربعين، وابو أحمد الجرجاني في تاريخ جرجان: ردّ الشمس لعليّ ﷺ. ولأبي بكر الورّاق كتاب طرق مَن روى ردّ الشمس، ولأبي عبدالله الجعل مصنّف في جواز ردّ الشمس، ولأبي القاسم الحسكاني مسألة في تصحيح ردّ الشمس وترغيم

وكتصرّف إدريس ﷺ في ملكوت السموات بصعوده عليها وبقائه فيها

➲ النواصب الشمس، ولأبي الحسن الشاذان كتاب بيان ردّ الشمس على أمير المؤمنين ﷺ.

وذكر أبو بكر الشيرازي: أنّ الشمس ردّت عليه مراراً. أمّا المعروف مرّتان: في حياة النبيّ ﷺ بكراع الغيم، وبعد وفاته ببابل.

فأمّا في حال حياته ﷺ فما روته أمّ سلمة، وأسماء بنت عميس، وجابر الأنصاري، وأبو ذر، وابن عباس، والخدري، وأبو هريرة، والصادق ﷺ:

«أنّ رسول الله ﷺ صلّىٰ بكراع الغميم، فلمّا سلم نزل عليه الوحي، وجاء علي ﷺ وهو علىٰ ذلك الحال، فأسنده إلىٰ ظهره، فلم يزل علىٰ تلك الحال حتّىٰ غابت، والقرآن ينزل علىٰ النبيّ ﷺ، فلمّا تمّ الوحي قال: ياعليّ صلّيت؟ قال: لا وقصّ عليه، فقال: أدع ليردّ الله عليك الشمس، فسأل الله فردّت عليه الشمس بيضاء نقيّة».

وأمّا بعد وفاته ﷺ ماروي جويرية بن مسهر، وابو رافع، والحسين بن عليّ ﷺ:

أنّ أمير المؤمنين ﷺ لمّا عبر الفرات ببابل صلّىٰ بنفسه في طائفة معه العصر، ثمّ لم يفرغ الناس من عبورهم حتّىٰ غربت الشمس وفات صلاة العصر الجمهور، فتكلّموا في ذلك، فسأل الله تعالىٰ ردّ الشمس عليه، فردّها عليه، فكانت في الأفق، فلّما سلّم القوم غابت، فسمع لها وجيب شديد، هال الناس ذلك، وأكثروا التهليل والتسبيح والتكبير، ومسجد الشمس بالصاعديّة من أرض بابل شائع ذائع. / المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣١٦.

راجع في حديث ردّ الشمس لعليّ أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين ومصادرة من الكتب العامّة والخاصّة: (بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٦٦) و(مدينة المعاجز للبحراني ج ١ ص ١٩٤). و(ينابيع المودّة ص ١٦٤) و(إحقاق الحقّ للقاضي الشهيد وملحقاته للسيّد المرعشي ج ٥ ص ٢٩، وج ١٦ ص ٣١٥، وج ٢٠ ص ٦١٧، ج ٢١ ص ٢٦١) و (الغدير للأميني ج ٣ ص ١٢٦).

إلى الآن(٥٤).

وكتصرّف عيسىٰ‌ﷺ كذلك وعروجه عليها(٥٥).

(حضور الإنسان الكامل في أمكنة مختلفة على صورة واحدة)

وأيضاً قد تقرّر أنّ المَلَك والجنّ يتشكّلون بأيّ شمل أرادوا، ويدخلون في أيّ عالم كان(٥٦)، والإنسان أشرف منهم بالإتّفاق، بل وهم

---

(٥٤) قوله: كتصرّف إدريس‌ﷺ.

أخبر به القرآن الكريم:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً * وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ [مريم: ٥٦ – ٥٧].

راجع في رفع إدريس‌ﷺ إلى السماء و في أنه‌ﷺ حيّ بعدُ أو قبض؟

بحار الأنوار ج ١١ ص ٢٧٠ باب ٩ قص إدريس‌ﷺ، وأيضاً قصص الأنبياء للراوندي الباب الثاني في نبوة إدريس ونوح‌ﷺ ص ٧٣، وقصص الأنبياء لسيّد نعمت الله الجزائري، الباب الرابع، وقصص الأنبياء لابن كثير باب ذكر إدريس‌ﷺ ص٥٣.

(٥٥) قوله: كتصرّف عيسىٰ‌ﷺ.

أخبر به القرآن الكريم:

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ [النساء: ١٥٦ – ١٥٧].

(٥٦) قوله: قد تقرّر أنّ المَلَك والجنّ يتشكّلون.

قد دلّت عليه الآيات والروايات، ولكنّ الصحيح في التعبير هو أن نقول في الملائكة: التمثّل، وفي الجنّ: التشكلّ والتصوّر، أعني التغيير في الصورة والشكل، وأمّا في

➲ الإنسان الكامل والوليّ المطلق: الحضور مباشرة، أو خلق الأبدان والأبدال، او التمثّل.

أمّا بالنسبة إلى تمثّل الملائكة، فقال سبحانه وتعالى:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾ [مريم: ١٦ - ١٧].

وقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاماً قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٦٩ - ٧١].

وقال سبحانه تعالى:

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ * ... * قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود: ٧٧ - ٨١].

وأمّا بالنسبة تغيّر شكل إبليس وتبدّل صورته، فقال عزّ وجلّ:

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

روى الشيخ الطوسي، بإسناده عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: سمعت جابر ابن عبدالله بن حزام الأنصاري ﷺ يقول: تمثّل إبليس لعنه الله في أربع صور:

تمثّل يوم بدر في صورة سراقة بن جعشم المديحي فقال لقريش: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وتصوّر يوم العقبة في صورة منبه بن الحجاج فنادى: أنّ محمّداً والصباة معه عند العقبة فأدركوهم، فقال رسول الله ﷺ للأنصار: لا تخافوا فإنّ صوته لن يعدوهم.

➲

وتصوّر يوم اجتماع قريش في دار الندوة في صورة شيخ من أهل نجد وأشار إليهم في النبيّ ﷺ بما أشار (في أمرهم)، فأنزل الله تعالىٰ:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وتصوّر يوم قبض النبيّ ﷺ في صورة المغيرة بن شعبة فقال:

«أيّها الناس لا تجعلوها (لا تجعلوا) كسروانيّة ولا قيصرانيّة وسعوها تتسع فلا تردوا إلى بني هاشم فتنتظر (فينظر) بها الحبالىٰ».

أمالي الشيخ الجزء السادس ص ١٨٠، وعنه البحار ج ١٩ ص ٢٧٠، وتفسير البرهان وتفسير الميزان في سورة الأنفال الآية ٤٨.

وراجع أيضاً تفسير الدر المنثور سورة الأنفال ج ٤ ص ٥٣ و٧٧، وشرح ابن أبي الحديد ج ١٤ ص ١٥٧، وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ١٢٨، وج ١٩ ص ٢٣٦ و ص ٢٢٦، وج ٥٩ ص ١٩٨.

هذا من حيث الصغرىٰ الّتي تحكي عن الوقوع الخارجي.

وأمّا من حيث الكبرىٰ:

روى القمي في تفسيره في حديث: «فقال إبليس: ياربّ فكيف وأنت العدل الّذي لا يجور فثواب عملي بطل؟ قال: **«لا، ولكن سَلني من أمر الدنيا ماشئت ثواباً لعملك أعطِك، فأوّل ماسأل: البقاءُ إلى يوم الدين فقال الله: وقد أعطيتك**، قال: سلّطني على وُلد آدم، قال: **سلّطتك**، قال: أجرني فيهم مجرىٰ الدم في العروق، قال: قد أجريتُك، قال: لا يولَد لهم ولدٌ إلاّ وُلد لي إثنان وأراهم ولا يروني، وأتصوَّرُ لهم في كل صورة شئتُ، فقال: **قد أعطيتك**، قال: ياربّ زدني، قال: **قد جعلت لك ولذرّيتك صدورهم أوطانا، قال: ربّ حسبي»**.

(تفسير الميزان ج ٨ ص ٦١).

قال القيصري في الفصل السادس من المقدّمة في شرح فصوص الحكم:

مأمورون بسجدة الإنسان وخدمته ومطاوعته، ومتابعته في جميع الأمور(٥٧)، فكيف لا يتمكّن هو من أمثال هذه وهم يتمكّنون، وبل يجب

تنبيه: لابّد أن يعلم أنّ كل ماله وجود في العالم الحسّي هو موجود في العالم المثالي دون العكس، لذلك قال أرباب الشهود: إنّ العالم الحسّي بالنسبة إلى عالم المثالي كحلقة ملقاة في بيداء لا نهاية لها، أمّا إذا أراد الحقّ تعالىٰ ظهور مالا صورة لنوعه في هذا العالم في الصور الحسيّة، كالعقول المجرّدة وغيرها، يتشكل بأشكال المحسوسات بالمناسبات الّتي بينها وبينهم وعلى قدر استعداد ماله التشكل كظهور جبرئيل ﷺ بصورة «دحية الكلبي» وبصورة أخرىٰ، وكذلك باقي الملائكة السماويّة والعنصريّة، والجنّ أيضاً وإن كان لها أجسام ناريّة كما قال تعالىٰ فيهم: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾.

والنفوس الإنسانية الكاملة أيضاً يتشكّلون بأشكال غير اشكالهم المحسوسة وهم في دار الدنيا، لقوّة انسلاخهم من أبدانهم، ولهم الدخول في العوالم الملكوتيّة كلّها كدخول الملائكة في هذا العالم وتشكّلهم بأشكال أهله، ولهم أن يظهروا في خيالات المكاشفين كما تظهر الملائكة والجنّ، وهؤلاء هم المسمّون بالبدلاء».

راجع أيضاً «مفاتيح الغيب» لصدر المتألهين ص ٢١٤.

(٥٧) قوله: والإنسان أشرف الى قوله: جميع الأمور.

روى الصدوق؈ في «علل الشرايع»، وفي «عيون أخبار الرضا؈» بإسناده عن أبي الصلت الهرويّ، عن علي بن موسىٰ الرضا، عن أبيه، عن أباءه؈، عن علي بن أبي طالب؈ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ماخلق الله خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي، قال عليّ؈: فقلت: يارسول الله فأنتَ أفضلُ أم جبرئيل؟ فقال ﷺ: ياعليّ إنّ الله تبارك وتعالىٰ فضّل أنبياءه، المرسلين على ملائكته المقربيّن، وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضلُ بعدي لكَ ياعلي وللأئمّة من بعدِكَ، وإنّ الملائكة لخدّامُنا، وخدّامُ محبيّنا.

⬅ ياعليّ الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم، ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا.

ياعليّ لولا نحن ماخلق الله آدم ولا حوّاء ولا الجنّة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربّنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه، لأنّ أوّل ماخلق الله عزّ وجلّ أرواحنا، فأنطقنا بتوحيده وتحميده (تمجيده)، ثمّ خلق الملائكة.

فلمّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا، فسبّحنا لتعلم الملائكة أنّا خلقٌ مخلوقون، وأنّه منزه عن صفاتنا، فسبّحت الملائكة بتسبيحنا ونزّهته عن صفاتنا، فلّما شاهدوا عظم شأننا، هلّلنا لِتعلم الملائكة أن لا إله إلاّ الله، وأنّا عبيدٌ ولسنا بآلهةٍ يجب أن نُعْبَد معه، أو دونه، فقالوا: لا إله إلاّ الله، فلّما شاهدوا ماجعله لنا من العزّة والقوّة، قلنا: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، لتعلم الملائكة أن لا حول لنا ولا قوّة إلاّ بالله.

فلمّا شاهدوا ماأنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله، لتعلم الملائكة مايحقّ (يستحقّ) لله تعالىٰ ذكره علينا من الحمد على نعمته (نعمه)، فقالت الملائكة: الحمد لله، فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده.

ثمّ انّ الله تبارك وتعالىٰ خلق آدم فأودَعَنا صُلبه، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراما، وكان سجودهم لله عزّ وجلّ عبوديّةً، ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صُلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون.

وأنّه لمّا عُرِج بي إلى السماء، أذّن جبرئيل مثنىٰ مثنىٰ، وأقام مثنىٰ مثنىٰ، ثمّ قال لي: تقدّم يامحمّد، فقلت له: ياجبرئيل أتقدّمُ عليك؟ فقال: نعم، لأنّ تبارك وتعالىٰ فضّل أنبياءه على ملائكته أجمعين، وفضّلك خاصّة، فتقدّمتُ فصلّيتُ ⬅

أن يكون هو أقدر منهم على ذلك وامثاله(٥٨).

بهم، ولا فخر.

فلمّا انتهيت إلى حجُب النور، قال لي جبرئيل: تقدّم يامحمّد، وتخلّف عنّي، فقلت: ياجبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟ فقال: يامحمّد إنّ انتهاءُ حدّي الّذي وضعني الله عزّ وجلّ فيه إلى هذا المكان، فإن تجاوزتُه احترقت اجنحتي بتعدّي حدود ربّي جلّ جلاله، فزخّ بي النور زخّة (فزجّ بي في النور زجّة) حتّىٰ انتهيت إلى ماشاء الله عزّ وجلّ من علو مكانه (ملكه)، فنوديتُ: يامحمّد! فقلت: لبيك ربّي وسعديك تباركتَ وتعاليتَ، فنوديت: يامحمد! أنت عبدي، ورسولي إلى خلقي، وحجتّي على بريّتي، لك ولِمَن أتّبعك خلقتُ جنّتي، ولمن خالفك خلقتُ ناري، ولأوصيائك أوجبتُ كرامتي، ولشيعتهم أجبت ثوابي، فقلت: ياربّ ومَن أوصيائي؟ فنوديت: يامحمّد! أوصياءُك المكتوبون على ساق عرشي، فنظرت وأنا بين يدي ربّي جلّ جلاله إلى ساق العرش، فرأيت اثنىٰ عشر نوراً في كلّ نور سطر أخضر، عليه إسمُ وصيّ مِن أوصيائي، أوّلهم علي بن أبي طالب، وآخرهم مهديّ أمّتي، فقلت: ياربّ هؤلاء أوصيائي من بعدي، فنوديتُ يامحمّد هؤلاء أوليائي (أوصيائي) وأصفيائي وحجُجي بعدك على برّيتي، وهم أوصياك وخلفاءُك وخير خلقي بعدك». الحديث.

(علل الشرايع باب ٧ ص ٥ الحديث ١) عيون أخبار الرضا ج ١ باب ٢٦، الحديث ٢٢ ص ٢٦٢) وعنهما البحار ج ١٨ ص ٣٤٥ الحديث ٥٦).

(٥٨) قوله: فكيف لا يتمكّن هو من أمثال هذه.

مبدأ هذه الولاية والقدرة، هو العلم الخاصّ الّذي ليس من قبيل العلوم المتعارفة البشريّة، والحصوليّة المفهوميّة الكسبيّة، بل هو نور لدنّي ومرتبة وجوديّة يجب الوصول إليه والتحقق به وجوداً، فمن وصل إليه في الجملة يستطيع أن يتصرّف في التكوين في الجملة ومن كان هذا العلم عنده بالجملة، له ولاية تكوينيّة بالجملة، ويعبّر عنه أحياناً في الكتاب العزيز: **علم الكتاب**، وفي الحديث: **علم الأسماء**، وإليك

التدبّر في الآيات والروايات التالية:

قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ﴾ [النمل: ٤٠].

وقال: ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣].

روى الكليني باسناده عن الصادق عليه السلام قال:

«والله إنّي لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره كأنّه في كفّي، فيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فيه تبيان كلّ شيْ﴾.

وروى أيضاً بإسناده عن عبد الرحمن بن كثير، عن الصادق عليه السلام قال:

«قال الّذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك». قال: ففرّج أبو عبدالله عليه السلام بين أصابعه فوضعها في صدره ثمّ قال: **«وعندنا والله علم الكتاب»**.

وروى أيضاً بإسناده عن يزيد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام:

﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾؟ قال: **«إيّانا عنىٰ، وعليّ أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله»**.

أصول الكافي ج ١ باب أنّه لم يجمع القرآن كلّه إلاّ الأئمة عليهم السلام الحديث ٤ و٥ و٦، ص ٢٢٩.

وروى أيضاً بإسناده عن الباقر عليه السلام قال:

«إنّ إسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بالقيس حتّىٰ تناول السرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الإسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالىٰ استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم».

وروى أيضاً بإسناده عن الصادق عليه السلام قال:

(في حضور الأبدال في أمكنة مختلفة)

ويعرف صدق هذا أيضاً من قصة الأبدال وكيفيّة تبديلهم من صورة إلى صورة أخرى، وحضورهم في أمكنة مختلفة على صورة واحدة(٥٩).

«إن عيسىٰ ابن مريم ﷺ أُعطي حرفين كان يعمل بهما، وأعطي موسىٰ أربعة أحرف، واعطي إبراهيم ثمانية أحرف، وأعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً، وإنّ الله تعالىٰ جمع ذلك كلّه لمحمّد ﷺ وإنّ إسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، أُعطي محمّداً ﷺ اثنين وسبعين حرفاً وحجب عنه حرف واحد».

أصول الكافي ج ١ ص ٢٣٠ الحديث ١ و٢.

وروى أيضاً في باب حدوث الأسماء الحديث ١، ج ١ ص ١١٢، بإسناده عن الصادق ﷺ قال:

«إنّ الله تبارك وتعالىٰ خلق إسماً بالحروف غير متصوّت، وباللفظ غير منطق، وبالشخص غير مجسّد، وبالتشبيه غير موصوف، وباللون غير مصبوغ، منفي عنه الأقطار، مبعّد عنه الحدود، محجوب عنه حسّ كلّ متوهَّم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامّة على أربعة أجزاء معاً، ليس منها واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، وحجب منها واحداً وهو الإسم المكنون المخزون، فهذه الأسماء الّتي ظهرت، فالظاهر هو: الله، تبارك، تعالىٰ، وسخّر سبحانه لكلّ إسم من هذه الأسماء أربعة أركان، فذلك إثنا عشر ركنا، ثمّ خلق لكلّ ركن منها ثلاثين إسماً فعلاً منسوباً إليها». الحديث.

(٥٩) قوله: في أمكنة مختلفة على صورة واحدة.

قال ابن العربي: الأبدال لفظ مشترك: يُطلِقون الأبدال على من تبدّلت أوصافه المذمومة بالمحمودة، ويطلقونه على عدد خاصّ وهم أربعون عند بعضهم لصفة يجتمعون فيها. ومنهم من قال عددهم سبعة.

⮊ وقالوا: سمّوا أبدالاً لكونهم إذا مات واحد منهم كان الآخر بَدَله، وقيل: سمّوا أبدالاً لأنّهم أعطوا من القوة أن يتركوا بَدَلهم حيث يريدون.

(الفتوحات الجزء الرابع عشر: الباب السادس عشر ط عثمان يحيىٰ ج ٢ ص ٤٠٠.

وقال أيضاً: أنّ ثمّ رجالاً سبعة يقال لهم: الأبدال، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة، لكلّ بدل إقليم، وإليهم تنظر روحانيات السماوات السبع، ولكل شخص منهم قوّة من روحانيات الأنبياء الكائنين في هذه السماوات، وهم: إبراهيم الخليل، يليه موسىٰ، يليه هارون، يتلوه إدريس، يتلوه يوسف، يتلوه عيسىٰ، يتلوه آدم سلام الله عليهم أجمعين. وأمّا يحيىٰ فله تردد بين عيسىٰ وبين هارون.

فينزل على قلوب هؤلاء الأبدال السبعة من حقائق هؤلاء الأنبياء ﷺ. نفس المصدر ص ٣٧٦.

قال عبد الرزاق القاساني في الإصطلاحات:

البدلاء: هم سبعة رجال يسافر أحدهم عن موضع ويترك فيه جسداً على صورته بحيث لا يعرف أحدٌ أنّه فقد، وذلك معنى البدل لا غير، وهم على قلب إبراهيم ﷺ.

قال القيصري في شرح قول ابن العربي: **«والعارف يخلق بهمته مايكون له وجود من خارج محلّ الهمّة»**: أنّ العارف يخلق بهمته، أي بتوجّهه وقصده بقوّته الروحانيّة، صوراً خارجةً عن الخيال، موجودة في الأعيان الخارجيّة، كما هو مشهور من البدلاء بأنّهم يحضرون به في آن واحد أماكن مختلفة، ويقضون حوائج عباد الله. فالمراد بـ«العارف» هنا: الكامل المتصرّف في الوجود، لا الّذي يعرف الحقائق وصورها ولا تصرّف له.

شرح خصوص الحكم فصوص الحكم الفصّ الإسحاقي ص ١٩٧.

وراجع أيضاً «نصّ النصوص» للسيد حيدر الآملي ص ١٥٥ التمهيد الثالث وص ٢٦١ القاعدة الرابعة، و«مشارق الدراري» للفرغاني ص ٤١٦، وشرح فصوص الحكم للخوارزمي ج ١ ص ٣٢، وشرح مقدمة القيصري للآشتياني ص ٥٠٨.

⮈

وكذلك في ظهور جبرئيل(٦٠) بصورة دحية الكلبي في هذا العالم مراراً متعدّدة وغيره من الملائكة كظهورهم لأجل النبيّ ﷺ في يوم بدر وحنين وغير ذلك، وإذا سلّمتَ هذا كلّه وسلّمتَ أنّ الإنسان أشرف المخلوقات

➲ أقول: ومن هذا يعرف حقيقة ماورد في الأحاديث الكثيرة المتظافرة من حضور النبيّ الخاتم ﷺ والأئمّة ﷺ والزهراء البتول سلام الله عليها لدى المحتضر المؤمن الموالي والمحبّ لمحمّد وأهل بيته الطاهرين ﷺ، ورؤيته لهم وتكلمه معهم ﷺ، رزقنا الله سبحانه وتعالىٰ بفضله وكرمه.

وعُلم ممّا ذكرنا أنّ هذا الحضور: إمّا بخلق الأبدان أو الأبدال، وإمّا بالتمثّل، وإمّا بالمباشرة، والكلّ ممكن لهم ﷺ وأنّهم تستطيعون بها باذن الله تبارك وتعالىٰ، وللتفصيل مقام آخر.

راجع البحار ج ٦ باب «سكرات الموت ومايلحق المؤمن والكافر عنده» ص ١٤٥، وأيضاً باب: «مايعاين المؤمن والكافر عند الموت وحضور الأئمّة ﷺ عند ذلك» ص ١٧٣.

(٦٠) قوله: وكذلك في ظهور جبرئيل.

روى الكليني بإسناده عن الباقر ﷺ قال:

«الرسول: الّذي يأتيه جبرئيل ﷺ قبلاً فيراه ويكلّمه». الحديث. اصول الكافي ج ١ ص ١٧٦.

وروى «بصائر الدرجات» بإسناده عن الباقر ﷺ قال:

«الرسول: الّذي يأتيه جبرئيل قبلاً فيراه كما يرى أحدكم صاحبه الّذي يكلمه».

(بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٧٠ الحديث ٣٥).

وراجع أيضاً البحار ج ١٩٦ ص ٢٢٦ وص ٢٣٨، قال المجلسي فيه:

«وقد أستفاض الخبر بأن جبرئيل ﷺ ظهر لأصحاب رسول الله ﷺ في صورة دحية الكلبّي».

وراجع أيضاً تفسير المحيط الأعظم، الجزء الثالث، التعليق ٦٨ و٦٩، ص ١٢٤، قد مرّت الإشارة فيهما إلى قصّة دحية تفصيلاً.

وأعظمها، وسلّمتَ أن نبيّناﷺ أعظم نوع الإنسان وأشرفه[٦١]، فلِمَ لا تُسلِّم أنّ كلّ انسان كامل تمكن منه مثل هذه التصرّفات وأكثر؟، لأنّ العروج إلى السماء أقلّ تصرف من تصرفه في ملكوت القمر وملكوت الشمس وتصرفه في جبرئيل عليه السلام حين أراد نزوله، وكم مثل ذلك في هذا الباب، فافهم جداً وأعتقد صدقاً فإنّه لا ينفعك غير هذا، واذا فهمت هذا وتقرّر عندك أنّ المعراج الصوري حقّ وصدق.

فلنشرع في بيان المعراج المعنوي وهو هذا وبالله التوفيق.



---

(٦١) قوله: أنّ نبيّناﷺ أعظم نوع الأنسان وأشرفه.

من الأحاديث الّتي تدلّ على أفضلّية الخاتم ﷺ والأئمّة أهل البيت عليهم السلام على جميع الأنبياء والمرسلين وعلى الملائكة المقرّبين وعلى الكل أجمعين، وعلى عصمتهم ماروى الكليني؛ بإسناده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله الصادق عليه السلام يقول:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ قال: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، لم يكن مع أحد ممّن مضىٰ، غير محمّد ﷺ وهو مع الأئمّة يسدّدهم، وليس كلّ ماطُلب وُجد».

يعني لعل غيرهم عليهم السلام أيضاً طلبوا أو يطلبون هذا المقام أحياناً ولكن لم يُعطوا ولم يَجِدوا، وهو أعلم بالشاكرين.

راجع أيضاً تفسير المحيط الأعظم ج ٣، التعليق: ٧١ و ٧٢ و ٩٥ و ١٣٦ و ج ٤، التعليق: ٤٦ و ٥٧ و ٥٨.

وأمّا المعراج المعنوي

(الوصول إلى الحق تعالىٰ بطريق التوحيد الذاتي، والإطلاع على حقايق الأشياء)

فذلك معلوم محقّق متّفق عليه أكثر الناس، فإنّه عبارة عن وصوله إلى الحقّ تعالىٰ في تلك الليلة المعيّنة المسمّاة بليلة الإسراء بطريق التوحيد الّذاتي المسمّى بأحديّة الفرق بعد الجمع، وإطّلاعه على حقايق الأشياء[٦٢] على ماهي عليها لقوله:

---

(٦٢) قوله: واطّلاعه على حقايق الأشياء.

أقول: نطق به القرآن والحديث. أمّا القرآن تعالىٰ:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وقوله تعالىٰ:

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا

«أرنا الأشياء كما هي»[٦٣].

ولقوله:

«عُلّمت في تلك الليلة علوم الأوّلين والآخرين»[٦٤].

⬅ رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾.

وأما الحديث فكثير جداً متواتر، راجع البحار ج ١٨ باب إثبات المعراج ومعناه، نذكر من الأحاديث هنا حديثين:

١ - روى الصدوق بإسناده عن ثابت بن دينار قال: سألت زين العابدين علي بن الحسين ﷺ عن الله جلّ جلاله هل يوصف بمكان؟ فقال: «تعالىٰ عن ذلك»، قلت: فِلمَ أسرىٰ بنبيّه محمّد ﷺ إلى السماء؟ قال:

«ليريه ملكوت السماوات ومافيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه».

قلت: فقول الله عزّ وجلّ: ﴿ثمّ دنا فتدلّىٰ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ﴾، قال:

«ذاك رسول الله ﷺ دنا من حجب النور، فرأىٰ ملكوت السماوات، ثمّ تدلّى ﷺ فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتّى ظنّ أنّه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنىٰ». علل الشرايع الباب ١١٢ ص ١٣١.

٢ - روى أيضاً بإسناده عن البزنطي عن الرضا ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لمّا أُسري بي إلى السماء بلغ بي جبرئيل مكاناً لم يطأهُ جبرئيل قطّ، فكُشف لي، فأراني الله عزّ وجلّ من نور عظمته ماأحبّ». (التوحيد الباب ٨، الحديث ٤، ص ١٠٨).

(٦٣) قوله: أرنا الأشياء كما هي:

رواه «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ١٣٢، بهذا التعبير:

«اللهم أرنا الحقائق كما هي». وراجع تفسير المحيط الأعظم، الجزء الأوّل ص ٣٠٣، التعليق ٦٣.

(٦٤) قوله: علّمت في تلك الليلة.

وهذا المقام له مناسبة إلى مقام إبراهيم عليه السلام حين قال تعالىٰ في حقّه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥].

ومناسبة النبيّ إلى إبراهيم عليه السلام بحكم القرآن ومطابقة البرهان معلوم محقّق أيضاً(٦٥).

ذكرنا مصادره في تفسير المحيط الأعظم، الجزء الأوّل ص ٢٥٨، التعليق ٣٩، وفي الجزء الثاني ص ٤١٨، التعليق ٢١٦. وراجع أيضاً ج ٣ ص ٥٠٥، التعليق ٢٣١.

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ٤ ص ١٢ الحديث ١٩٥، ومعناه ورد في أحاديث كثيرة جداً، منها مارواه المجلسي في بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٧٣ عن تفسير القمي في حديث المعراج، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«فلم يسألني عمّا مضىٰ ولا عمّا بقي إلاّ علمته».

وأيضاً أخرج ابن حنبل في مسنده ج ٥ ص ٢٤٥، عنه صلى الله عليه وآله قال:

«فتجلّىٰ لي كل شيء وعرفت».

(٦٥) قوله: مناسبة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى إبراهيم.

روى الكليني والبرقي عن الرضا عليه السلام قال:

«هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأمّة فيجو فيها إختيارهم؟، إنّ الإمامة أجلّ قدراً، وأعظم شأناً، وأعلا مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالواها بأرائهم، أو يقيموا إماماً بأختيارهم.

إنّ الإمامة خصّ الله عزّ وجلّ بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوّة والخلّة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرّفه بها وأشاد بها ذكره، فقال:

﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ [البقرة: ١٢٤]، فقال الخليل عليه السلام سروراً بها: ﴿ومن ذرّيتي﴾، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾، فلم تزل في ذريّته يرثها بعض عن بعض، قرناً فقرناً، حتّى ورّثها الله تعالىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله فقال

ومعلوم أنّ مثل هذا المعراج لا يحتاج إلى حركة صورته ولا مسافة جسمانية، بل الى عدم الحركة ظاهراً وباطناً:

أمّا ظاهراً فلان الحركة الظاهرة عبارة عن السير بحسب الصّورة من مكان إلى مكان آخر، وهذا المعراج غير محتاج إليه.

(في أنّ الفكر حجاب)

وأمّا باطناً فلأن الحركة في الباطن عبارة عن الفكر من الميادي الى المقاصد بحسب المعنى، والفكر في هذا الطريق حجاب باتّفاق أهل الله، كما قال عليّ ﷺ:

«عرفت الله بترك الأفكار» (٦٦).

جلّ وتعالىٰ:

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨].

فكانت له خاصّة، فقلّدها ﷺ عليّاً ﷺ بأمر الله تعالىٰ على رسم مافرض الله» الحديث. (اصول الكافي ج ١ ص ١٩٩ وعيون أخبار الرضا ﷺ ص ٢٢٢).

(٦٦) قوله: عرفت الله.

قال أمير المؤمنين عليّ ﷺ:

«عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم، وحلّ العقود، ونقض الهمم» [نـهج البـلاغة: صبحي. الحكمة ٢٥ والفيض ٢٤٣].

أيضاً. سئل أمير المؤمنين: بماذا عرفت ربّك؟ قال:

«بفسخ العزم، ونقض الهمّ، لمّا هممتُ فحيل بيني وبين همّي وعزمت فخالف القضاء عزمي، فعلمت أنّ المدبّر غيري». الحديث.

فلا يكون حصول هذا المقام المعبّر عنه بالمعراج إلاّ بطرح الحركتين وقطع النظر عنهما وعن جميع مايطلق عليه إسم الغير، وقد سبق ذكره مراراً، ومن هذا قال جعفر بن محمّد الصادق﵇ الّذي كان قطب الوقت وإمام زمانه عقلاً ونقلاً وكشفاً:

«من عرف الفصل عن الوصل، والحركة عن السكون فقد بلغ القرار في التوحيد».

والمراد بالفصل الفرق الأوّل والكثرة الرسميّة الخلقيّة، وبالوصل الجمع الجمع الّذي هو بازاء الفرق المذكور، وبالحركة السلوك، وبالسكون القرار في عين أحديّة الذات.

(إحصاء الأسماء الحسنىٰ يعني التحقّق بها)

وقد يعبّر عن الوصل بفناء العبد عن أوصافه في أوصاف الحقّ، وهو التحقيق (التحقّق) بأسمائه المعبّر عنه بالإحصاء، كما قال﵇:

«مَن أحصاها دخل الجنّة»[٦٧].

توحيد الصدوق ص ٢٨٨ الحديث ٦، والخصال ص ٣٣ الحديث ١، باب الإثنين.

وروى المجلسي في البحار ج ١٠٠ ص ٤٤٦ الحديث ٢٣، في دعاء:

«يامن سما في العزّ ففات خواطر الأبصار، ودنا في اللّطف فجاز هواجس الأفكار».

(٦٧) قوله: من أحصاها دخل الجنّة.

روى الصدوق في «التوحيد» بإسناده عن الصادق﵇ عن النبيّ ﷺ قال:

«إنّ لله تبارك وتعالىٰ تسعة وتسعين إسماً، مائة إلاّ واحداً، مَن أحصاها دخل

وعن الفصل باحتجاب العبد بأوصافه وأوصاف الخلق وأعتبارهم مطلقا، لأنّ كلّ من أحتجب برؤية الغير وهو منفصلاً (منفصل) عن الحقّ ومشاهدته في عين التوحيد.

(المعاريج الأربعة والأسفار المعنويّة)

وإذا تقرّر هذا فاعلم أنّ الأسفار المعنويّة المعبّرة عنها: بالمعراج أربعة بالاتّفاق:

الأوّل: هو السير إلى الله من منازل النفس إلى الوصول إلى الأفق المبين، وهي نهاية مقام القلب ومبدأ التجلّيات الأسمائيّة.

الثاني، هو السير في الله بالاتّصاف بصفاته والتحقيق بأسمائه إلى الأفق الأعلىٰ ونهاية الواحديّة.

الثالث، هو الترقي إلى عين الجمع والحضرة الأحديّة وهو مقام قاب قوسين، مابقيت الإثنينيّة، فاذا أرتفعت فهو مقام: أو أدنىٰ، وهو نهاية الولاية.

الرابع، هو السير بالله عن الله للتكميل وهو مقام البقاء بعد الفناء،

⊃ **الجنّة»**، الحديث، ص ١٩٤، الحديث ٨.

وأخرج عين القضاة في «تمهيدات» ص ٣٤٥: قال رسول الله:

«إنّ لله تسعة وتسعين خلقاً من تخلّق بها دخل الجنّة»

كأن الحديث الثاني، تفسير للحديث الأوّل، بأنّ المراد من الإحصاء: التخلّق والتحقّق، لا الإحصاء البسيط فقط، وإن كان الإحصاء البسيط أيضاً يعتبر ذكراً وله ثواب وأجر. راجع في مصادر الحديث والتفصيل حوله تفسير المحيط الأعظم، الجزء الثاني ص ١٨٥، التعليق ٧٩.

والفرق بعد الجمع.

(رفع الحجب)

وأنّ لكلّ واحدة من هذه الأسفار بداية ونهاية، أمّا بدايتها فقد عرفتها: من إبتداء سير كلّ مرتبة. وأما نهايتها فنهاية السفر الأوّل وهو رفع حجب الكثرة عن وجه الوحدة، ونهاية السفر الثاني هو رفع حجاب الوحدة عن وجوه الكثرة العلميّة الباطنيّة، ونهاية السفر الثالث هو زوال التقييد بالضّدين الظاهر والباطن بالحصول في أحديّة الجمع، ونهاية السفر الرابع عند الرجوع عن الحقّ إلى الخلق في مقام الإستقامة هو أحديّة الجمع والفرق بشهود اندراج الحقّ في الخلق واضمحلال الخلق في الحق حتّىٰ يرىٰ العين الواحدة في صور الكثرة، والصور الكثرة في عين الوحدة، وليس هناك نهاية ولا سفر غير هذه الأربع، وكذلك العروج بالنّسبة إلى الكلّ نبيّاً كان أو رسولاً أو وليّاً أو وصيّاً، والتفاوت بينهم يقع بحسب الإستعداد والإستحقاق،

(تحقق المعراج في طرفة عين)

وهذا المعراج يجوز أن يكون في ساعة واحدة، ويجوز أن يكون في طرفة عين، ويجوز أن يكون بعد مجاهدة أربعين سنة وبل أربعين ألف سنة وأكثر وأقلّ، لأنّه ليس له حدّ محدود ولا زمان مخصوص.

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

(الإنسان الكامل هو قلب العالم)

وإذا عرفت هذا فاعلم انّ قوله تعالىٰ:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

شاهد عدل على صدق هذه الدعوى، فإنّ قوله:

«سبحان الّذي أسرىٰ بعبده ليلاً».

معناه: سبحان الّذي أسرىٰ بعبده الحقيقي الّذي هو محمّد ﷺ ليلاً، أي في ليلة الكثرة الخلقيّة الرّسميّة الاعتباريّة من المسجد الحرام أي القلب الحقيقي(٦٨)، الحرام علىٰ غيره الدخول فيه الى المسجد الأقصىٰ، أي

---

(٦٨) قوله: أي القلب الحقيقي.

إطلاق لفظ القلب للإمام مأخوذ من الروايات، ومعلوم أنّ هذا التعبير الموجود في الأحاديث المؤيّد من قِبل المعصومين، والمكتوب أيضاً في صحف إبراهيم وموسىٰ، ليس بجزاف، بل بين القلب في بدن الإنسان، وبين الإمام في العالم مناسبة، والإمام في العالم كالقلب وبمنزلته في وجود الإنسان.

روى الكليني بإسناده عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبي عبدالله ؑ جماعة فيهم هشام بن الحكم، فقال أبو عبدالله ؑ: «**ياهشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته،...؟**»، قال هشام: بلغني ماكان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، فعظم ذلك عليّ فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة، فاذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد، والناس يسألونه،...، ثمّ قلت: أيّها العالم!، إنّي رجل غريب تأذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم.

فقلت له: ألك عين؟ فقال: يابُنيّ، أيّ شيء هذا من السؤال وشيء تراه كيف تسأل.
فقلت: هكذا مسألتي، فقال: يابني سل وإن كانت مسألتك حمقا، قلت: أجبني فيها قال لي: سل.
قلت: ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرىٰ بها الألوان والأشخاص.
قلت: فلك أنف؟ قال: نعم: قلت فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة.
قلت: ألك فم؟ قال: قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم.
قلت: فلك أذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت.
قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أميّز به كلّ ماورد على هذه الجوارح والحواسّ.
قلت: أوليس في هذه الجوارح غنًى عن القلب؟ فقال: لا.
قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟ قال: يابنيّ إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته، أو رأته، أو ذاقته، أو سمعته، ردّته إلى القلب فتستيقن اليقين وتبطل الشك.
فقلت له: فإنّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح؟ قال: نعم.
قلت: لابّد من القلب، وإلاّ لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم.
فقلت له: ياأبا مروان فالله تعالىٰ لم يترك جوارحك حتّىٰ جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح وتتيقّن به ماشكّت فيه، ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم ويقيم لك إماماً لجوارحك تردّ إليه حيرتك وشكّك؟
قال: فسكت ولم يقل لي شيئاً. ثمّ التفت إليّ فقال: أنت هشام بن الحكم.
قال: فضحك أبو عبدالله ﷺ وقال: «**ياهشام، من علّمك هذا**»؟ (قال) قلت: شيء أخذته منك والّفته، فقال ﷺ: «**هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسىٰ**».
(اصول الكافي ج ١ باب الإضطرار إلى الحجّة الحديث ٣ ص ١٦٩).
ويترتّب على كون الإمام (الإنسان الكامل) قلب العالم، مجموعة من النتائج:

حضرة الروح وعالم المشاهدة الّذي هو أقصىٰ نهاية مراتب المشاهدات.

وقوله:

﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾.

أي من نعم الحقايق والمعارف لنريه من آياتنا أي لنريه من آياتنا

أ - لكل إنسان قلب واحد، ﴿ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ [الأحزاب: ٤].

والعالم كلّه شيء واحد كالإنسان، ﴿وماأمرنا إلاّ واحدة﴾ [القمر: ٥٠].

فللعالم أيضاً قلب واحد، فالإمام (القطب) واحد.

ب - حياة الإنسان تدوم بحياة قلبه، فحياة العالم تدوم بوجود الإمام، قال الصادق عليه السلام:

«لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت».

ج - القلب لا ينام قط، وأثره في البدن لا ينقطع، فالإمام في العالم كذلك،

«إنّ الحسن والحسين أمامان قاما أو قعدا».

«السلام عليك حين تصبح وتمسي»، زيارة آل يس.

د - أساس الفهم هو القلب، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ... بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ فيكون أدراك الحقائق وطريق الهداية هو الإمام، «من مات ولم يعرف أمام زمانه مات ميتة الجاهلّية»، «من كان في هذه أعمى وهو في الآخر، أعمىٰ وأضل سبيلاً» [الاسراء: ٧١].

هـ- مركز التوحيد ودار المعرفة في وجود الإنسان هو القلب، «القلب حرم الله» فالامام كذلك في العالم، «نزل به روح الأمين على قلبك» [الشعراء: ١٩٦].

و - كما أن القلب حقيقة دائمية في البدن مادام الانسان حيّاً، والبدن يحتاج إليه أبداً، وكما أنّ القلب حاضر وشاهد دائماً ولا ينام أبداً، هكذا الإمام وجوده ضروريّ في العالم دائماً من بدء تكوّنه إلى نهاية بقائه.

ومن هنا يعلم لا فرق بين الحضور والغيبة، وإن كان الإمام حاضراً وشاهداً ضرورة، ونحن في الحقيقة الغائبون، وهكذا يتبيّن سرّ ديموميّة الإمامة والإمام في العالم التكوين والتشريع في اعتقاد الشيعة.

راجع أيضاً التعليق ٤٦ و ٤٧ و ٥٧ و ٥٨.

الدّالة على ذاتنا وصفاتنا وأسمائنا وأفعالنا، وبل على مشاهدتنا في عالمنا الروحانيّة والجسمانيّة.

وقوله:

﴿إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

أي لأنّه هو السميع الحقيقي باستدعاء عبده البصيرة باستحقاق كلّ واحد منهم.

(قلب الإنسان الكامل هو المسجد الحرام)

وبيانه مرّة أخرى أوضح من ذلك، وهو:(٦٩)

---

(٦٩) قوله: أنّ المسجد الحرام يكون قلبه الحقيقي.

الكعبة مطاف لأهل الأرض، وباطنه بيت المعمور مطاف لملائكة الأرض، وباطنه العرش مطاف للمقرّبين والعالين، وباطنه قلب الإنسان الكامل أي المظهر الإسم الأعظم مطاف للكلّ ﴿تنزّل الملائكة والروح﴾ و: ﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾ و: ﴿إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾، ومن هنا تلزم و تستحبّ زيارته أي زيارة الانسان الكامل، النبيّ ﷺ والأئمّة ﷺ بعد تمام الحجّ والعمرة.

قال الباقر ﷺ:

«إنّما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثمّ يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم».

وقال أيضاً:

«أبدأوا بمكّة وأختموا بنا».

وقال أيضاً:

«تمام الحجّ لقاء الإمام».

انّ المسجد الحرام يكون قلبه الحقيقي، الحرام على غير الحقّ تعالىٰ، لأنّه محله الخاصّ ومنزله المخصوص لقوله فيه:

«لايسعني أرضي ولاسمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»(٧٠).

ونسبة هذا القلب الى المسجد الحرام الّذي هو قبلة أهل العالم لأنّه

وقال الصادق ﷺ:

«إذا حجّ أحدكم فليختم بزيارتنا، لأنّ ذلك من تمام الحجّ».

(وسائل الشيعة ج ١٠، كتاب الحج الباب ٢ من أبواب المزار).

و ربّ العالمين، و الإسم الأعظم، والله تبارك و تعالى. ولعلّ الذات «هو» جلّت عظمته، مطاف للإنسان الكامل، لأنّه «عبده» و: «ما أمرنا إلاّ واحدة». و راجع أيضاً التعليق ١٧٢.

(٧٠) قوله: لا يسعني أرضي.

بحار الأنوار ج ٥٨، ص ٣٩، وعوالي اللئالي ج ٤، ص ٧: وفي الإحياء للغزالي ج ٣ ص ١٥، وأخرجه أيضاً الشيخ عبد القادر الجيلاني في «سرّ الأسرار» ص ٩٩، وراجع التعليق ١٥٥.

قال الهمداني في بحر المعارف ج ٢ ص ٩٦، بعد نقل الحديث المذكور: وبإضافة: «التقيّ النقي» في رواية أخرى.

وقال: في «أمير العاشقين» عن السيّد الداماد ﷺ: ورد عن طريق الخاصّة والعامة:

«إنّ قلب المؤمن بيت الله الحرام، وقلب العارف عرش الله الأعظم»

وإن شئت أكثر من هذا فراجع تفسير المحيط الأعظم الجزء الأوّل ص ٢٥٦، التعليق ٣٨، والجزء الثاني، ص ٥٥٣، التعليق ٣٥٤ و الجزء الثالث، ص ٣١٣، التعليق ١٥٥.

قال السيوطي في «الدرر» ص ٣٦٢: أخرج أحمد في «الزهد» ص ١٠٣: عن وهب بن منبه: إنّ الله عزّ وجلّ فتح السماوات لحزقيل حتّىٰ نظر إلى العرش أو كما قال، فقال حزقيل: سبحانك ماأعظمك ياربّ، فقال الله:

«إنّ السماوات والأرض لم تطق أن تحملني، وضقن من أن يسعني، ووسعني قلب المؤمن الوادع اللين» (سرّ الأسرار ص ٩٩ التعليق ١).

أيضاً قبلة جميع أعضائه الظاهرة والباطنة، وقواه الصوريّة والمعنويّة، وأنّه أوّل صورة ظهرت في صورة الإنسان حين نطفة أو علقة أو مضغة، كما أنّ الكعبة «أوّل بيت وضع للناس ببكة مباركاً» والمسجد الأقصىٰ يكون روحه الّذي هو المضاف إليه لقوله:

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩].

لأنّه أقصىٰ مقام المشاهدة وأعلى درجة الكشف لقول الامام‌ؑ:

«وقلبي بمعرفتك وروحي بمشاهدتك»(٧١).

ولقوله جدّه‌ؑ: «لو كشف الغطاء ماأزددت يقيناً»(٧٢).

---

(٧١) قوله: وقلبي بمعرفتك وروحي بمشاهدتك.

من أدعية الملحقة للصحيفة السجاديّة: المناجاة الخمس عشرة لمولانا علي بن الحسين زين العابدين ؑ. ذكرها أيضاً المجلسي في بحار الأنوار ج ٩٤ ص ١٤٢.

منها «مناجاة المحبيّن» (التاسعة) ليوم لسبت، وفيها قال صلوات الله عليه:

«إلهي فاجعلنا ممّن اصطفيته لقربك وولايتك»... إلى أن قال‌ؑ:

«وخصصته بمعرفتك، وأهّلته لعبادتك، وهيّمت قلبه لإرادتك، وأجتبيته لمشاهدتك». الدعاء. ذكرها أيضاً المحدّث القمي في مفاتيح الجنان.

وقال‌ؑ أيضاً في الدعاء الّذي رواه عنه‌ؑ أبو حمزة الثمالي المعروف بدعاء أبو حمزة الثمالي المعروف:

«اللهم إنّي أسألك أن تملأ قلبي حبّاً لك، وخشية منك، وتصديقاً بكتابك، وإيماناً بك، وفَرَقا منك، وشوقاً إليك ياذا الجلال والإكرام».

قال مولانا أبو عبدالله الحسين بن علي‌ؑ في دعائه يوم العرفة المشهور:

«أنت الّذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتّىٰ عرفوك ووحدّوك، وأنت الّذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبّائك حتّىٰ لم يحبوّا سواك». الدعاء.

(٧٢) قوله: لو كشف الغطاء.

ونسبته إلى المسجد الأقصىٰ الّذي هو قبلة أهل الشرق من أمّة عيسىٰ؛ لأنّ الروح من عالم الروحانيّات الّذي هو بالنسبة الى العالم كالمشرق كما قررناه، لأنّه قبلة قلب الإنسان، كما أنّ القلب قبلة جميع الجسد. والكعبة مثلاً بالنّسبة إلى المسجد، والمسجد بالنسبة إلى الحرم، لأنّ البدن بمثابة الحرم، والقلب بمثابة المسجد، والرّوح بمثابة الكعبة.

(رؤية الملكوت والصفات والذات في المعراج)

و قوله: ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[الإسراء: ١].

إشارة إلى الروح وماحوله، وتقديره أي باركنا حوله بنعم المعارف والحقايق والأسرار والدقايق، وكان العلة في ذلك أي في العروج، لنريه من آياتنا الأنفسيّة دون الافاقيّة مشاهدة ذاتنا وصفاتنا في ذاته وصفاته مشاهدة شهود وعيان، ونجعله بعد ذلك سميعاً لأقوالنا وأسرانا، بصيراً لإشاراتنا ورموزنا، لأنّه الخليفة في ملكنا وملكوتنا وإليه الأمر في آفاقنا وأنفسنا، له الحكم وإليه ترجعون، أي له الحكم فيهما والنصب والعزل تارة بالنسبة الى أهلها، وإليه يرجعون في حوائجهم وقضائها، أعني في مصالحهم الدينيّة والدنياويّة، وكأنّه من لسان مثل هذا الخليفة قيل ماقد قيل:

هذا الحديث مشهور، من كلمات أمير المؤمنين، رواه الفريقين، ذكرنا مصادره في تفسير المحيط الأعظم، الجزء الثاني ص ٤١٩ التعليق ٢١٨، فراجع وأنظر أيضاً شرح كمال الدين ابن ميثم البحراني على المائة كلمة لأمير المؤمنين. الكلمة الأولى، ص ٥٢.

قلمي ولوحي في الوجود يمده قلم الاله ولوحه المحفوظ
ويدي يمين الله في ملكوته ماشئت أجرىٰ والرسوم حظوظ

وكذلك: «خلق الله تعالىٰ آدم على صورته»(٧٣)، وكذلك:
﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن:١-٤].
وكذلك: «أنا الحق، ومن مثلي، وهل في الدارين غيري»(٧٤).
وأمثال ذلك لا يخفى على أهله، هذا من حيث الأنفس.

(مشاهدة الكثرة في عين الوحدة ومشاهدة الواحدة في عين الكثرة في المعراج)

وأمّا من حيث الآفاق:
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء:١].

في ليلة الكثرة الخلقيّة المشار إليها بالغير من «المسجد الحرام» الّذي هو عالم الجسم والجسمانيات الحرام فيه دعوى الوجود والبقاء علىٰ غيره من الموجودات والمخلوقات إلى «المسجد الاقصىٰ» الّذي هو عالم الروحانيّات والمجرّدات «الّذي باركنا حوله» بنعم مشاهدة العقول

(٧٣) قوله: خلق الله تعالىٰ آدم على صورته.

رواه الشيخ الصدوق في «التوحيد» الباب ١٢، الحديث ١٠ و١١، ص ١٥٢.

وراجع في تفصيله التفسير المحيط الأعظم، الجزء الثاني ص ٥٣، التعليق ٢١.

(٧٤) قوله: أنا الحق.

قاله الحلاّج وهو أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاّج قُتل ثمّ أحرق سنة ٣١١، راجع «أسرار التوحيد» ج ١ ص ٤٨، و «شرح شطحيّات» ص ٣٧٣، وص ٤٣٧، و«وفيات الأعيان» ص ١٤٠.

والنفوس، وحقايق المعارف الملكوتيّة والجبروتيّة «لنريه من آياتنا»، أي من آياتنا الآفاقيّة والأنفسيّة الّتي هي مظاهر الأسمائيّة والصّفاتيّة. والّلام في «لنريه» لام التعليل ومعناه أنّ عروجه إلى هذه العوالم(٧٥) المختلفة

---

(٧٥) قوله: ان عروجه إلى هذه العوالم.

تبيين المعراج و تحليله

أقول: المعراج مفتاح الغيب، ومشاهدة الملكوت، كما أنّ الصلاة كذلك، ومن هنا يعلم تشريع الصلاة وتعليم تفصيلها في المعراج، وستأتي الإشارة إليه في التعليق ٨١ و٧٩.

ومعراج النبيّ ﷺ كان على ثلاثة مراحل:

الأولىٰ في عالم الجسماني في الأرض والسماء.

الثانية في عالم الملكوت أي في عالم التجرّد.

الثالثة في النور أي في مقام فوق التجرّد.

قال صدر المتألّهين: «كان لرسول الله ﷺ معراجان: من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصىٰ، ثمّ من المسجد الأقصى إلى ملكوت السماء، هذا في عالم الحسّ.

وأمّا في عالم الروح فمن الشهادة إلى الغيب ثمّ من الغيب إلى غيب الغيب.

وهكذا يتصاعد الى نور الأنوار، وروح الأرواح ولا يعلم تفاصيلها إلاّ الله أو من ارتضاه». أنتهىٰ. تفسير القرآن ج ١ ص ١٧٧.

أقول: معراج النبيّ ﷺ كان شهوداً وكشفاً تامّاً تفصيليّاً فرقانيّاً صعوديّاً له ﷺ.

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٧ – ١١].

كما كان نزول القرآن شهوداً وكشفاً تامّاً جمعيّاً قرآنيّاً نزوليّاً له ﷺ.

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

المعراج في الحقيقة كان مشاهدته ﷺ حقيقة نفسه ومرتبة وجوده ﷺ، ورؤيته ﷺ حقيقة العالم (أي ماسوىٰ الله سبحانه) ومراتب الموجودات، ومن هذا قال جبرائيل ﷺ: «**لو دنوت أنملة لاحترقت**»، يعني مرتبة وجودي هذا، لو أجاوز عن هذه المرتبة إذن

كان لأجل هذه المشاهدة كشفاً وذوقاً كما كان قبل هذا علماً وبياناً، وتقديره أي لنريه حقايق آياتنا ودقائق مظاهرنا ليشاهدنا في عالمي الآفاق والأنفس كشفا وذوقاً بطريق التوحيد الجمعيّ المحمّدي المعبّر عنه بأحديّة الفرق والجمع، الّذي هو مشاهدة الكثرة في عين الوحدة، ومشاهدة الوحدة في عين الكثرة من غير الإحتجاب بإحدهما عن الآخر لقوله فيه:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصّلت: ٥٣ و ٥٤].

➲ لست أنا.

المعراج كان سيره وحضوره ﷺ في الأسماء كلّها عيناً، كما كانت الأسماء كلّها عنده علماً، فالمعراج هو نفس مقام علم الأسماء، ﴿عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، ولكن بالعيان والحضور.

قال رسول الله ﷺ:

«فلّما أنتهيت إلى حجب النور، قال لي جبرائيل: تقدّم يامحمّد وتخلّف عني، فقلت: ياجبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني»؟

فقال: يامحمّد إنّ انتهاء حدّي الّذي وضعني الله عزّ وجلّ فيه إلى هذا المكان، فإن تجاوزته أحترقت أجنحتي تبعدّي حدود ربّي جلّ جلاله.

فزخّ بي في النور زخّة حتّى انتهيت إلى جيث (ما) شاء الله من علوّ ملكه». (في نسخة فَزَجّ في النور زجّة)(عيون أخبار الرضا ص ٢٦٢ وعلل الشرايع ص ٦).

وقريب منه في أمالي الصدوق، عنه بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٣٨ الحديث ٤٠.

وراجع أيضاً التعليق ٥٧ و ٦٢، والجزء الثالث من تفسير المحيط الأعظم، ص ١٢٢، التعليق ٦٧ و ص ١٣٢، التعليق ٧٢.

(الإثبات في عين النفي والنفي في عين الإثبات)

قوله تعالىٰ أيضاً:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

دال على هذا، لأنّه إثبات في عين النفي، ونفي في عين الإثبات، ولا يتيسّر الجمع بين هذين النقيضين إلاّ بطريق التوحيد المذكور.

وقوله في الآية:

﴿إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

معناه أنّه هو السميع باستدعاء كلّ طالب الّذي يطلب بلسان حاله واستعداده لقوله:

﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

البصير باستحقاق كلّ عبد أزل الآزال وأبد الأباد بحيث يعطي لكلّ أحد منهم مايناسب ويوافق مقامه، ومنهم النبيّ ﷺ، فإنّه كان سميعا باستدعائه الأزلي، بصيراً باستعداده الجبلي، وأعطاه ماكان مناسباً لحاله موافقاً لمقامه، ولهذا قال:

﴿مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [النساء: ١١٣].

فإنّه علّمه في هذه الليلة علم الأوّلين والآخرين، والجواد الكريم لا يعطي شيئاً إلاّ على الوجه الّذي ينبغي، أعني لا أزيد ولا أنقص، بل بموجب القسط والعدل المعبّر عنهما: بوضع كلّ شيء موضعه.

هذا آخر المعراجَين الصّوري والمعنوي، وإذا تقرّر هذا وعرفت سرّ الإجتماعات المشتملة على الزمان والمكان والإخوان (الأحوال) وغير

ذلك من الأسرار، فلنرجع الى الغرض، والبحث الّذي نحن بصدده من بحث الصّلاة وأوضاعها وأعدادها وغيرذلك من الحكمة المترتبة عليها،وهي هذه:

(وضعت الأصول والفروع لكي يصلِ الإنسان إلى كماله)

إعلم أنّه قد سبق قبل هذا أنّ هذه الأصول الخمسة والفروع الخمسة بأسرها هي وضع الأنبياء والرسّل بأمر الله تعالىٰ وإذنه لتكميل الناقصين ووصولهم إلى كمالهم المعين لهم في العلم الإلهي.

وقد سبق أيضاً أنّ هذا لم يكن يتيسّر إلاّ بتكميل قوّتي العلم والعمل المعبّرة عنهما بالقوّة النظريّة والقوّة العمليّة.

وقد سبق أنّ النّاس في وصولهم إلى كمالهم لو كانوا محتاجين الى أكثر من ذلك لوجب علىٰ الله تعالىٰ بيانه، وعلى الأنبياء والرّسل تبيانه، ولكن لم يكن لهم إحتياج إلى غير هذا، فما أمرهم الله تعالىٰ به، ولا أمر نبيّه أن يأمرهم، كالطبيب الحاذق الّذي يعطي للمريض الدّواء، فإنّه الّذي ينبغي لا أزيد ولا أنقص فافهم جدّاً.

وقد سبق أنّ هذه كلّها ضوابط كلّيّة وقواعد جمليّة مقرّرة بين الأنبياء والرّسل، لأجل إزالة النقصان من بين الناس وإيصالهم إلى كمالهم، كالقاعدة المقرّرة بين الأطباء الصوريّة لأجل إزالة الأمراض وإيصال المرض إلى الصّحة، وماوقع الخلاف بينهم في هذا أصلاً إلاّ في بعض الفروع في بعض الأزمان لأجل مصلحة تلك الأزمان وأهلها، الّذي عند التحقيق هو أصل الإتفاق وعين الوفاق، لقوله تعالىٰ:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾ [النساء: ٨٢].

(الصلاة جامعة لجميع العبادات الشرعيّة)

وإذا تقرّر هذا كلّه يجب عليك أن تعرف: أنّ كلّ ما كان النبيّ أو الرسول أعظم كان وضعه لهذه الأصول، وترتيبه لهذه الفروع أعلىٰ وأعظم، ونبيّنا ﷺ بالاتفاق أشرف الأنبياء وأعظمهم، فيجب أن يكون وضعه أعظم الأوضاع وأشرفها، ولهذا صارت صلاته الّتي هي أحد الفروع جامعة لجميع العبادات الشرعيّة الّتي وضعوها الأنبياء والرسل بأجمعهم، وبل جامعة لجميع العبادات الّتي كلّف بها المخلوقات بأسرها، لقوله تعالىٰ:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وبين ذلك مفصلاً:

وهو أنّ المصلّي حالة الصّلاة يصدق عليه أنّه في الصلاة والصّوم والزكاة والحجّ والجهاد.

أمّا الصلاة فلقوله تعالىٰ:

﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١].

(الكلّ موجود صلاة وتسبيح)

فإن هذا يشهد بأن لكلّ موجودة صلاة وتسبيح، وإذا كان كذلك فالمصلّي حالة الصلاة يكون موافقاً مع جميع الموجودات مطابقاً لأوضاعهم التكليفيّة، هذا من اللغة، وأنّ الصّلاة بمعنىٰ الدعاء أو الإطاعة.

وأمّا من حيث الإصطلاح: بإنّ الصلاة عبارة عن هيئة جامعة مشتملة

علىٰ أفعال مخصوصة في زمان مخصوص مترتبة علىٰ قيام وقعود، وركوع وسجود، وتسبيح وتهليل، فذلك أيضاً يصدق على المصلّي أنّه موافق مع الكلّ جامع لجميع العبادات، لأنّ الموجودات كلّها من الروحانيّة والجسمانيّة، أعني العلويّة والسفليّة لها تسبيح وتهليل وركوع وسجود وقيام وقعود، كما شهد به القرآن الكريم وعرفت أكثرها في موضعها.

أمّا في القيام والحركة المستقيمة موافق مع نوع الإنسان، لأنّ حركاتهم مستقيمة بالإتفاق.

أمّا في الرّكوع والحركة الأفقيّة فمع الحيوان مطلقاً، فإنّ حركاتهم بالإتفاق أفقيّة:

وأمّا في السجود والحركة المنكوسة فمع النبات مطلقا، فإنّ حركاتها بالإتفاق منكوسة، وليست الحركات بخارجة عن هذه الثلاث ولا المركبات عن النبات والحيوان والإنسان المعبّرة عنها بالمواليد.

وإن شئت قلت: في القيام موافق مع الملائكة الّتي تكليفهم القيام دائماً، وفي الركوع مع الملائكة الّتي تكليفهم الركوع دائماً، وفي السجود مع الملائكة الّتي تكليفهم السجود دائماً، وكذلك في جميع الحركات والأوضاع المخصوصة بالصّلاة، وإلى مجموع ذلك أشار الحقّ تعالىٰ في قوله:

﴿أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ١٧].

والمراد بالسجدة في الآية ليست إلاّ الصّلاة لغة واصطلاحاً كما يقال: فلان يصلّي، أو يقال: فلان كثير السجدة أي كثير الصلوات، ويجوز أيضاً

بمعنىٰ الإطاعة والإنقياد لقوله تعالىٰ:

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦].

أي يطيعان لأمره وإرادته، وأمثال ذلك كثيرة في القرآن وكلام العرب.

وأمّا في تكبيرة الأحرام فمع الكل على العموم، وعلى الخصوص مع الحجّاج والقاصدين لبيت الله الحرام.

وأمّا في النيّة الّتي هي القصد بالقلب إلى الفعل فمع الكلّ، لأنّ الكلّ قاصدين إليه متوجهين إلى حضرته، وإن لم يكن لهم بذلك علم لقوله:

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

ولقوله:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

وأمّا في التسبيح والتّهليل فمع جميع الموجوات لقوله تعالىٰ:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَاتَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وبالخصوص مع الملائكة لقولهم:

﴿نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وكذلك في جميع الأذكار والأدعية والحركات والسّكنات.

وأمّا في الصّلاة علىٰ النبيّ والسّلام عليه وعلى آله فمع الله تعالىٰ جلّ ذكره، ومع الملائكة والمؤمنين بأسرهم، لقوله تعالىٰ:

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٦].

(الصّلاة في سائر الأمم)

وأمّا في عدد الركعات من الثنائي والثلاثي والرباعي فمع أمّة كلّ نبيّ من الأنبياء الواضعين للشريعة، فإنّه ورد أنّ بعض الأنبياء كانت صلاته ركعتين لا غير وبهما كان يأمر أمّته، وكذلك الثلاث والأربع، أعني كان لبعض الأنياء ركعتين وللبعض ثلاث وللبعض أربع، وقيل الركعتان لآدمعليه السلام، والثلاث لنوحعليه السلام، والأربع لإبراهيمعليه السلام، أو مع الملائكة في صلاتهم المعتبرة بالجناح لقوله تعالىٰ:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:١].

وذلك لأنّ صلاة كلّ موجود في الحقيقة هي الّتي هو عليه من القابليّة والاستعداد كما سبق ذكره عند تفسير قوله تعالىٰ:

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤].

وعند قوله:

﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١].

والغرض أن المراد بالجناح المعبّر عنه بالصلاة القوّة الّتي بها يتصرفون الملائكة في العالم علويّا كان أو سفليّاً.

وقد أشار إلى هذا المولىٰ الأعظم كمال الدين عبد الرزاق قدّس الله

سرّه في تأويله للقرآن وهو قوله:(٧٦)

﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر: ١].

عبّر عن جهات التاثير الكائنة في الملكوت السماويّة والأرضيّة بالأجنحة، جعلها الله رسلاً مرسلة إلى الأنبياء بالوحي وإلى الأولياء بالإلهام، وإلى غيرهم من الأشخاص الانسانيّة وسائر الأشياء بتصريف الأمور وتدبيرها، فما يصل به تأثيرهم (بتأثيرهم) إلى مايتاثّر منه فهو جناح، فكلّ جهّة تأثير جناح، مثلاً أنّ القوّة العاقليّة (العاملتين) العمليّة والنظريّة جناحان للنفس الإنسانيّة، والمدركة والمحركة الباعثة والمحركة الفاعلة، ثلاثة أجنحة للنفس الحيوانيّة، والغاذية والنامية والمولدة والمصورة، أربعة أجنحة للنفس النباتيّة، ولا تنحصر أجنحتها في هذا العدد، بل لهم بحسب تنوّعات التأثيرات أجنحة.

ولهذا حكي رسول الله ﷺ، أنّه رأىٰ جبرئيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح(٧٧).

---

(٧٦) قوله: وقد أشار الى هذا المولى عبد الرزّاق.

ذكره في تفسيره للقرآن، المطبوع بأسم محيي الدين بن عربي سهواً، ج ٢ ص ٣١٤.

(٧٧) قوله: رأىٰ جبرئيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح.

رواه الصدوق في التوحيد، بإسناده عن أبي عبدالله الصادق ﷺ في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨].

قال: رأىٰ جبرئيل على ساقه الدُّر مثل القَطْرِ على البقل، له ستّمائة جناح قد ملأ مابين السماء إلى الأرض». التوحيد، باب٨ (ماجاء في الرؤية)الحديث١٨ ص١١٦.

وروى مثله القمي في تفسيره - سورة فاطر، الآية ١ عن الصادق ﷺ ج ٢ ص ٢٠٦.

وورد أيضاً أنّه يدخل كلّ صبح ومساء في نهر الحياة[٧٨]، ثمّ يخرج وينفض أجنحته فخلق سبحانه من قطراته ملائكة لا عدد لها، وإلى كثرة أجنحتها أشار عقيبه بقوله:

﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

(إنتهىٰ ماقاله عبد الرّزاق).

ليعلم أنّ هذا أمر ممكن والله تعالىٰ قادر عليه.

(في أجر الصلاة والمشاركة فيها بين الربّ والعبد)

هذا مشاركته مع الكل في صلاة واحدة، وهذا الكلّ موجودات

➲ ورواه أيضاً الطبرسي في «مجمع البيان» سورة فاطر الآية ١، عن ابن عباس.

أيضاً أخرجه السيوطي في «الدر المنثور» سورة الشعراء الآية ١٩٤، عن ابن جرير، عن ابن عباس.

(٧٨) قوله: يدخل كل صباح ومساء في نهر الحياة.

روىٰ الصدوق بإسناده عن أبن عباس قال: إنّ رسول الله ﷺ لمّا أسري به إلى السماء انتهىٰ به جبرئيل إلى نهر، يقال له النور، وهو قول الله عزّ وجلّ:

﴿خلق الظلمات والنور﴾، (والآية في القرآن هكذا: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾، [الأنعام: ١])، فلّما أنتهىٰ به إلى ذلك النهر، فقال له جبرئيل: «**يامحمّد إعبر على بركة الله، فقد نّور الله لك بصرك، ومدّ لك أمامك، فإنّ هذا نهر لم يعبره أحد، لا ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، غير أنّ لي في كلّ يوم اغتماسة فيه، ثمّ أخرج منه فأنفض أجنحتي فليس من قطرة تقطر من أجنحتي إلاّ خلق الله تبارك وتعالىٰ منها ملكاً مقرّباً، له عشرون ألف وجه وأربعون ألف لسان، كلّ لسان يلفظ بلغة لا يفقهها اللسان الآخر**»

الحديث. أمالي الصدوق المجلس السادس والخمسون، الحديث ١٠ ص ٢٩، وعنه البحار ج ٣٧ ص ١٠٩ الحديث ٣.

ممكنة، وأمّا مشاركته مع الحق تعالىٰ في الكلّ فقد سبق ذكره في الخبر عن النبيّ ﷺ وذلك وهو أنّه أخبر عن الله تعالىٰ أنّه قال:(٧٩)

---

(٧٩) قوله: قسمت الصلاة.

روى المجلسي في البحار ج ٩٢ ص ٢٦٠ الحديث ٥٥ قريب منه عن إرشاد القلوب، عن الكاظم ﷺ عن أمير المؤمنين ﷺ وروي الصدوق بإسناده عن أمير المؤمنين عن رسول الله ﷺ قال:

«قسمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ماسأل.

إذ قال العبد: «بسم الله الرحمن الرحيم» قال الله جلّ جلاله بدأ عبدي باسمي وحقّ عليّ أن أتمّم له أموره وأبارك له في أحواله.

فإذا قال: «الحمد لله ربّ العالمين» قال الله جلّ جلاله: حمدني عبدي، وعلم أنّ النعم الّتي له من عندي، وأنّ البلايا الّتي دفعت عنه فبتطوّلي، أشهدكم إنـي أضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة، وأدفع (أرفع) عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا.

فاذا قال: «الرحمن الرحيم» قال الله عزّ وجلّ: شهد لي بأني الرّحمن الرّحيم، أشهدكم لأوفرنّ من رحمتي حظّه، ولأجزلنّ من عطائي نصيبه.

فاذا قال: «مالك يوم الدين» لأسهّلنّ يوم الحساب حسابه ولأتقبّلنّ حسناته، ولأتجاوزن عن سيّئاته.

فإذا قال: «إيّاك نعبد» قال الله عزّ وجلّ صدق عبدي إيّاي يعبد، أشهدكم لأثيبنّه على عبادته ثواباً يغبطه كلّ من خالفه في عبادته لي.

فإذا قال: «وإيّاك نستعين» قال الله عزّ وجلّ: بي استعان وإليّ ألتجأ، أشـهدكم لأعيننّه على أمره ولأغيثنّه في شدائده، ولأخذنّ بيده يوم نوائبه.

فإذا قال: «إهدنا الصراط المستقيم» إلى آخر السورة، قال الله جلّ جلاله: هذا لعبدي ولعبدي ماسأل، فقد أستجيب لعبدي، وأعطيته مـاأمّل، وأمـنته عـمّا

«قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ماسأل، يقول الله العبد: بسم الله الرحمن الرحيم، يقول الله: أثنىٰ على عبدي، يقول العبد: الحمد لله ربّ العالمين، يقول الله: حمدني عبدي، يقول العبد: الرحمن الرحيم، يقول الله مجدني عبدي، يقول العبد: مالك يوم الدين، يقول الله: فوض إليّ عبدي، يقول العبد: إيّاك نعبدُ وإيّاك نستعين، يقول الله: هذا بيني وبين عبدي، فيقول العبد: إهدنا الصراط المستقيم إلى آخر السورة، يقول الله: هذا لعبدي ولعبدي ماسأل».

وقد نطق في هذا بعض العارفين بغير هذه العبارة وهو لطيف نذكره هاهنا بسطاً للخاطر وشوقاً للناظر، وذلك قوله:

«واعلم، أنّ التعاشق بين الروح والبدن وتواصلهما إنّما يقتضي صعود الهيآت البدنيّة الى الروح، ونزول الهيات الروحانيّة إلى البدن، فكما أنّ الفكر في المعارف والحقايق وسماع ذكر الحبيب، ومطالعة صفات جماله وجلاله، ومشاهدة عظمته وبهائه يوجب اقشعرار البدن بقوّة إشعاره واضطراب جوارحه.

وسماع ذكر العدو ومكايده في مساويه، وفي كلّ ماتكرهه النفس يهيج الغضب ويحمر اللون والعين ويملأ العروق ويعظمها، ويحمى البدن ويشوش الحركات، فكذلك خشوع الجوارح وخضوع البدن،

← وَجِل». الحديث.

(أمالي الصدوق المجلس ٣٣ الحديث ١ ص ١٤٧).

وتنظيفه ونزاهته وتطهيره، وذكر الله تعالىٰ باللسان وتحميده وتمجيده، ومواطاة الباطن فيها للظاهر بالنيّة والإعراض عن الملاذ الحسية والإمتناع عنها بكف الحواسّ، وتذكر أحوال الملكوت والجبروت والتشبّه بهما وبالمقرّبين من عباد الله المخلصين، يوجب عروج القلب والروح إلى الحضرة القدسيّة والإقبال إلى الحقّ والإستفاضة من عالم الأنوار، وتلقي المعارف والحقايق عنه والإستمداد من عالم الملكوت والجبروت.

فوضعت عبادة شاملة لهيات الخضوع والخشوع، وإتعاب الجوارح مع شرايط التنزيه والتنظيف وقصد القربة، وصدق النيّة والأذكار المشيرة إلى نعمه تعالىٰ وتعظيمه وتحميده وتمجيده وثناءه بما يليق بحضرته.

وغاية التذلل لعظمته والإذعان لأمره وحكمه هي الصلاة، وكررت في اليوم والليلة بعدد الحواس الخمس، فإنها مشاعر للنفس الإنسانيّة تطلع بها على أحوال العالم الظلماني، ومخارج لها يخرج فيها الى العالم السفلى فتبعد عن الحق، ومداخل تدخل بها الهيات الظلمانيّة الغاسقة من المواد الهيولانيّة وأحوال الجواهر الجسمانيّة وكدوراتها وتغيراتها، فيتكدر القلب ويتغيّر ويتلوّث ويحتجب عن عالم النور، ويتشوّش وينقطع عن الحضور.

(في حكمة أوقات الصلوات الخمس وعدد ركعاتها)

فوضعت بإزائها خمس صلوات وعيّنت أوقاتها وركعاتها بمقتضىٰ

الحكمة الإلهيّة، ومنعت بها عن إستعمال تلك الحواسّ، وأغلقت عليها تلك الأبواب لينقطع إمداد الظلمة، وينفتح باب الباطن الّذي إلى جناب الحقّ، والعالم النوراني بالحضور والنيّة والتوجّه إلى الحقّ، كما قال ﷺ: «لا صلاة إلاّ بحضور القلب»(٨٠).

---

(٨٠) قوله: لا صلاة إلاّ بحضور القلب.

روى الصدوق بإسناده عن الباقر ؑ في خصال الامام زين العابدين ؑ قال:

«كان إذا قام في صلاته غشي لونه لون آخر، وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، كانت أعضائه ترتعد من خشية الله عزّ وجلّ، وكان يصلّي صلاة مودّع يرى أنّه لا يصلي بعدها أبداً، ولقد صلّىٰ ذات يوم فسقط الرّداء عن إحدىٰ منكبيه فلم يسوّه حتىٰ فرغ من صلاته، فسأله بعض أصحابه عن ذلك فقال:

(ويحك أتدري بين يدي من كنتُ، إنّ العبد لا يقبل من صلاته إلاّ ماأقبل عليه منها بقلبه)، فقال الرّجل: هلكنا، فقال: «كلاّ إنّ الله عزّ وجلّ متمّم ذلك بالنوافل».

كتاب الخصال أبواب العشرين الحديث ٤ ص ٥١٧.

روى الكليني بإسناده عن الباقر ؑ قال:

«إنّ العبد ليرفع له من صلاته نصفها، أو ثلثها، أو ربعها، أو خمسها، فما يرفع له إلاّ ماأقبل عليه بقلبه، وإنّما أمرنا بالنافلة ليتمّ لهم بها مانقصوا من الفريضة». (فروع الكافي ج ٣ ص ٣٦٣، باب مايقبل من صلاة الساهي الحديث ٢)

روى البرقي بإسناده عن الصادق ؑ عن أبيه الباقر ؑ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يقبل الله صلاة عبد لا يحضر قلبه مع بدنه». (بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٠٦ عن المحاسن).

روى الكليني بإسناده عن الرضا ؑ قال:

«طوبىٰ لمن أخلص الله العبادة، والدعاء، ولم يشغل قلبه بما ترىٰ عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحزن صدره بما أعطي غيره».

وجُعل أوّلها صلاة الظهر عند الزوال بعد الإستواء كما قال تعالىٰ: ﴿أقم الصلوة لدلوك الشمس﴾ [الإسراء: ٧٨].

فإن الإحتياج إليها إنّما هو عند ميل الروح الإنساني إلى الغروب في الأفق الجسماني، وتواريه بالحجاب الظلماني واحتجاب نوره بالجوهر الغاسق الهيولاني، وأمّا حال الإستواء والبقاء على الفطرة الأولى والإستيلاء على ظلمة الهيولي على ماكان عليه حال آدم ﷺ في الجنة قبل الهبوط، فهو في مقام المشاهدة حافظاً للميثاق داخلاً في زمرة العشاق، فلم يكلّف بهذه الأوضاع، وكذا حال شدّة التأثير في المواد البدنيّة والإشتغال بالأمور الطبيعية، فإنّ الصلاة فيها لم تفد. وجعل عدد ركعاتها أربعاً، بازاء أوّل أركان وجوده في هذه النشأة الّتي هي العناصر الأربعة.

(بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٢٢٩ الحديث ٥ عن الكافي)

روى المفيد بإسناده عن الباقر ﷺ قال:

«إني لأحبّ للرجل المؤمن منكم إذا قام في صلاته أن يقبل بقلبه إلى الله تعالىٰ ولا يشغله بأمر الدنيا، فليس من مؤمن يقبل بقلبه في صلاته إلى الله إلاّ أقبل الله إليه بوجهه، وأقبل بقلوب المؤمنين إليه بالمحبّة له بعد حبّ الله إياه». أمالي المفيد، المجلس الثامن عشر الحديث ٧ ص ١٤٩.

وروى قريب منه الصدوق عن الصادق ﷺ في الفقيه ج ١ ص ١٣٥ الحديث ١١ (٦٣٢)، وعنه المحجّة البيضاء ج ١ ص ٣٥٢.

وأخرج الغزالي أبو حامد في إحياء علوم الدين عن النبي ﷺ قال:

«إنّما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف، وأشعرت المناسك، لإقامة ذكر الله تعالىٰ: فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الّذي هو المقصود والمبتغىٰ، عظمة ولا هيبة، فما قيمة ذكرك؟».

إحياء علوم باب فضيلة الخشوع ج ١ ص ٢٢٨.

(أقسام الشكر)

فإنّ أوّل مراتب الإسلام تسليم أوّل أصول وجوده، وإن جعل العبادة شكر النعمة، فهي أوّل نعم الله عليه، والشكر أصله إنّما هو بتصور النعمة من المنعم، فهو إقرار بأنّها منه لا من نفسه، وإذا كانت منه فليس له شيء منها فقد سلمها إليه، وكذا الشكر باللسان إنّما هو بالثناء عليه بأنّه فاطر الكل ومالكه، كقول المصلّي:

﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

وقراءته للفاتحة، وجوباً على الأصح، وكذا الجوارح فإنّه إنقياد للأمر وخروج عن حوله وقوّته وقدرته وإرادته وعلمه، وإلاّ لم يطع بترك مراده واختاره ومايهوي من حركاته وأفعاله بمقتضىٰ طبعه وهوىٰ نفسه إلى مراد الحق منه، فهذه أقسام الشكر، فانّها ثلاثة كما قال الشاعر:

إفـادتكم النـعماء مـنّي ثـلاثة   يدي ولساني والضمير المحجبا

وكلّها راجعة إلى الفناء في التوحيد.

ثمّ صلاة العصر وإنّما جعلت أربعاً لكونها بإزاء مايلي الأركان الأولى من الأخلاط الأربعة فإنّها يحدث منها أوّلاً بالإمتزاج، وكلّما قرب البدن إلى الروح بالإعتدال، بعد الروح من جناب الحقّ وعالم النور بالإنجذاب إليه فلهذا يكون وقتها أقرب إلى الغروب.

ثمّ صلاة المغرب عند الإحتجاب ثلاث ركعات بازاء القوى الثلاث الّتي هي رؤساء البدن بحسب بقاء الشخص، وهي القوىٰ الطبيعية والحيوانية والنفسانية، فإنّ حدوثها بأفول الروح في أفق الجسد وتمام

إحتجابه، ولهذا خصّت بالمغرب.

ثمّ صلاة العشاء أربعاً بازاء الأعضاء الأربعة الّتي هي أصول الأعضاء ومبادئ قواها الّتي يتمّ بها أمر البدن المسماة أعضاء رئيسية، وهي الثلاث: الدماغ، والكبد، والأنثيان، فإنّها محالّ القوى الّتي تبني عليها حياة الإنسان، وبقاه بالشخص والنوع، وتكمل جسده، واستقرت سطلنته واشتّد أمره وقوّى.

ولهذا خصّ بدخول الغسق وحصول الوقت ووقت النوم، فإنّ كمال أعضاء البدن يوجب استنامة الروح إليه واستغراقه، وإذا أنتهىٰ زمان أزدياد القوى البدنية والإعضاء، وتمّت سلطنتها وكملت بكمال البدن، وفرغ الروح من غمراته والإقبال إلى الطبيعة بالإمداد لتمامه، أقبل إلى عالَمه وظهر نور عقله وابتداء تجرّده وانتبه من نومه، وظهر القلب أو حدب بإدراك الكلّيات واستخراجها من الجزئيات، كانقضاء مدّة الليل بطولها، وطلع الصبح المعنوي بظهور نور شمس الروح ورجوعها إلى الأفق الشرقي من عامله باعتبار، والغربي الّذي أفل فيه باعتبار.

وجاء وقت صلاة الصبح وخصّ وقتها للمناسبة وجعلت ركعتين بإزاء الروح والبدن، كما أن الإنسان قبل البلوغ وظهور العقل كان شيئاً واحداً جمساً طبيعيّاً فصار بذلك شيئين.

(في حكمة أوضاع الصلاة وأركانها)

وأمّا أوضاعها وأركانها على الترتيب المعلوم[٨١]، فإنّ القيام في

---

(٨١) قوله: وأمّا أوضاعها وأركانها على الترتيب المعلوم.

روى جابر بن عبدالله الأنصاري قال: كنت مع مولانا أمير المؤمنين ﷺ فرأى رجلاً قائماً يصلّي فقال له: «ياهذا أتعرف تأويل الصلاة»؟ فقال: يامولاي وهل للصلاة تأويل غير العبادة؟ فقال: «أي والّذي بعث محمّد ﷺ بالنبّوة، ومابعث الله نبيّه بأمر إلاّ وله تشابه وتأويل وتنزيل، وكلّ ذلك يدلّ على التعبّد». فقال له: علّمني ماهو يامولاي؟

فقال ﷺ:

«تأويل تكبيرتك الأولى إلى إحرامك أن تخطر في نفسك إذا قلت: الله أكبر من أن يوصف بقيام أو قعود، وفي الثانية، أن يوصف بحركة أو جمود، وفي الثالثة، أن يوصف بجسم أو يشبه بشبه أو يقاس بقياس، وتخطر في الرابعة أن تحلّه الأعراض، أو تؤلمه الأمراض، وتخطر في الخامسة أن يوصف بجوهر أو بعرض أو يحلّ شيئاً أو يحلّ فيه شيء، وتخطر في السادسة أن يجوز عليه مايجوز على المحدثين من الزّوال والإنتقال، والتغيّر من حال إلى حال، وتخطر في السابعة أن تحلّه الحواسّ الخمس.

ثمّ تأويل مدّ عنقك في الركوع تخطر في نفسك آمنت بك ولو ضربت عنقي.

ثمّ تأويل رفع رأسك من الركوع إذا قلت: (سمع الله لمن حمده، الحمد لله ربّ العالمين)، تأويله: الّذي أخرجني من العدم إلى الوجود.

وتأويل السجدة الأولى أن تخطر في نفسك وأنت ساجد: منها خلقتني، ورفع رأسك تأويله: ومنها أخرجتني.

والسجدة الثانية: وفيها تعيدني، ورفع رأسك تخطر بقلبك: ومنها تخرجني تارة أخرى.

وتأويل قعودك على جانبك الأيسر ورفع رجلك اليمنى وطرحك على اليسرى تخطر بقلبك اللّهم إنّي أقمت الحقّ وأمتّ الباطل. وتأويل تشهّدك تجديد الإيمان ومعاودة الإسلام، والإقرار بالبعث بعد الموت.

الركعة الأولى إشارة إلى مقام الفطرة الإنسانيّة وهيئة النفس الناطقة القائمة من بين الموجودات، كما قال تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

والركوع إشارة إلى مقام النفس الحيوانيّة الّتي يليها في هذه النشأة الجامعة، فانّ الحيوانات راكعة.

والإعتدال إشارة إلى صيرورتها بنور الناطقة نوعاً آخر، له خصوصيّات إعتداليّة وهيأت كماليّة يستوي بها ويعتدل ويتخلّق بالأخلاق الحميدة المَلَكيّة، ويتّصف بالفضائل الجميلة الإنسانيّة.

والسجود إشارة إلى مقام النفس النباتيّة، فإنّ النبات ساجد، ورفع الرأس منه معلوم من بيان الإعتدال من الركوع.

والسجود (الثاني) إشارة إلى أنّ هذه النفس بسبب صيرورتها في الإنسان نوعاً أشرف، ممتازاً عن ساير أنواع النبات بالإنقلاع عن الأرض، والتصرّف وتوليد الإخلاط الأربعة وغير ذلك من التصرفات العجيبة الّتي حصلت لها من خواص الإنسان، المشار إليها برفع الرأس من السجود لم يزد مرتبتها، بخلاف الحيوانيّة المدركة الكاسبة للملكات الفاضلة، بل

⟵ وتأويل قراءة التحيّات تمجيد الربّ سبحانه وتعظيمه عمّا قال الظالمون ونعَته الملحدون.

وتأويل قولك: (السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ترحّمٌ عن الله سبحانه فمعناها: هذه أمان لكم من عذاب يوم القيامة».

ثم قال أمير المؤمنين ﷺ: «من لم يعلم تأويل صلاته هكذا، فهي خداج، أي ناقصة».

(بحار الأنوار ج ٨٤، ص ٢٥٣، الحديث ٥٢).

بقيت على حالها في عدم الإدراك والإرادة والإشتغال بما يخصها من الأفعال النباتيّة بالطبع.

وأمّا القيام في الركعة الثانية فهو إشارة إلى عالم العقل وانخراطه بذلك في سلك الجبروت بكمال التجرّد بالتعقل بالفعل.

وأمّا ركوعها فهو صورة الإنخراط في سلك الملكوت السماويّة بالتنزّه عن ملابس الشهوة والغضب والتأثير في الجهة السفلّية، وأمّا ترفعها عنه بالإعتدال فهو زيادة في مرتبتها باستعداد الولاية وكمال المعرفة.

وأمّا سجودها فهو إشارة إلى النفوس الشريفة الكوكبيّة وهيئاتها في إجرامها كما قال تعالىٰ:

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦].

وأمّا الإعتدال فمعلوم ممّا مرّ.

والرجوع إلى السجود هو البقاء على حال التأثير من العالم الجسماني والإقبال إليه مع شرفها، والتشهد هو بلوغ الروح بهذه العبادة الحقيقية إلى مقام المشاهدة مطلقاً إلى مافي العالمين، واصلاً إلى محلّ القرب بالمتابعة مستقرّاً متمكّناً فيما حصل من المواصلة، معاينا لما أعتقد من حقيقة الشهادتين واجداً لما طلب من متابعة النبيّ، محقّقاً لمعنى قوله:

«السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة وبركاته، السلام علينا وعلىٰ عبادالله الصّالحين».

(السلام فيض نازل من عند الله)

لأنّ السلام هو الفيض النازل من عند الله، والمدد الفايض الواصل من

العالم القدسي إلى هذه النفوس المكمّل ايّاها بتجريدها عن صفات النقص وآفات النفس، وتكميلها بالكمالات الخلقيّة والوصفيّة الإلهيّة، فيجعلها إسماً من إسمائه لاتّصافها بما أمكن لكلّ واحد منها من صفاته.

هذا آخر كلام ذلك العارف والحمد لله وحده.

هذا بالنسبة إلى حكمة أوضاعها المخصوصة بها.

وأمّا بالنسبة إلى الصوم وأنّ المصلّي حين الصّلاة في حكم الصائم وحكم باقي العبادات المذكورة، فذلك يندرج تحت بيان علّة تقديم الصلاة على غيرها وترجيحها عليه وتحت بيان علّة حصر الفروع في الأعداد المذكورة، وكلّ ذلك يحتاج إلى ضابطة أخرى كليّة جامعة لجميع ذلك مفصلاً.

ضابطة أخرى كلّية في بحث الفروع وانحصارها في الخمسة، وعلّة تقدّم الصلاة على غيرها، وأن المصلّي جامع للكلّ ثمّ علّة تقديم كلّ واحدة منها على الأخرى

إعلم أن الفروع أيضاً قد أختلف النّاس فيها، لأنّ بعض الناس أضافوا إلى الصلاة: ألطهارة، وإلى الصوم: ألإعتكاف، وإلى الزكاة: ألخمس، وإلى الحجّ: ألعمرة، وإلى الجهاد: ألمرابطة والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

(الأشهر في الفروع أنها خمسة)

وحيث إنّ هذا غير معتبر عند الكلّ، فلنشرع في الأشهر والأظهر المتفق عليه الكلّ وهو الصلاة، والصوم، والزكاة، والحجّ، والجهاد.

والحقّ أنّها منحصرة في هذه الأعداد، يعني أنّها لا ينبغي أكثر منها ولا أقل والدليل على حصرها فيها، وهو أنّ الوجوب إمّا يتعلّق بالنفس فقط كالصلاة والصوم، وإمّا يتعلّق بالمال فقط كالزكاة، وإما يتعلّق بالنفس.

والمال كالحجّ والجهاد، وإذا كان كذلك فلا يحتاج المكلّف إلى أكثر من ذلك في تحصيل كمالاته ولا يمكن تحصيلها بأقل منها، فيجب الحصر حينئذ فيها وهذا هو المطلوب.

(الأنبياء أطبّاء النفوس)

ويحتاج هذا المكان إلى مثال مناسب في هذا الباب وهو أنّ الله تعالىٰ حكيم كامل، والأنبياء والرسل‌ﷺ كما سبق ذكرهم أطبّاء النفوس ومعالجي القلوب، وأوضاعهم وقوانينهم في الشرايع كالمعاجين والأشربة لمرضىٰ الناس ومصحاهم، فلو عرفوا هناك دواء لدائهم وأمراضهم أنفع وأنسب من هذا لأُمروا به وأظهروه للناس ليستعملوه في إزالة أمراضهم ودفع دوائهم، لأنّ ذلك كان واجباً عليهم وعلى الله تعالىٰ أيضاً، لأنّ هذا كلّه من قبيل اللطف، واللطف واجب عليهم وعلى الله، كما بيّناه مراراً بحيث لا يجوز الإخلال به، فعرفنا أنّ هذا الدواء المعبّر عنه بالفروع كاف في إزالة مرض الجهل والكفر والشك والنفاق، وذلك تقدير العزيز العليم.

ومثال آخر، وهو أنّه كما لا يجوز أكثر من ذلك فكذلك لا يجوز أقل منه، كما أنّ الطبيب الصوري مثلاً إذا أمر بشيء من الأشربة والمعاجين لدفع المرض الصوري وإزالة الداء الحسّي، لا يجوز للمريض أن يزيد عليه شيء ولا ينقص منه شيء، فإنّه إن فعل ذلك يكون إمّا موجباً لزيادة المرض أو سبباً للهلاك.

فكذلك الطبيب المعنوي الذي هو النبيّ أو الرسول، فانّه إذا أمر بشيء من التكليف الشرعيّة والقوانين الإلهيّة لدفع إزالة الجهل وداء الكفر

والنفاق، لا يجوز للمريض المعنوي أن يزيد عليه شيء ولا أن ينقص منه شيء فإنّ ذلك يكون إمّا موجباً لزيادة المرض المعنوي، أو سبباً للهلاك الأبدي والشقاء السرمدي.

فالأصول والفروع أكثر من ذلك لا ينفع، ولا أنقص، فإن زاد عليهما أحد من عنده شيئ لا يكون إلاّ موجباً لزيادة مرضه أو سبباً لهلاكه وإن نقص أيضاً كذلك، وكذلك كلّ واحدة منهما، فإنّ من صلّى الظهر مثلاً خمس ركعات لا تنفعه مع أنها طاعة، لأنّه خروج عن وضع الشارع وأوامره، وكذلك باقي الفروع و الأصول، فافهم ذلك جداً. والله أعلم وأحكم، وتلك الأمثال نضربها للنّاس ومايعقلها إلاّ العالمون.

وإمّا علّة تقديم كلّ واحدة من هذه الفروع على الأخرى وترجيحها عليها كالصلاة على الصوم والصوم على الزكاة إلى آخرها:

(الصلاة جامعة لجميع العبادات)

فإنّ الصّلاة جامعة لجميع العبادات الأربعة الباقية بخلاف غيرها، فإنّ المصلّي حال صلاته في الصّوم والزكاة والحجّ والجهاد.

إمّا صلاته فإنه مادام مستقبل القبلة متوجه إلى الكعبة مشتغل بالركوع والسجود والقيام والقعود فهو في حكم المصلّي.

وأمّا صومه فلأنّه مادام مشغولاً بالصلاة فهو لازم للإمساك من المأكول والمشروب وجميع المفطرات، وكلّ من كان كذلك فهو في حكم الصائم.

وأمّا زكاته فلأنّ الزكاة هي إخراج الحقوق ممّا في ملكه وتصرفه، وبدنه ملكه، بحكم:

«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[٨٢].

وقال النبي ﷺ أيضاً:

«لكلّ شيء زكاة وزكاة البدن الطاعة»[٨٣].

---

(٨٢) قوله: كلكم راع.

جامع الصغير للسيوطي ج ٢ الحديث ٦٣٧٠ ص ٢٨٩، وأخرجه مسلم ج ٣ كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام، الحديث ٢٠ (١٨٢٩) ص ١٤٥٩، وأخرجه أحمد بن حنبل عن ابن عمر ج ٨ ص ٨٣ الحديث ٤٤٩.

وتمام الحديث هكذا:

«ألا كلّكم راع، وكلّكم مسؤول عن رعيّته، فالإمام، (فالأمر الذي) راع وهو مسؤول عن رعيته، فالرجل راع على أهل بيته (في أهله) وهو مسؤول عن رعيّته، والمرأة راعية على (في) بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم (العبد) راع على (في) مال سيّده وهو مسؤول عن رعيّته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيّته، ألا فكلّكم راع، وكلّكم مسؤول عن رعيّته».

راجع أيضاً تفسير المحيط الأعظم ج ٣ ص ٣٥٨، التعليق ١٨٥.

(٨٣) قوله: لكل شيء زكاة

قال أمير المؤمنين:

«فإنّ طاعة الله حرز من متالف مكتنفة، ومخاوف متوقّعة، وأوار نيران موقدة، فمن أخذ بالتقوىٰ عزبت عنه الشدائد بعد دنّوها، وأحلولت له الأمور بعد مرارتها، وأنفرجت عنه الأمواج بعد تراكُمها، وأسهلت له الصعاب بعد أنصابها، وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها، وتحدّبت عليه الرحمة بعد نفورها، وتفجّرت عليه النعم بعد نضوبها، ووبلت عليه البركة بعد ارذاذها».

نهج البلاغة الخطبة ١٩٨.

وفي نهج الفصاحة عن النبيّ ﷺ قال:

فكلّما كان هو في الركوع والسجود والقيام والقعود والقراءة والتسبيح والنيّة الّتي هي القصد بالقلب إلى الفعل والحركات المتبعة بالجوارح والإعضاء يكون هو مخرجاً للزكاة حقيقةً.

وأمّا حجّه فلأنّه مادام متوجّهاً إلى الكعبة مستقبلاً إلى القبلة محرماً عن كلّ فعل يبطل صلاته قاصداً رضاء الله وطاعته، طايفاً حول قلبه بأن لا يدخل فيه غير الله كما قال ﷺ:

«لا صلاة إلاّ بحضور القلب»(٨٤).

فهو في حكم الحاج بلا خلاف لأنّ الحجّ الصوري هو القصد إلى بيت الله الحرام لإداء المناسك الصوريّة، وهذا قصد إلى بيت الله الحرام الّذي هو القلب وماحوله لأداء المناسك المعنويّة فيكون هو بذلك من الحجاج الحقيقي دون المجازي الصوري.

وأمّا جهاده فلأنّ الجهاد عبارة عن محاربة أعداء الدين ومقابلتهم لكي تقبلوا الإسلام ويطيعوا أوامر الله ونواهيه، والمصلّي حال الصلاة في المحاربة مع نفسه الأمّارة الّتي هي في حكم الأعداء والكفرة للدين الحقيقي والإسلام المعنوي، لقول النبيّ ﷺ:

«لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم». الحديث ٢٢٥٧.

وأخرجه ابن ماجه عن النبيّ ﷺ في سننه ج ١ كتاب الصيام باب ١٤٤ الحديث ١٧٤٥ ص ٥٥٥ وفي نهج البلاغة الحكمة ١٣٢ (فيض) قال أمير المؤمنين:

«لكل شيء زكاة وزكاة البدن الصيام».

(٨٤) قوله: لا صلاة إلاّ بحضور القلب.

راجع التعليق ٨٠.

«أعداء عدوّك نفسك الّتي بين جنبيك»[٨٥].

لكي تطيع صاحبها وتقبل أوامره ونواهيه، ويشهد قولهﷺ:

«رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»[٨٦].

لأنّه إذا سئل عن معناه قال:

«الجهاد الأكبر هو جهاد النفس»[٨٧].

وكلّ من كان كذلك لاشكّ أنّه يصدق عليه أنّه في الجهاد.

وفي الصلاة أبحاث كثيرة قد سبق أكثرها قبل بحث الأصول وبعضها عند بحث الفروع وسيجيء في موضعها البعض الآخر إن شاء الله.

(في بيان تقديم الصوم على الزكاة)

وأمّا تقديم الصوم على الزكاة فلأنّه يتعلّق بالنفس خاصّة، والزكاة تتعلّق بالمال خاصّة، والنفس أعزّ من المال وأعظم وأسبق، فيجب تقديمه، ولهذا قال تعالى:

«الصّوم لي وأنا أجزى به»[٨٨].

---

(٨٥) راجع التعليق ١.

(٨٦) قوله: رجعنا من الجهاد الأصغر.

رواه الكليني في الفروع من الكافي ج ٥ ص ١٢ الحديث ٣، و راجع تفسير المحيط الأعظم ج ٣ ص ٣٠٨، التعليق ١٤٩.

(٨٧) قوله: الجهاد الأكبر.

المصدر السابق.

(٨٨) قوله: الصوم لي.

وذلك لأنّه فعل لا يدخله شكّ ولا شبهة ولا رياء ولا عجب، وبل هو صادر من محض الإخلاص، لأنّ صاحبه إن لم يكن كذلك لا يصوم، لأنّه متمكّن عن الأكل والشرب من غير إطلاع أحد عليه، فعرفنا أنّه من خوفه من الله وطلب رضائه يفعل هذا الفعل، فيجب حينئذ أجره وجزاه على الله، وكلّ فعل يكون كذلك ويكون هو على النفس خاصّة دون المال يجب تقديمه.

(في بيان تقديم الزكاة على الحجّ)

وأمّا تقديم الزكاة على الحج فلأنّها على المال فقط، ويتكرّر كلّ سنة وبل كل ساعة لأجل تتالي المكاسب وتعاقب المرابح، والحجّ ليس بواجب في العمر إلاّ مرّة واحدة مع الإستطاعة، فيجب تقديم الواجب في كلّ سنة بل كلّ ساعة على الواجب في العمر مرّة.

← حديث قدسيّ مشهور، روي عن النبيّ ﷺ، عن الله سبحانه وتعالى.

رواه المجلسي في بحار الأنوار ج ٩٦ ص ٢٥٤ عن مصباح الشريعة، وص ٢٥٥، عن مكارم الأخلاق، وص ٢٥٨ عن دعائم الإسلام.

ورواه الشيخ الطوسي في التهذيب ج ٤ به كتاب الصيام باب فرض الصيام الحديث ٣، ص ١٥٢، بإسناده عن الفضل بن يسار، عن الباقر ؛:

«قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عزّ وجلّ».

«الصوم لي وأنا أجزئ به»

وراجع «كنز العمّال» ج ٨ ص ٥٨٢ الحديث ٢٤٢٧١ وص ٥٨٩ الحديث ٢٤٢٨٧ و ٥٩٠ الحديث ٢٤٢٩٠.

(في تقدّم الحجّ على الجهاد)

وأمّا تقديم الحجّ على الجهاد فلأنّه يحتاج إلى إخراج مال كثير ويجب على كلّ مستطيع، ويمكن أن لا يجب الجهاد على أحد ولا يحتاج إلى مال كثير، لأنّ الجهاد مشروط بشرايط كثيرة، ومع فقدان الشرايط لا يحصل المشروط ولا يجب أيضاً.

(في تقدّم الجهاد الحقيقي على الفروع كلّها)

وإن أردنا بالجهاد الجهاد الحقيقي المذكور، فالجهاد مقدّم على الكل حتّى الصلاة، فإنّ كلّ من لا يحارب نفسه، مايتمكن أن يقوم أن يتوضأ ويصلي، وهذا أمر وجداني يجده كلّ عاقل من نفسه، وفيه أبحاث كثيرة وأسرار جليلة لا يخفى على أهلها، وسيجيء أكثرها عند بيان كلّ واحدة منها، هذا على طريق أهل وأرباب التحقيق.

(في تقدّم الفروع بعضها على البعض على مبنى أرباب التقليد والظاهر)

وأمّا على الظاهر وأرباب التقليد فلها تفسير آخر لابدّ منه، وذلك أنّهم قالوا: إنّ تقديم الصلاة على الصوم لأنّ الصلاة واجبة على العموم وفي جميع الحالات، والصوم ليس كذلك، لأنّه عبادة مخصوصة بزبان مخصوص، وأيضاً الصلاة يجب على كلّ عاقل مكلّف متمكّن من فعلها، وتجب في الصحة والمرض، وعلى النائم على الفراش والمستلقي

والقاعد، وفي الحرب وفي البرّ والبحر، وغير ذلك من الحالات، لأنّه لا يسقط بوجه من الوجوه، والصوم يسقط عن العجائز والشبان والعطاش، والمرأة الحاملة إذا كانت قليلة اللبن، والحائض حين حيضها وأمثال ذلك.

وأيضاً الصّلاة تتكرّر في كلّ يوم خمس مرّات والصوم في كلّ سنة مرّة واحدة، فالصلاة تكون بالتقديم أولى.

فأمّا علّة تقديم الصّوم على الزكاة فلأنّ الصوم يجب على النفس، والزكاة على المال، وليس كلّ أحد صاحب مال، حتّى يجب عليه، ولكن كلّ أحد صاحب نفس ويجب عليه الصوم فيكون أولى بالتقديم لعمومه.

وأمّا تقديم الزكاة على الحجّ فلأنّ الزكاة تجب في كلّ سنّة مراراً متعددة في الّذي لم يكن فيه حؤول الحول شرطاً، وفي الّذي يكون حؤول الحول شرط مرّة واحدة، والحجّ لا يجب في العمر إلاّ مرّة واحدة مع الإستطاعة فيكون الزكاة أولى بالتقديم من غيرها.

وأمّا علّة تقديم الحجّ على الجهاد، فلأنّ الحجّ واجب على العين، والجهاد واجب على الكفاية، وفرق كثير بينهما، وأيضاً الجهاد لا يجب إلاّ مع حضور الإمام المعصوم أو مَن أمره به، وهذا المعنىٰ في أكثر الأوقات مفقود، ويشهد به زماننا هذا، فيكون الحجّ أولى بالتقديم منه لعمومه. وهاهنا أسرار كثيرة غير هذه، لأنّه يمكن تأويل هذه الصورة بوجوه كثيرة غير هذا.

هذا آخر بيان الفروع وعلّة تقديم كلّ واحدة منها على الأخرىٰ بعد بيان الأصول على الوجه المذكور.

وكأنّ الله تعالىٰ إلى هذه العشرة من الأصول والفروع أشار وقال:

﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦].

لأنّ بهذه العشرة تحصل السعادة الأبديّة والخلود في الجنّة الصوريّة والمعنويّة، رزقنا الله الوصول إليهما بمحمد وآله الأبرار الأخيار.

وإذا فرغنا من بحث الأصول والفروع والمقدّمات المتعلقة بهما، وحكمة أوضاع الصلاة والمعراج الصوري والمعنوي، وعلّة تقديم كلّ واحدة من الفروع على الأخرى وغير ذلك من اللطايف والنكات.

فلنشرع أوّلاً في الصلاة على طريق الطوايف الثلاث من أهل الشريعة والطريقة والحقيقة، ثمّ في باقي الفروع على الترتيب المعلوم.



أمّا صلاة أهل الشريعة

فالصلاة عندهم مشتملة على ثلاثة أجناس: أفعال، وكيفيّات، وتروك، وكلّ واحدة منها على قسمين: مفروض ومسنون بحيث تصير هذه الثلاث من الصلوات الخمس ألفاً وثلاثمائة وثلاثة وستّين فعلاً وكيفية وتركاً.

ولسنا نحن بصدد تحقيق هذا المجموع ولا تعداده، بل نحن في صدد أن نذكر هاهنا مايجب على المكلّف القيام به في ركعة واحدة من الأفعال والكيفيّات لا غير، لأنّ الباقي يحصل العلم به بادنئ تأمل.

أمّا الأفعال الواجبة في أوّل ركعة من الصلاة فهي ثلاثة عشر فعلاً:(٨٩)

---

(٨٩) قوله: فهي ثلاثة عشر فعلاً.

وهي هكذا:

١ - القيام، ٢ - النيّة، ٣ - تكبيرة الإحرام، ٤ - القراءة، ٥ - الركوع، ٦ - الذّكر فيه، ٧ - السجدة، ٨ - الذكر فيها، ٩ - رفع الرأس منها، ١٠ - السجدة الثانية، ١١ - الذكر فيها، ١٢ - رفع الرأس منها، ١٣ - جلوس الإستراحة.

القيام مع القدرة، أو مايقوم مقامه مع العجز عنه.

والنيّة،

وتكبيرة الإحرام،

والقراءة،

والركوع،

والسجود الأوّل، والتسبيح فيه، ورفع الرأس منه،

والسجود الثاني، والذكر فيه ورفع الرأس عنه.

وأمّا الكيفيّة الواجبة منها ثمانية عشر كيفيّة.

مقارنة النيّة لتكبيرة الإحرام واستدامة حكمها إلى عند الفراغ، والتلّفظ بـ: ألله أكبر، وقراءة الحمد وسورة معها مع القدرة والإختيار، والجهر فيما يجهر والإخفات فيما يخافت، والطمأنينة في الركوع والطمأنينة في الإنتصاب منه، والسجود على سبعة أعضاء، الجبهة واليدين، الركبتين وإبهامي الرجلين، والطمأنينة في السجدة الأولى والإنتصاب منها وفي السجدة الثانية كذلك.

يصير الجميع أحد وثلاثون فعلاً وكيفيّة.

وفي الركعة الثانية مثلها إلاّ تجديد النيّة وتكبيرة الإحرام وكيفياتهما وهي أربعة يبقىٰ سبعة وعشرون.

يصير الجميع في الركعتين ثمانية وخمسين فعلاً وكيفيّة، وينضاف إلى ذلك ستّة أشياء: الجلوس في التشهد والطمأنينة فيه، والشهادتان، والصلاة على النبيّ والصلاة على آله.

يصير الجميع أربعة وستّين فعلاً وكيفيّة، فإن كانت صلاة الفجر إنضاف

إلى ذلك التسليم، وإن كانت الظهر والعصر والعشاء الآخرة إنضاف إلى ذلك مثلها إلاّ تجديد النيّة، وتكبيرة الإحرام وكيفياتهما وهي أربعة أشياء، ويسقط قراءة مازاد على الحمد، يبقى ستّون فعلاً وكيفيّة الركعتين الأخيرتين، يصير الجميع مائة وأربعة وعشرين فعلاً وكيفيّة، هذا ترتيب صلاة أهل الشريعة على طريقة أهل البيت﵈ بحسب الظاهر.

وأمّا بحسب الباطن فذلك يتعلّق بأهل الطريقة كما سنذكر الآن وهو هذا:



وأمّا صلاة أهل الطريقة

(الصلاة عند أهل الطريقة هي القربة إلى الحقّ والفناء في صفاته تعالىٰ)

فالصلاة عندهم قربة إلى الحق تعالىٰ، وورد عن النبيّ ﷺ:

«الصّلاة قربان كلّ مؤمن».

والمراد بهذا القرب القرب المعنوي دون الصوري المعبّر عنه عند القوم بقرب المكانة دون المكان، وتقرب الفرايض دون النوافل، وقد ورد أيضاً:

«إنّ الصلاة خدمة وقربة ووصلة»[90].

فالخدمة هي الشريعة، والقربة هي الطريقة، والوصلة هي الحقيقة، وقيل:

«الشريعة أن تعبده والطريقة أن تحضره، والحقيقة أن تشهده».

---

(٩٠) قوله: الصلاة خدمة.

راجع تفسير المحيط الأعظم ج ٣ ص ١٩، التعليق ٨.

فالقربة بالحقّ موقوف على سجوده الحقيقي الّذي هو الصلاة المعبّر عنه بالفناء.

أمّا من الأوصاف في أوصاف الحقّ وهو مخصوص بأهل الطريقة.

وأمّا من الذات في ذات الحقّ وهو مخصوص بأهل الحقيقة، وإليه أشار الحقّ في قوله:

﴿وأسجد وأقترب﴾ [العلق: ١٩].

أعني تفني ذاتك ووجودك في ذات الحقّ ووجوده، تبقي به أبداً دائماً، وهذا مقام أهل الحقيقة.

وحيث نحن في بيان صلاة أهل الطريقة وقربهم بالحقّ بفنائهم من أوصافهم في أوصاف الحق تعالىٰ، فالبحث في هذا الباب أولىٰ، وذلك سيجيء بعد هذا بلا فصل إن شاء الله تعالىٰ.

وقد أشار إلى صورة هذا البحث بعض العارفين رضوان الله عليه في صورة مثال مناسب نذكره هاهنا، ثمّ نرجع إلى مانحن بصدده وهو قوله:

(الإخلاص روح الصلاة والأعمال بدنها)

إعلم على الجملة أنّ الصلاة صورة صوّرها ربّ الأرباب كما صوّر الحيوان بصورة مثلاً، فروحها النيّة والاخلاص وحضور القلب، وبدنها الأعمال، وأعضائها الأصليّة الأركان، وأعضائها الكماليّة الأبعاض، فالإخلاص والنيّة فيها تجري مجرىٰ الروح، والقيام والقعود تجري مجرىٰ البدن، والركوع والسجود تجري مجرىٰ الرأس واليد والرجل، وإكمال الركوع والسجود بالطمأنينة، وتحسين الهيئة تجري مجرى حسن الأعضاء

وحسن أشكالها وألوآنها والأذكار والتسبيحات المودعة فيها تجري مجرى آلات الحسّ المودعة في الرأس والأعضاء كالأذن والعين وغيرهما، ومعرفة معاني الأذكار وحضور القلب عندها مجرى قوى الحسّ كقوّة البصر وقوّة السمع والشمّ والذوق في معادنها.

واعلم أنّ تقرّبك في الصلاة كتقرّب بعض خدم السلطان باهداء وصيفة إلى السلطان، فيجب عليك أن تعرف حينئذ أنّ فقد النيّة والإخلاص في الصلاة كفقد الروح من الوصيفة والمُهدئ للجيفة الميتة مستهزئ بالسلطان فيستحق سفك الدم، وفقد الركوع والسجود يجري مجرى فقد الأعضاء، وفقد الأركان يجري مجرى فقد العينين من الوصيفة وجذع الأنف والأذنين، وعدم حضور القلب وغفلته عن معرفة معاني القراءة والأذكار كفقد البصر والسمع مع بقاء جرم الحديقة والأذن، ولا يخفئ عليك أنّ من أهدئ وصيفة بهذه الصفة كيف يكون حاله عند السلطان.

(المطلوب في الصلاة حضور القلب وخضوعه لاخضوع القالب)

ثمّ إعلم أنّ الصلاة الناقصة غير صالحة للتقرّب بها إلى الله عزّ وجلّ ونيل الكرامة، وأنّ أوشك أن يرد ذلك على المهدي(عج) ويزجر.

وأيضاً أصل الصلاة للتعظيم والإحترام للسلطان الحقيقي، وإهمال آداب الصلاة يناقض التعظيم والإحترام، فكيف تقبل وكيف تحصّل لصاحبها القرب والكرامة، فالواجب عليك وعلى كلّ مصلّ بالصفة

المذكورة أن يحفظ روح الصلاة ويراعيها، وهو الإخلاص وحضور القلب في جملة الصلاة وإتصاف القلب في الحال بمعانيها فلا يسجد ولا يركع إلاّ وقلبه خاشع متواضع على موافقة ظاهرة، فإن المراد خضوع القلب لا خضوع القالب، ولا يقول: الله أكبر وفي قلبه شيء أكبر من الله تعالىٰ، ولا يقول: وجهّت وجهي إلاّ وقلبه متوجه بكلّ وجهه إلى الله عزّ وجلّ ومعرض عن غيره، ولا يقول: الحمد لله إلاّ وقلبه طافح بشكر نعمه عليه فرح به مستبشر،ولا يقول: إياك نعبد وإيّاك نستعين إلاّ وهو مستشعر ضعفه وعجزه، وأنّه ليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شيء، كما قال لنبيّه ﷺ:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران: ١٢٨].

وكذلك في جميع الأذكار والأفعال، ﴿يَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾، ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

(صلاة أهل الطريقة هي التوجّه الى القلب الحقيقي)

وإذا تحقق هذا وتقرّر فاعلم أنّ صلاتهم بعد قيامهم بالصلاة المخصوصة بأهل الشريعة على كمال أركانها وأفعالها هي توجّهم أوّلاً بقبلتهم إلى القبلة الحقيقيّة والكعبة المعنويّة الّتي هي القلب الحقيقي المعبّر عنه ببيت الله الحرام لقوله نبيّه عليه تعالىٰ:

«لايسعني أرضي ولاسمائي ولكن يسعني قلب عبديالمؤمن»[٩١].

(٩١) قوله: لا يسعني أرضي.

ولقول نبيّه ﷺ:

«قلب المؤمن بيت الله»(٩٢).

بالنيّة الخالصة والإخلاص التامّ والحضور الكامل لقوله ﷺ:

«لا صلاة إلاّ بحضور القلب»(٩٣).

ولقوله عزّ وجلّ:

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

ولقوله الجامع لهذا المعنىٰ كلّه:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢].

(في تأويل القراءة وأجزاء الصلاة وتفسيرها)

ثمّ يكبّر تكبيرة الإحرام ويحرّم على نفسه جميع مايخالف أمره ويتجاوز رضاه من الأقوال والأفعال.

ثمّ يشرع في القراءة وهي ﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾، وذلك هو القيام بشكر نعمه وأياديه بالثناء الجميل عليه، والقيام بوظايف عبادته على إختلاف أنواعها والإقرار بالوحدانيّة في مقام الجمعيّة غير منحرف إلى

⮌ راجع تفسير المحيط الأعظم ج ٣ ص ٣١٣، التعليق ١٥٥.

(٩٢) قوله: قلب المؤمن

راجع المصدر السابق، التعليق ١٥٦.

(٩٣) قوله: لا صلاة إلاّ بحضور القلب.

راجع التعليق ٨٠.

طرفي الإفراط والتفريط.

ثمّ في الإستعانة والإقرار بالعبوديّة وهي قوله:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

فإنّ ذلك إشارة إلى التوحيد الفعلي والوصفي باضافة الأفعال والأوصاف إليه في المرتبتين، لأنّ ﴿إياك نعبد﴾ إشارة إلى التوحيد الفعلي و﴿إيّاك نستعين﴾ إلى التوحيد الوصفي، ولهذا جاء عقيبهما ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، لأنّه أضافة الهداية وإضافة النعمة على الأنبياء والأولياء بل على الكلّ إليه، وهذا هو كمال التوحيد الحقيقي، ومعناه عند المحققين: ثبّتنا على هذا الّذي نحن عليه من الإستقامة على ﴿الصّراط المستقيم﴾، لأنّ هذا صراط الّذين أنعمت عليهم من الأنبياء والرسل، وأكّد في تحقيق الصراط بالمستقيم ليخرج عنه ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالّين﴾، لأنّ ذلك صراط غير مستقيم، وقيل: إنّه ورد في اليهود والنصارى(٩٤).

وذلك من حيث التعبير، وسبق (سيأتي) بيانه في الموضعين: أوّلاً في المقدّمات عند تفسير الفاتحة لكن من حيث التأويل وهو صادق على كلّ منحرف من الصراط المستقيم الّذي هو الحدّ الأوسط بين طرفي الإفراط

---

(٩٤) قوله: إنّه ورد في اليهود والنصارى.

الأحاديث والأقوال في تفسير «المغضوب» باليهود، و«الضالين» بالنصارى كثيرة عن الفريقين وعندهما، ولكن معلوم أنّه من باب الجري والتطبيق وأحد المصاديق.

فراجع تفاسير الفريقين، منها تفسير البرهان، وتفسير نور الثقلين، وتفسير درّ المنثور، وغيرها.

والتفريط من أصول الأخلاق الحقيقيّة الّتي هي الحكمة والعفّة والشجاعة والعدالة.

ولفظ «إهدنا» لو لم يكن بمعنى ثبتنا على هذا الّذي نحن فيه لكان عبثاً وبل مهملاً، لأنّ الأنبياء والأولياء بالإتّفاق كانوا على الصراط المستقيم، وكذلك تابعيهم من المؤمنين والمسلمين لقوله تعالىٰ:

﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧].

فلو كان «إهدنا» حينئذ بمعنى طلب الهداية إلى الصراط المستقيم لكان يلزم الفساد المذكور، ويؤدي إلى تحصيا الحاصل، وطلب ماعندهم من الهداية، وهذا غير جايز عنهم فلم يبق إلاّ أن يكون المعنىٰ المذكور.

ثمّ يركع اي يتواضع لله تعالىٰ ويرجع نفسه إليه بالكسر والمذلّة والإفتقار الّتي هي من مقتضيات (مقتضىٰ) ذاته، لأنّ الركوع هو الركوع قهقراً إلى عدمه الأصلي وإمكانه الذاتي لأنّه حركة أفقية حيوانيّة كما أنّ القيام حركة مستقيمة إنسانيّة، وليس معنى القهقري إلاّ هذا، أي الرجوع إلى أصله المخلوق منه، لقوله تعالىٰ:

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئاً﴾ [مريم: ٩].

ولهذا جاءت عقيبه حركة منكوسة الّتي هي السجود، لأنّها مخصوصة بالنّبات، لأنّ النّبات دائماً في النكس، والنكس إشارة إلى الرجوع الأصلي، ولهذا نزل من الإستقامة والحركة الإنسانيّة إلى الحيوانية والحركة الحيوانيّة، ثمّ من الحيوانيّة إلى النباتيّة والحركة المنكوسة، لأنّه من حيث الصورة صعد من النباتيّة إلى الحيوانيّة ومن الحيوانيّة إلى الإنسانيّة المشار إليه في قوله:

(في معنى خلقه الإنسان في أحسن التقويم)

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٤].

لأن أحسن التقويم بالإتفاق هو تقويم الحقيقة الإنسانية، وأسفل سافلين بالإتّفاق هي الرجوع إلى المرتبة الحيوانيّة ثمّ نباتيّة.

وكذلك قوله: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾ [الحديد: ١٣].

لأنّه إشارة إلى هذا الرجوع، لأنّ النور المعبّر عنه بالوراء، المحصّل للكمال لا يحصل إلاّ بعد الرجوع إلى مقرّه الأصلي صورة ومعنىٰ، ويشهد به قوله تعالىٰ:

﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[الفجر:٢٨].

وبالجملة ينفعه هذا الرجوع ومشاهدة هذا الفقر والمذلّة في طريق الفناء ظاهراً وباطناً، ويسهل عليه ترك اللّذات والشهوات المشتملة عليهما حتّى إذا شاهد عظمة الباري وحقارة نفسه، في ذلك قام بتعظيم الله وتبجيله غاية التعظيم والتبجيل بلسان الحال والقال وقال: «**سبحان ربّي العظيم وبحمده**»، ولذلك كأنّ ثمرة هذا التعظيم والتبجيل بعد مشاهدته مذلّته وإنكساره، والرجوع إلى العدم الأصلي الإنتصاب والإستقامة الموجبتان لمشاهدة حاله مع الحقّ، وحال الحق معه في تبديل أوصافه الحقّ وتهذيب أخلاقه به حتّى قال: «**سمع الله لمن حمده**»، لأنّ هذا إخبار عن شهوده الحقّ مع الكلّ وشهود الكلّ معه، بحيث يسمع كلام الكلّ من غير مانع وحاجب سيّما مع نفسه، فإنّه كان يسمع بنفسه من قائله كما سبق ذكره من قول الإمام:

«كنت أكرّر آية حتّىٰ سمعت من قائلها»[٩٥].

و:

«من عرف نفسه فقد عرف ربّه»[٩٦].

يشهد بذلك صريحاً، وفيه أسرار آخر ليس هذا موضعها، وعن هذا أخبر الحقّ تعالىٰ أيضاً في كتابه الكريم بقوله:

﴿يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصّلت: ٥٤].

وكذلك في حديثه القدسي:

«كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله، الحديث»[٩٧].

(٩٥) قوله: كنت أكرّر.

روى السيد علي بن طاووس في فلاح السائل ص ١٠٧، قال: روي أن مولانا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، كان يتلو القرآن في صلاته فغشي عليه فلمّا أفاق، فسئل: ماالّذي أوجب ماأنتهيت حالك إليه؟ فقال مامعناه: «مازلت أكرّر آيات القرآن حتّىٰ بلغتُ إلى حال كأنّي سمعتها مشافهة ممّن أنزلها».

عنه البحار ج ٤٧ ص ٥٨ الحديث ١٠٨، ومستدرك الوسائل ج ٤ ص ١٠٦.

(٩٦) قوله: من عرف نفسه.

حديث مشهور، منسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والى أمير المؤمنين عليه السلام.

راجع «مصباح الشريعة» المنسوب إلى الصادق عليه السلام، الباب ٦٢، وعوالي اللئالي ج ٤ ص ١٠٢ الحديث ١٤٩، و«عوارف المعارف» لشهاب الدين السهروردي، الباب الرابع والباب الثاني والثلاثون.

ورواه الآمدي في غرر الحكم ج ٥ ص ٢٣٧٤ الحديث ٧٩٤٦، وراجع تصنيف غرر الحكم ص ٢٣٢. وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ٣ ص ٣٢١، التعليق ١٦٧.

(٩٧) قوله: كنت سمعه.

وليس هذا ببعيد من الشجرة المباركة الإنسانيّة المشار إليها بقوله:

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وبقوله:

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

حيث يجوز هذا من الشجرة الصوريّة النباتيّة لقوله تعالىٰ:

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

وإن كان في التحقيق أيضاً ليس هذه الشجرة وهذه البقعة المباركة إلاّ الإنسان وصورته ومعناه لقوله ﷺ:

«من رآني فقد رأىٰ الحقّ»

(الفناء الفعلي والوصفي والذاتي)

لأنّ مشاهدة الحقّ على ماينبغي ليس بممكن إلاّ في الصورة الإنسان لقوله:

«لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن الوادع»(٩٨).

أخرجه البخاري في صحيحه ج ٨، كتاب الرقاق، الباب ٨٠٩، ص ٤٨٢، الحديث ١٣٦٧، وراجع في تفصيله تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٢١٤، التعليق ٢٠ و ١٩، و ج ٣ ص ١١٩، التعليق ٦٦.

(٩٨) قوله: لا يسعني أرضي.

راجع التعليق ٧٠.

وأشارة الشبلي رحمة الله عليه: «أنا أقول وأنا أسمع، وهل في الدآرين غيري»؟

ماكان إلاّ في هذا المقام، ويشهد به أيضاً قول الإمام العارف ابن الفارض قدس الله سرّه:

ولو كنت بي من نقطة الباء خفضة   رفعت إلى مالم تنله بحيلتي

لأنّ هذا إشارة إلى الفناء والرجوع إلى العدم الأصلي ثمّ إلى البقاء والوصول إلى العالم القدسي المعبّر عنه بالحضرة الإلهيّة، لقوله تعالىٰ:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٥].

ثمّ يسجد أي يرجع أيضاً إلى أصله قهقراً حتّى يصل إلى المرتبة النباتيّة وحركتها المنكوسة المخصوصة بها لأنّ السجدة عبارة عن تعفير أشرف الأشياء في الإنسان وأجلها الّذي هو الوجه بأخس الأشياء في الوجود الّذي هو الأرض كسراً لنفس الساجد وإذلالاً له.

وهذا الكسر والإذلال في المرتبة الثانية إشارة إلى الفناء بعد الفناء، لأنّ الفناء الأوّل كان من الصفات والأخلاق، وهذا الفناء عن الوجود والذات، لأنّ القرب الحقيقي كما هو موقوف على الفناء الوصفي والوصل الحقيقي، موقوف على الفناء الذاتي، المخصوص بأهل الحقيقة كما أشرنا إليه، ولهذا قال: «سبحان ربّي الأعلىٰ وبحمده»، لأنّ السالك مادام في مقام الكثرة ومشاهدة مظاهر الصفات فهو بعيد، لأنه يعبد ربّه المقيّد لا الربّ المطلق، لكن إذا وصل إلى التوحيد الذاتي خلص من ذاك وقال بلسان الحال: «سبحان ربي الأعلى وبحمده» أي الأعلىٰ من ربّه الخاصّ،

ومعلوم أن قيام الأرباب المقيّدة ليس إلاّ بالربّ المطلق، ومن هذا خاطب نبيّه وقال:

﴿وَإِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾[النّجم:٤٢].

(ربّ الخاتمﷺ هو الربّ المطلق ومقصد الكلّ إليه)

وربّه في الحقيقة ليس إلاّ الربّ المطلق الّذي هو منتهى كلّ ربّ ومقصد كلّ إليه، وذلك لأنّه مظهر الإسم الله الّذي هو الإسم الأعظم، ومظهر الأعظم لا يكون إلا الأعظم، فافهم.

وهذا لو لم يكن كذلك لم يصدق عليه تعالىٰ أنّه ربّ الأرباب ولا «أحسن الخالقين».

وهاهنا أبحاث تعرف من بحث الأسماء ومظاهرها.

ثمّ يسلّم أي يسلم الأمر كلّه إلى الله ويرجع عن السير بنفسه إلى السير فيه الّذي هو مقام البقاء الحاصل من الرضا والتسليم الجامع للتوحيد الفعلي والوصفي، وإليه أشار الحقّ بقوله:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥].

وفيه قيل:

وكلت إلى المحبوب أمري كلّه فإن شاء أحياني وإن شاء أتلفا

وقوله تعالىٰ أيضاً:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب: ٣٦].

وكذلك قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران:١٢٨].

شاهد عدل علىٰ صدق هذه الدعوى، وبرهان صدق على تحقيق هذا المعنىٰ، وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحقّ وموعظة وذكرىٰ للمؤمنين.

والله أعلم وأحكم وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

هذا آخر صلاة أهل الطريقة بقدر هذا المقام.



وأمّا صلاة أهل الحقيقة

فالصّلاة عندهم عبارة عن الوصلة الحقيقيّة والشهود الحقيقي اللذان هما القرب المذكور المخصوص بأهل الطريقة كما سبق تقسيمه من قولهم:

«الصّلاة خدمة وقربة ووصلة، فالخدمة هي الشريعة، والقربة هي الطريقة، والوصلة هي الحقيقة»[٩٩].

ومن قولهم:

«الشريعة أن تعبده، والطريقة أن تحضره، والحقيقة أن يشهده».

وقد ورد في إصطلاحهم تقسيم آخر أوضح منه، وهو أنّهم جعلوا العبادة على تقسيم آخر أوضح منه، وهو أنّهم جعلوا العبادة على ثلاثة أقسام وخصّصوا كلّ قسم منهم (منها) بطايفة من الطّوايف الثلاث، وذلك قولهم:

---

(٩٩) قوله: الصلاة خدمة.

راجع في ما يناسب له الجزء الثالث من تفسير المحيط الأعظم ص ١٩، التعليق ٨.

«العبادة هي غاية التذلل للعامّة، والعبوديّة للخاصّة الذين صححوا النسبة إلى الله بصدق القصد إليه في سلوك طريقه، والعبوديّة (العبودة) لخاصّة الخاصّة الذين أشهدوا نفوسهم قائمة به في عبوديّة، فهم يعبدونه في مقام أحديّة الفرق بعد الجمع»

(صلاة أهل الحقيقة هي مشاهدة محبوبهم بعين المحبوب)

وهؤلاء هم أهل الحقيقة المختّصين لمقام العبودة دون العبوديّة، لأنّ ذلك خاصّ بأهل الطريقة الذين هم من الخواصّ وأهل الوسط كما بيّناه عند بحث الشريعة والطريقة والحقيقة، وبون بعيد بين أهل العبوديّة وأهل العبودة، وبين الخاصّ وخاصّ الخاصّ، وبالجملة صلاتهم عبارة عن مشاهدة محبوبهم بعين المحبوب لا غير، لقولهﷺ:

«رأيت ربّي بعين ربّي، وعرفت ربّي بربّي»[١٠٠].

وورد عنهﷺ:

(حبّ الطيب والنساء والصلاة)

«حبّب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وجعلت قرّة عيني في الصلاة»[١٠١].

---

(١٠٠) قوله: رأيت ربّي.

راجع في تفصيله وبعض مصادره تفسير المحيط الأعظم ج ٣ ص ٥٢ و ٥٠، التعليق ٢٩ و٣٠.

(١٠١) قوله: حبّب إليّ.

والمراد رعاية مراتب الثلاث، لأنّ الأوّل إشارة إلى القيام بالشريعة علماً وعملاً وطيب الأخلاق وتهذيبها قوّة وفعلاً.

والثاني إلى القيام بالطريقة ذوقاً ووجداناً الّذي هو إمّا محبّة نساء النفس لإخراج ذريّة المعاني والحقايق عنها بالفعل كما هو مركوز فيها بالقوة لقوله تعالى:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١].

أو محبّة النساء الخارجة لإخراج الذريّة الصوريّة الّذي هو السعي والإجتهاد في إبراز المعدومات إلى الوجود.

(الإحسان ومشاهدة المحبوب)

والثّالث، إلى القيام بالصلاة الحقيقية الّتي هي مشاهدة المحبوب وقرة العين بها، كما ورد في تعريف الإحسان حين سئل النبيّ ﷺ عن معناه وقال:

«الإحسان ان تعبد الله كأنّك تراه وأن لم يكن تراه فانه يراك»[(١٠٢)].

⬅ رواه الصدوق في الخصال باب الثلاثة الحديث ٢١٨ و٢١٧ ص ١٦٥، وأخرجه ابن حنبل في مسنده ج ٣ ص ١٢٨، وإن شئت أكثر راجع تفسير المحيط الأعظم ج ٣ ص ٣٥، التعليق ١٩.

(١٠٢) قوله: الإحسان أن تعبد الله.

حديث معروف روي عن النبيّ ﷺ بعبارات مختلفة، رواه الكليني في أصول الكافي ج ٢، ص ٦٧، الحديث ٢، و أخرجه ابن ماجة في ؟؟؟، ج ١، ص ٢٤، الحديث ٦٣، وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ٣ ص ٤٧٦، التعليق ٢٢٢.

وقد نطق بعض العارفين في الخبر الأوّل الوارد عن النبيﷺ وتحقيق الصلاة وحصول المشاهدة منها وهو مناسب لهذا المقام نذكره هاهنا ثمّ نرجع إلى غيره وقولهﷺ: «**وجعلت قرّة عيني في الصلاة**»، فلأنّها مشاهدة وذلك لأنّها مناجاة بين الله وبين عبده كما قال:

﴿فأذكرني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢].

وهي عبادة مقسومة بين الله وبين عبده بنصفين، فنصفها لله ونصفها للعبد كما ورد في الخبر الصحيح عن الله تعالىٰ وهو الّذي ذكرناه أوّلاً أنّه قال:

«**قسمت الصلاة**[١٠٣] **بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ماسئل يقول العبد: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، يقول الله: ذكرني عبدي، يقول العبد: ﴿الحمد للّه ربّ العالمين﴾، فيقول الله: حمدني عبدي، يقول العبد: ﴿الرحمن الرحيم﴾، يقول الله: أثنىٰ عليّ عبدي، يقول العبد: ﴿مالك يوم الدين﴾، يقول الله: مجّدني عبدي، ثمّ يقول العبد: ﴿إيّاك نعبدُ وإيّاك نستعين﴾، يقول الله هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ماسئل**».

فأوقع الإشتراك في هذه الآية دون الآيات الّتي سبقت، فإنّها كانت خالصة لله.

«**فيقول العبد: ﴿إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالّين﴾، يقول الله: فهؤلاء لعبدي ولعبدي**

---

(١٠٣) قوله: قسمت الصلاة.

راجع التعليق ٧٩.

ماسئل».

فخلص هؤلاء لعبده كما خلص الأوّل له تعالىٰ، فعلم من هذا وجوب قراءة «الحمد لله ربّ العالمين»، فمن لم يقرأها فما صلّىٰ الصلاة المقسومة بين الله وبين عبده، ولما كانت مناجاة فهي ذكر ومن ذكر الحقّ فقد جالس الحقّ وجالسه الحقّ، فانه صحّ في الخبر الصحيح الإلهي إنّه قال تعالىٰ:

«أنا جليس من ذكرني»(١٠٤).

ومن جالس من ذكره وهو ذو بصر حديد رأى جليسه، فهذه مشاهدة ورؤية، فان لم يكن ذا بصر لم يره، فمن هنا يعلم المصلي رتبته، هل يرى الحق هذه الرؤية في هذه الصلاة أم لا؟

ثمّ قال: وأمّا قوله: وجعلت قرة عيني في الصلاة ولم ينسب الجعل إلى نفسه، فإنّ تجلّي الحقّ للمصلّي إنّما هو راجع إليه تعالىٰ لا إلى المصلّي، فإنّه لو لم يذكر هذه الصفة عن نفسه لأمره بالصلاة على غير تجلّي منه له. فلمّا كان منه ذلك بطريق الإمتنان كانت المشاهدة بطريق الإمتنان، فقال: وجعلت قرة عيني في الصلاة، وليس إلاّ مشاهدة المحبوب الّتي تقرّبها عين المحبّ من الإستقرار، فتستقر العين عند رؤيته فلا ينظر معه إلى شيء غيره في شيء وغير شيء، ولذلك نهىٰ عن الإلتفات في الصّلاة، فإنّ الإلتفات شيء يختلسه الشيطان من صلاة العبد، فيحرمه مشاهدة مربوبه، بل لو كان محبّ هذا الملتفت ماالتفت في صلاته إلى غير

---

(١٠٤) قوله: أنا جلس من ذكرني.

رواه الصدوق في «التوحيد» باب ٢٨، الحديث ١٧، ص ١٨٢، وفي «العيون» باب ١١ الحديث ٢٢، ص ١٢٧.

قبلته بوجهه، والإنسان يعلمه حاله في نفسه، هل هو بهذه المثابة في هذه الخاصّة أم لا؟ فإنّ:

﴿الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: ١٤ - ١٥].

فهو يعرف كذبه من صدقه في نفسه، لأنّ الشيء لا يجهل حاله، فإنّ حاله ذوقيّ.

(شهود الحقّ بالايمان والقلب والبصر)

ثمّ قال: إعلم أنّ الرؤية والسماع والشهود من العبد المصلّي للحقّ قد يكون بقوّة الإيمان واليقين حتّى يكون جلية اليقين بمثابة الإدراك البصري والسمعي، أعني قوّة الضروريّات والمشاهدات.

وقد يكون ببصر القلب أي نور البصيرة والفهم، أعني بنور تجلّي الصفات الإلهيّة للقلب حتّى صار العلم عياناً.

وقد يكون بالرؤية الحسيّة البصريّة فيتمثّل له الحقّ متجلّياً مشهوداً له مشاهدة عين قاسماً للصّلاة بينه وبين عبده، ويعرف هذا من الخبر الوارد في التجلّي الإلهي يوم القيامة، وتنّوع ظهوره بحسب اعتقاد كلّ معتقد فيه.

ثمّ قال: فانظر علوّ رتبة الصّلاة وإلى أين تنتهي بصاحبها، فمن لم يحصل له درجة الرّؤية في الصّلاة فما بلغ غايتها، ولا كان له فيها قرّة عين، لأنّه لم ير من يناجيه، فإنّ من لم يسمع مايرد الحقّ عليه فيها فما هو ممّن ﴿أَلْقَى السَّمْعَ﴾ [ق: ٣٧]، ومن لم يحضر فيها مع ربّه مع كونه لم يسمع ولم ير فليس بمصلّ أصلاً، ولا هو ﴿مَمّن أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾، وإلى مثل هذه المشاهدة أشار الحقّ تعالىٰ وقال:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾[فصّلت: ٥٤].

وكذلك النبيّ ﷺ في قوله:

«سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»(١٠٥).

وكذلك أمير المؤمنين ؑ في قوله:

«أفأعبد مالا أرىٰ»؟ [نهج البلاغة: الخطبة ١٧٩].

وفي قوله:

«الحقّ أبين وأظهر ممّا ترىٰ العيون» [نهج البلاغة: الخطبة ١٥٥](١٠٦).

وفي قوله:

«وهو من اليقين على مثل ضوء الشمس» [نهج البلاغة: الخطبة ٨٧].

وفي قوله:

«لو كشف الغطاء ماازددت يقيناً»(١٠٧).

وفي مثل هذه المشاهدات الجلّية، والصّلاة الحقيقيّة، يصدق عليهم أنّهم في صلاتهم مشاهدين، لأنّ الصّلاة الدائمة عند التحقيق ليست إلاّ

---

(١٠٥) قوله: تسرون ربّكم.

أخرجه ابن حنبل في مسنده ج ٤ ص ٣٦٠ و٣٦٥، ورواه المجلسي في البحار ج ٩٤ ص ٢٥١. وراجع الجزء الثاني التعليق ٣٤٨ ص ٥٤٩ من تفسير المحيط الأعظم.

(١٠٦) قوله: الحق أبين.

في نهج البلاغة صبحي الخطبة ١٥٥، هكذا:

«هو الله الحقّ المبين، أحقّ وأبين ممّاترى العيون»

(١٠٧) قوله: لو كشف الغطاء.

راجع التعليق ٧٢.

مشاهدة الحقّ على الوجه المذكور المخصوصة بأعظم عباده وأخصّ أولياءه، جعلنا الله منهم بفضله وكرمه.

وقد جمع الله تعالىٰ هذه كلّها في عبده الكامل الأوحدي رزقنا الله الوصول إليهم والجمع بعباده الّذين رزقهم كمالات الأولىٰ والأخرىٰ.

وإذا تقرّر هذا وتحقّق أن المراد بصلاة أهل الحقيقة المشاهدة والوصول إلى المحبوب، فلنشرع في ترتيب صلاتهم وكيفيّة أركانها على الوضع المخصوص وهو هذا:

(ترتيب صلاة أهل الحقيقة)

إعلم أنّ صلاتهم بعد قيامهم بصلاة أهل الشريعة، وصلاة أهل الطريقة عبارة عن قيام العارف بما هو مأمور به من الإستقامة على الطريق المستقيم التوحيدي المشار إليه في قوله تعالىٰ:

﴿وَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢].

وتلك الاستقامة إشارة إلى استقامة الكامل في مقام التكميل، والسير بالله بعد الفراغ من السير إلى الله، والسير في الله الذي هو عبارة عن أحديّة الفرق بعد الجمع، ثمّ توجهه من الحضرة الفعليّة والوصفيّة المعبّر عنهما بالحضرة الواحديّة والحضرتيّة الربوبيّة إلى الحضرة الأحديّة الذاتيّة الّتي هي قبلة العارفين وكعبة المحققين بنيّة أن لا يشاهد في الوجود غيره أصلاً.

ثمّ تكبيرة الإحرام بمعنىٰ أن يحرم عليه التوجّه إلى غير بابه، وصدور الفعل منه بغير رضاءه، لقوله:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

ثم قراءة الفاتحة بالمعنىٰ المذكور الّذي هو التقسيم بين الله وبين عبده مع المشاهدة الجلّية العينيّة في هذه القراءة المشار إليها في قوله وقول أنبياءه مطابقاً لقوله في حقّ إبراهيمﷺ:

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥].

ثمّ يركع ركوعاً أي يتواضع لله تواضعاً يتخاضع معه الملك والملكوت لقيامه بخلافة الله فيهما، واحتياج الكلّ إليه في الوجود وتوابعه من الكمالات المترتبة عليه.

ثمّ يسجد سجوداً يفني فيه وجود الموجودات والمخلوقات بأسرها مع إفناء وجوده وإفناء هذا الفناء أيضاً لشهوده العيني معنىٰ:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

ثمّ ينزّهه ويقدّسه في الحركتين بالتعظيم والتبجيل تنزيهاً وتقديساً يوجب التقديس عن جميع النقايص السلبيّة والثبوتيّة، مشاهداً معنى قوله: «سبحان ربّي الأعلىٰ وبحمده»، في الأولىٰ، ومعنىٰ قوله: «سبحان ربّي الأعلىٰ وبحمده»، في الثانية على ماسبق ذكرها.

ثمّ يشهد بوحدته الذاتيّة المطلقة والأحديّة الوجوديّة الصرفة المنفية عندها جميع الإعتبارات بكلّ الأعتبارات مطابقاً لقوله وقول أكمل عباده في كتابه:

﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

ثمّ يسلّم لهذا التوحيد من قلبه وروحه بشهوده الحقيقي الّذي هو مخصوص بهما خاصة من غير مانع ودافع، لقوله تعالىٰ المتقدّم:

﴿ثُمَّ لَايَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء:٦٥].

ولقوله أيضاً:

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[الأحزاب:٥٦].

لأنّ التسليم لله لا يصحّ إلاّ بتسليم رسوله، وكذلك تسليم رسوله إلاّ بتسليم وليّه المعبّر عنه بأولي الأمر لقوله:

﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء:٥٩].

ويشهد بذلك قوله:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللهُ﴾ [آل عمران:٣١].

وهاهنا أبحاث وأسرار تريد بسطاً عظيماً نختصر على ذلك ونعتمد على من له استعداد استخراج باقي الأسرار من أهل الله خاصّه، فإنّ ذلك لا يخفىٰ على أهله.

(من وصل إلى مرتبة الوصول يكون أكثر طاعة وعبادة)

فجماعة يكون إعتقادهم في الأصول والفروع بهذه المثابة الّتي

عرفتها من أوّل الفروع الخمسة إلى هذا المكان، ويكون اطلاعهم على الحقايق الإلهيّة والدقايق الربانيّة إلى هذه الغاية، وقيامهم بالشريعة والطريقة والحقيقة بهذه المرتبة، كيف ينسب إليهم عدم الإعتقاد في الأصول والفروع وقلّة القيام بالأوضاع الإلهيّة والقوانين النبويّة؟ جلّ جنابهم عن أمثال ذلك، وذلك لأنّ أكثر علماء الظاهر ومجموع أرباب التقليد من العوام بمجرد استماع قول الجهال من الصوفيّة في الإباحة والإهمال في الأوضاع الشرعيّة اعتقدوا أنّ أرباب التوحيد على هذا، وأنّهم ذهبوا إلى أنّ كلّ من وصل إلى الله تعالىٰ سقط عنه التكاليف الشرعيّة والعبادات الدينيّة، حاشا وكلاّ، نعوذ بالله عن نسبة أمثال ذلك إليهم، بل اعتقادهم واتفاقهم على أنّ كلّ من وصل إلى الله تعالىٰ أو إلى بعض حضراته، طاعته يكون أكثر وعبادته يكون أعظم ومجاهدته ومشقّته على هذا المثال أشدّ وأصعبْ، كما كان حال رسول الله ﷺ مع كمال وصوله إليه وقربه لديه، ويعرف هذا من الخبر الوارد عن عايشة، وذلك وهو أنّه ﷺ كان يقوم بالليل ويصلّي حتّى تورّمت قدماه، فقالت عايشة: يارسول الله ماورد فيك ليغفر لك الله ماتقدّم من ذنبك وماتأخّر؟ فقال ﷺ في جوابها:

«أفَلا أكُون عَبْداً شَكُوراً»(١٠٨).

---

(١٠٨) قوله: أفلا أكون عبداً شكوراً.

رواه الكليني في الكافي ج ٢ باب الشكر ص ٩٥ الحديث ٦، و أخرجه البخاري في صحيحه ج ٦ كتاب التفسير الباب ٤٨٠، سورة الفتح الحديث ١٢٦٢، ص ٥١٠، وراجع الجزء الثالث من تفسير المحيط الأعظم ص ١٤٢، التعليق ٨١.

يعني إذا كان نعمة الله عليّ بهذه المثابة أفلا أكون عبداً شكوراً له ولنعمه، وسورة:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾ [المزّمل:١-٢].

وسورة طه:

﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: ١].

ماورد إلاّ في مجاهدته ورياضته وقيامه بالليل وظمأه وسهره ﷺ وعلى نفسه القدسيّة، وحال باقي الأنبياء، والرسل ﷺ في هذا المعنى مشهور معروف، وقد شهد بصحّته القرآن والأخبار النبويّة، هذا بالنسبة إلى الأنبياءوالرسل.

وأمّا بالنسبة إلى الأولياء والأوصياء فيعرف هذا من حال أمير المؤمنين ﷺ، فإنّه كان يستغرق في الصّلاة ومشاهدة الحقّ فيها بحيث إذا أرادوا أولاده إخراج النصل عن رجله كانوا يصبرون حتّى يشتغل بالصّلاة ويخرجون النصل من رجله ويشدّونها وماله به حسّ من غاية الإستغراق(١٠٩)، ولأجل أداء صلاته في وقتها رجعت الشمس من

---

(١٠٩) قوله: ماله من حسّ من غاية الأستغراق.

راجع «المحجّة البيضاء» ج ١ ص ٣٩٧. و«جامع السعادات» ج ٣ ص ٢٦٣، فيهما: روي: «أنّه وقع نصل في رجله ﷺ فلم يمكن أحداً من إخراجه، فقالت فاطمة ﷺ: أخرجوه في حال صلاته، فإنّه لا يحسّ حينئذ بما يجري عليه، فأُخرج وهو في صلاته، فلم يحسّ به اصلاً».

المغرب مرّتين فيالمدينة ومرّة فيأراضي بابل[١١٠] بمسجد الشمس كما ردوها أخرى قبله لأجل شمعون (وصيّ عيسى) وقد سبق تقريره[١١١].

فلو لم تكن الصلاة عندهم في غاية الإعتبار ماتعلّق خاطرهم بأدائها إلى هذه الغاية، ولا قبل الحقّ تعالىٰ دعاؤهم فيها.

(عبادة علي بن الحسيّن زين العابدين﵇)

وقد ورد أنّ ولده المعصوم زين العابدين﵇ كان يصلّي كلّ يوم وليلة ألف ركعة[١١٢]، وكان يقول:

«رضيت أن يكون جميع هذه الصّلوات مقابلة لركعتين من صلاة

---

(١١٠) قوله: في أراضي بابل.

راجع التعليق ٥٣.

(١١١) قوله: لأجل شمعون.

راجع التعليق ٥٢.

(١١٢) قوله: يصلّي كلّ يوم وليلة ألف ركعة.

روى المجلسي في البحار ج ٤٦ ص ٧٤، الحديث ٦٢، عن «أعلام الورىٰ» وعن «الارشاد» بإسناده عن الباقر﵇ قال:

«كان علي بن الحسين﵇ يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة، وكانت الريح تميله بمنزلة السنبلة».

وروى الصدوق بإسناده عن الباقر﵇ قال:

«كان علي بن الحسين﵇ يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة كما كان يفعل أمير المؤمنين﵇ كانت له خمس مائة نخلة فكان يصلّي عند كلّ نخلة ركعتين».

الحديث - الخصال باب العشرين ومافوقه الحديث ٤ن ص ٥١٧. وراجع التعليق ٣٢٤.

أمير المؤمنين ﷺ»(١١٣).

وكذلك ورد في كلّ واحد واحد من أولاده مثل ذلك وأبلغ. هذا بالنسبة إلى الأولياء المعظّمين، وأمّا بالنسبة إلى المشايخ، فورد عن الجنيد ﷺ إنّه قال:

«طاحت الضمارات وفنيت الإشارات ومانفعتنا إلاّ ركيعات صليناها في جوف الليل».

وورد عن الشيخ الكامل سعد الدين قدّس الله سرّه: أنّه كان يصلّي كلّ ليلة ويوم كذا وكذا ركعات، ومن أوراده المشهورة عقيب كلّ صلاة يعرف صدق هذا.

وكذلك الشيخ شهاب الدين الكبير السهروردي قدّس الله سرّه، وكذلك أبا يزيد البسطامي رحمة الله عليه، وكذلك محي الدين العربي فإنّه صلّىٰ بعدد كلّ نبّي ورسول ركعتين بعد قيامه بجميع ماوجب عليه، وكذلك في

(١١٣) قوله: من صلاة أمير المؤمنين.

قال ابن الحديد: فكان (عليّ ﷺ) أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلّم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد وقيام النافلة. وماظنّك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يُبسط له نِطَعٌ بين الصفّين ليلة الهرير فيصلّي عليه وِرْدَه والسهام تقع بين يديه وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتّىٰ يفرغ من وظيفته!

وماظنّك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده.

وقيل لعليّ بن الحسين ﷺ، وكان الغاية في العبادة:

أين عبادتك من عبادة جدّك؟ قال: «عبادتي عند عبادة جدّي كعبادة جدّي عند عبادة رسول الله ﷺ».

شرح نهج البلاغة لابن الحديد ج ١ ص ٢٧.

كلّ الزيارات الّتي كانت في المغرب، والشام، ومصر، والأسكندريّة، ومكّة ومدينة، وبيت المقدّس، ويعرف صدق هذا من فتوحاته وأسـرار الصّـلاة الّتي ذكرها فيها.

(عبادة السيّد المؤلف السيّد حيدر الآملي ومقدار عمره المبارك حين كتب هذه المطالب)

ومنهم هذا الفقر (الفقير) فإنّه بعد تركه الدنيا بأسرها في حاله الشبّاب وعنفوان العمر، وتركه البيت، والوطن، والأهل، والوالد، والوالدة، وجميع الأقارب، وصحبة الملوك ومعاشرتهم، والمناصب العليّة والمدارج الرفيعة، لبس الدلق واختار الفقر، وتوجّه برحله إلى المشـهد الشـريف الغـروي، واستقلّ بالرياضة ولمجاهدة الشاقة، وصلّى في ستّة أشهر قضاء مـاعليه من الصلوات الماضية أحد وعشرين سنة مع أنّه في مدّة عمره لم يكـن يترك صلاته بوجه من الوجوه، وكذلك إلى اليوم الّذي هو نهاية خـمس وخمسين سنة من عمره فإنّه بعد كلّ أوراد وأحوال صلّى في كـلّ يـوم وليلة أحد وخمسين ركعة من الفرائض والنوافل وإلى الآن مـاصدر مـنه بحسب الشرع شيئاً يوجب الطعن فيه، وذلك فضل يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وحصل له بذلك من الله تعالىٰ ماحصل من العلوم الكشـفيّة الإلهـيّة والدقايق الذوقيّة الربانيّة المعبّرة عنها بقوله:

«أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر

قلب بشر»[١١٤].

المشار إليها في كتابه:

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٣ – ٥].

وقد سبق بعض ذلك في المقدّمة الأولىٰ.

والغرض من ذلك كلّه أنّ هؤلاء القوم ليسوا في شيء ممّا يظنّون فيهم علماء الظاهر وأرباب التقليد من العوام، لأنّهم في مقام المتابعة التامّة والأسوة الحسنة المشار اليهما في قوله:

(في معنىٰ الأسوة ومايقول به الجهّال فيها)

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد سبق عند بحث الشريعة والطريقة الحقيقة: أنّ الأسوة هي القيام بجميع المراتب الشرعيّة من المراتب المذكورة، وبهذه المتابعة والأسوة لا يقتضي المخالفة في شيء أصلاً فكيف يصدر منهم مايخالف هذا وماظنّوا فيهم الجهّال والعوام نعوذ بالله.

﴿ذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصّلت: ٢٣].

---

(١١٤) قوله: أعددت لعبادي.

أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤ كتاب الجنّة (٥١) الحديث ٥ ـ ٢، و رواه الحلّي في عدّة الداعي ص ١٠٩، وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ٣، ص ٣٢، التعليق ١٧ و ص ٣٢١، التعليق ١٦٢.

وعند التحقيق ليست قضية هؤلاء القوم مع تلك الجماعة إلاّ قضيّة إبراهيم﵇ مع أمّة موسىٰ وعيسىٰ﵉، لأنّهم كانوا يقولون: «إنّ إبراهيم منّا لا من المسلمين»، حتّى كذّبهم الله تعالىٰ في دعواهم وقال:

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً﴾ [آل‌عمران:٦٧].

فإنّ بعض الناس ينسبونهم إلى الإلحاد والكفر والزندقة، وبعض الناس إلى الحلول والإتّحاد والتّشبيه، والحال أنّهم منزّهون عن تصوراتهم الباطلة وتوهّماتهم الكاذبة، كإبراهيم ﵇ عن تصور تلك الجامعة، وتوهم تلك الطايفة، وقد سبق بعض أوصافهم وأخلاقهم عند بحث الآفاق والأنفس والتقوى في المقدّمة الأولى:

«وأوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري»(١١٥).

---

(١١٥) قوله: أوليائي تحت قبابي.

ذكره أيضاً عبد الرزاق القاساني في «شرح منازل السائرين» قسم الولايات باب السرّ ص ٤٧٤.

وذكره أيضاً عبد القادر الجيلاني في سرّ الأسرار في آخر الفصل الأوّل ص ٥٤، وقال: قال أبو يزيد البسطامي: أولياء الله (هم) عرائسه، لا يرى العرائس إلاّ المحارم، فهم مخدّرون عنده في حجاب الأنس، ولا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة (غير الله تعالىٰ، كما قال الله في الحديث القدسي:

«أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري» ولا يرى الناس في الظاهر من العروس إلاّ ظاهر زينتها.

وذكره أيضاً عبد الصمد الهمداني في «بحر المعارف» ج ١ ص ٣٧٣ الفصل ٣٢.

وذكره مولى عبد الله الأنصاري في «كشف الأسرار» أعني في تفسيره ج ٤ ص ٤٠٦.

إشارة إليهم، وكذلك قوله:

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[المائدة:٥٤].

وقول أمير المؤمنين ﷺ:

«اللّهمّ بلىٰ! لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة، إمّا ظاهراً مشهوراً، وإمّا خائفاً مغموراً، لئلاّ تبطلَ حجج الله وبيّناته، وكم ذا وأين أولئك؟ أولئك والله الأقلّون عدداً، والأعظمون عند الله قدراً، يحفظ الله بهم حججَه وبيّناته، حتّى يودعوها نظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهمُ العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روحَ اليقين، واستلانوا ما استعْوَرَهُ المترفون، وأَنِسوا بما استوحَشَ منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحُها معلّقة بالمحلّ الأعلىٰ، أولئك خلفاءُ الله في أرضه،

➲ وقال: (قال رسول الله ﷺ في هلال مولى المغيرة بن شعبة، وهو من آل المغيرة).

«ما أكرمك على الله، ما أحبّك إلى الله».

وقال لأهله يوم وفاته: «**يا آل المغيرة هل مات فيكم أحد**»؟ فقالوا: لا، فقال: «**بلىٰ، والله أتاكم طارق فأخذ خير أهلكم**»، **فقال المغيرة**: يارسول الله ﷺ **هو أقل ذكراً وأخمل قدراً من أن يذكره مثلك.**

فقال رسول الله ﷺ: كان معروفاً في ألسّماء، مجهولاً في الأرض».

(غيرت حق نگذارد ايشانرا كه از پردهٔ عزّت بيرون آيند).

«أوليائي في قبابي لا يعرفهم غيري».

فقال ﷺ: «**يامغيرة، إنّ لله تعالىٰ سبعة نفر في أرضه بهم يمطر، وبهم يحيي، وبهم يميت، وهذا كان خيارهم**».

والدعاةُ إلى دينه، آه آه شوقاً إلى رؤيتهم»! [نهج البلاغة:الحكمة ١٤٧].

أيضاً إشارة إليهم.

وفيهم قيل:

لله تحت قباب العزّ طايفة أخفاهم عن عيون الناس إجلالاً
هم السلاطين في اطمار مسكنة استبعدوا من ملوك الأرض إقبالاً
غير ملابسهم سم مطاعمهم جروا على الفلك الخضراء اذيالاً

ومع ذلك كلّه حيث إنّ الأنبياء والرسل الّذين كانوا من عند الله ماخلصوا من الشنّ (السن) الطاعنين والجاحدين، لأنّهم كانوا ينسبونهم إلى الشعر والسحر والكهانة والجنون وغير ذلك كما قالوا:

﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧].

وقالوا:

﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ [يونس: ٢].

فليس بعجب إن لم يخلصوا هؤلاء القوم من طعنهم وجحودهم، وذلك أيضاً أسوة بهم لقولهم:

«البلاء موكّل بالأنبياء ثمّ بالأمثل فالأمثل»، وفي هذا المعنىٰ قيل:

وماأحد عن الشنّ (السن) سالما ولو أنّه ذاك النبيّ المطهر
فإن كان مقداما يقولون أهوج وإن كان مفضالاً يقولون مبذر
وإن كان سكيتا يقولون أبكم وإن كان منطيقاً يقولون مهذر
وإن كان صوّاماً وبالليل قائماً يقولون رزاق يرائي وينكر
فلا تحتفل بالناس في الذم والثنا ولا تخش غير الله فالله أكبر

هذا آخر بحث الصلاة على الطوايف الثلاث ومايتعلّق بها من

المقدّمات والأفعال والكيفيّات بقدر هذا المقام، وإذا فرغنا من هذا فلنشرع في الصوم وأقسامه على طريق الطوايف الثلاث المذكورة وهو هذا، وبالله العصمة والتوفيق.



وأمّا صوم أهل الشريعة

فالصوم عندهم عبارة عن الإمساك عن أشياء مخصوصة بزمان مخصوص، ومن شرط صحّته النيّة، فإن كان الصوم متعيّناً بزمان مخصوص على كلّ حال مثل شهر رمضان والنذر المعيّن فيكفي فيه نيّة القربة دون نيّة التعيين، وإن لم يكن متعيّناً احتاج إلى نيّة التعيين، وذلك كلّ صوم عدا شهر رمضان نفلاً كان أو واجباً.

ونيّة القربة يجوز أن تكون متقدّمة، ونيّة التعيين لابدّ من أن يكون مقارنة، فإن فائت(١١٦) إلى أن يصبح جاز تجديدها إلى زوال الشمس،

---

(١١٦) قوله: فإن فائت.

أقول: يعني إذا فاتت النيّة لعذر، كنسيان، أو غفلة، أو جهل بكون اليوم من شهر رمضان، أو نوم، ونحو ذلك ممّا يعتبر عذراً. وأمّا السكر فلا يعتبر عذراً، وأمّا الإغماء فيسقط التكليف، وإذا أفاق قبل الزوال فينوي فيصوم، وأمّا إذا أفاق بعد الزوال فلا تكليف عليه. وكذا المسافر إذا وصل إلى حدّ الترخّص قبل الزوال ولم يكن قد تناول المفطر فعليه أن ينوي الصوم ويصحّ منه، ومثله المريض إذا شفى قبل الزوال ولم يكن قد تناول المفطر.

فإذا زالت فقد فات وقتها، فإن كان صوم شهر رمضان صام ذلك اليوم وقضىٰ يوماً بدله.

ولهذا الصوم أقسام وشرائط وأحكام، وهو واجب ومندوب ونذر معيّن وغير معيّن وأمثال ذلك، ولا يحتمل هذا المكان كلّها. نختصر منها على بيان ما يلزم منه القضاء والكفّارة، وعلى بيان ما يلزم القضاء دون الكفّارة:

فما يوجب القضاء والكفّارة تسعة أشياء:

الأكل، والشرب، والجماع في الفرج، وإنزال الماء الدافق عامداً، والكذب على الله وعلى رسوله والأئمّة ﷺ متعمّداً[١١٧]، والإرتماس في

---

(١١٧) قوله: والكذب على الله وعلى رسوله والأئمّة ﷺ.

لما ورد في الأحاديث الموثّقة، منها:

عن سماعة قال: سألته عن رجل كذب في رمضان؟ فقال: «قد أفطر وعليه قضاؤه» فقلت: فما كذبته؟ قال: «يكذب على الله وعلى رسوله».

ومنها: عن أبي بصير، عن أبي عبدالله ﷺ قال:

«إنّ الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الأئمّة ﷺ يفطر الصائم». (وسائل الشيعة، كتاب الصوم، باب ٢ من أبواب ما يمسك عنه الصائم، الحديث ١ و٢ و٤.

وتلحق لهم الصدّيقة الطاهرة الزهراء البتول سلام الله عليها. وسائر الأنبياء والأوصياء ﷺ.

هذا لمّا أنّ الكذب المبطل للصوم يختصّ لكذب الذي يرجع إلى أمور الدّين والأحكام، لأنّه الظاهر من الأحاديث الواردة في المقام وغيرها وكما أنّ آيات القرآن تفسّر بعضها البعض، كذلك الأحاديث الواردة عن المعصومين ﷺ تفسّر بعضها البعض، وبما أنّهم ﷺ كلّهم نور واحد يعتبر كلامهم أيضاً كلاماً واحداً، وأنّهم بمنزلة متكلّم واحد.

الماء عند البعض، وأيضاً الغبار الغليظ متعمّداً(١١٨)، مثل غبار الدقيق أو غبار النفض وما جرى مجراه، والمقام على الجنابة متعمّداً حتّى يطلع الفجر، ومعاودة النوم بعد انتباهتين حتّى يطلع الفجر.

والكفّارة عتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستّين مسكيناً، مخيّر في ذلك.

وأمّا ما يوجب القضاء دون الكفّارة فثمانيّة أشياء(١١٩):

الإقدام على الأكل والشرب، أو الجماع قبل أن يرصد الفجر مع

نعم، معلوم أنّ ما ذكرنا من الاختصاص بالأمور الشرعيّة والأحكام الدينيّة يرتبط ببطلان الصوم ووجوب القضاء والكفّارة، وأمّا الحرمة فالكذب حرام مطلقاً ومعصية كبيرة، خاصّة بالنسبة إليهم عليهم السلام في شهر رمضان.

روى المجلسي عن أمالي المفيد وعن كنز العمّال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار».

البحار ج٢ ص١٦٠ الحديث ١٠ وج٣٢ ص٣١٤، الحديث ٢٨٢.

وروى عن الكافي، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«من كذب على رسول الله فقد كذب على الله، ومن كذب على الله عذّبه الله عزّوجلّ»

بحار الأنوار ج١١ ص١١٩ الحديث ٥٤.

وروى عن الكشي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«من كذب علينا أهل البيت حشره الله يوم القيامة أعمى» الحديث.

بحار الأنوار ج٢ ص١٦٠ الحديث ٧.

(١١٨) وأيضاً الغبار الغليظ.

أي حكمه كحكم الارتماس، كونه مبطلاً وسبباً للقضاء والكفّارة، عند البعض.

(١١٩) قوله: فثمانية أشياء.

أقول: هناك موارد أُخرى أيضاً توجب القضاء دون الكفّارة، وليس المقام محلّ بحثها.

القدرة عليه ويكون طالعاً وترك القبول عمّن قال: إنّ الفجر قد طلع، والإقدام على تناول[١٢٠] ما ذكرناه ويكون الفجر قد طلع. وتقليد الغير[١٢١] في أنّ الفجر لم يطلع مع قدرته على مراعاته ويكون قد طلع. وتقليد الغير في دخول الليل مع القدرة على مراعاته والإقدام على الإفطار ولم يدخل. وكذلك الإقدام على الإفطار لعارض[١٢٢] يعرض في السماء

---

(١٢٠) قوله: والإقدام على تناول.

في رواية صحيحة عن الحلبي، عن أبي عبدالله الصادقعليه السلام، أنّه سُئل عن رجل تسحّر ثمّ خرج من بيته وقد طلع الفجر وتبيّن؟ قال: يتمّ صومه ذلك ثمّ ليقضه.

وفي رواية موثّقة عن سماعة بن مهران، قال: سألته عن رجل أكل أو شرب بعدما طلع الفجر في شهر رمضان؟ فقال: إن كان قام فنظر فلم ير الفجر فأكل ثمّ عاد فرأى الفجر، فليتمّ صومه ولا إعادة عليه، وإن كان قام فأكل وشرب ثمّ نظر إلى الفجر فرأى أنّه قد طلع الفجر فليتمّ صومه ويقضي يوماً آخر، لأنّه بدأ بالأكل قبل النظر فعليه الإعادة.

وسائل الشيعة، كتاب الصوم، أبواب ما يمسك عنه الصائم، الباب ٤٥ الحديث ١ و٣.

(١٢١) قوله: وتقليد الغير.

أقول: هذا إذا لم يكن المخبر ممّن لا يُعتنىٰ بخبره عرفاً، أو شرعاً، أو عقلاً، وإلّا تجب الكفّارة أيضاً إضافة على القضاء مع إقدامه على الأكل والشرب أو غيرهما من المفطرات، أو الإفطار.

(١٢٢) قوله: وكذلك الإقدام على الإفطار لعارض.

أقول: الظاهر أنّه لا يجب القضاء عليه كما لا تجب الكفّارة بالأولويّة، لصحيحة زرارة قال: قال أبو جعفر الباقرعليه السلام:

«وقت المغرب إذا غاب القرص، فإن رأيته بعد ذلك وقد صلّيت، أعدت الصلاة ومضىٰ صومك وتكفّ عن الطعام إن كنت قد أصبت منه شيئاً».

وفي صحيحة أُخرى له عنهعليه السلام قال لرجل ظنّ أنّ الشمس قد غابت فأفطر ثمّ أبصر

من ظلمة ثمّ تبيّن أنّ الليل لم يدخل. ومعاودة النـوم(١٢٣) بـعد انـتباهة واحدة قبل أن يغتسل من جنابة ولم ينتبه حتّى يطلع الفجر. ودخول الماء إلى الحلق(١٢٤) لمـن يـتبرّد بـتناوله دون المـضمضة للـصلاة. والحـقنة

⬅ الشمس بعد ذلك، قال:

«ليس عليه قضاء».

وفي المقام أحاديث أُخرى تؤيّد ما قلنا.

راجع وسائل الشيعة كتاب الصوم باب ٥١ من أبواب ما يمسك عنه الصائم.

وأمّا موثّقة سماعة، أو صحيحة أبي بصير عن الصادقعليه السلام في قوم صاموا شهر رمضان فغشيهم سحاب أسود عند غروب الشمس، فرأوا أنّـه اللـيل فأفـطر بـعضهم، ثـمّ إنّ السحاب انجلى فإذا الشمس، فقال:

«على الذي أفطر صيام ذلك اليوم، إنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿**أتمّوا الصيام إلى الليل**﴾ البقرة: ١٨٧، فمن أكل قبل أن يدخل الليل فعليه قضاؤه لأنّه أكل متعمّداً».

وسائل الشيعة الباب ٥٠ الحديث ١ من كتاب الصوم، من أبواب ما يمسك عنه الصائم.

فلا تعارض بينه وبين الحديثين المذكورين، لأنّ قولهعليه السلام: «فمن أكل» الظاهر أنّه حكم مستقلّ ناظر علىٰ من يأكل ويداوم الإفطار بعد انكشاف الخـلاف أحـياناً. والله هـو العالم.

(١٢٣) قوله: ومعاودة النوم.

والدليل عليه صحيحة معاوية بن عمّار قال: قلت لأبي عبداللهعليه السلام: الرجل يجنب فـي أوّل الليل ثمّ ينام حتّى يصبح في شهر رمضان؟ قال: «ليس عليه شيء»، قلت: فـإنّه استيقظ ثمّ نام حتّى أصبح؟ قال: «فليقض ذلك اليوم عـقوبة». المـصدر البـاب ١٥ الحديث ١.

(١٢٤) قوله: ودخول الماء إلى الحلق لمن يتبرّد.

والدليل عليه موثّقة سماعة، قال: سألته عن رجل عبث بالماء يتمضمض به من عطش فدخل حلقه؟ قال:

⬅

بالمايعات[١٢٥]. هذا صوم أهل الشريعة على طريق أهل البيت عليهم السلام.



«عليه قضاؤه، وإن كان في وضوء فلا بأس به».

المصدر الباب ٢٣ الحديث ٤.

(١٢٥) قوله: والحقنة بالمايعات.

أقول: فيها كلام، الأقوى أنّها توجب القضاء والكفّارة معاً لأنّها مفطر والعمل بها يعتبر إفطاراً، لصحيحة البزنطي، عن أبي الحسن عليه السلام أنّه سأله عن الرجل يحتقن تكون به العلّة في شهر رمضان؟ فقال: «الصائم لا يجوز له أن يحتقن».

المصدر الباب ٥ الحديث ٤.

وصحيحة عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام، في رجل أفطر من شهر رمضان متعمّداً يوماً واحداً من غير عذر، قال:

«يعتق نسمة، أو يصوم شهرين متتابعين، أو يطعم ستّين مسكيناً، فإن لم يقدر تصدّق بما يطيق».

المصدر الباب ٨ الحديث ١.

نعم، لا كفّارة على الناسي وغير المختار والمكره والمضطرّ لحديث الرفع، فالعلّة المذكورة في الصحيحة محمولة على ما لا يبلغ حدّ الضرورة.

وأمّا صوم أهل الطّريقة

فالصّوم عندهم بعد قيامهم بالصّوم المذكور عبارة عن إمساكهم عن كلّ ما يخالف رضا الله وأوامره ونواهيه قولاً كان أو فعلاً، علماً كان أو عملاً كما سيجيء تفصيله مبيّناً.

وإذا تقرّر هذا فاعلم:

(قيمة الصوم عند الله سبحانه وتعالى)

إنّ رسول الله ﷺ قال مرويّاً عن الله تعالى إنّه قال: لكلّ حسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف إلّا الصوم، فإنّه «لي وأنا أُجزي به»(١٢٦).

وقال النبيّ ﷺ:

---

(١٢٦) قوله: فإنّه لي وأنا أجزي به.

راجع التعليق ٨٨ قد مرّت الإشارة إليه.

رواه الشيخ الطوسي في «التهذيب» ج ٤، ص ١٥٢، الحديث ٣، وأخرجه «كنز العمّال» ج ٨ ص ٥٨٢، الحديث ٢٤٢٧١.

«لكلّ شيء باب وباب العبادة الصوم»(١٢٧).

وخصوصيّة الصوم بهذه الخصال وذكره بهذا التعظيم والإجلال عند النظر الصحيح، ليس إلّا لأمرين:

أحدهما: أنّه يرجع إلى الكفّ من المحارم ومنع النفس من الشهوات، وإلى أنّه عمل سرّي لا يطّلع عليه غير الله، دون الصلاة والزكاة وغيرهما من العبادات، فإنّه يمكن إطلاع الغير عليها، ويمكن دخول الرياء والعجب فيها، اللّذان هما سببان عظيمان لإبطال العبادات وإحباط الطاعات لقوله تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١٠].

(في أنّ الرياء شرك)

والشّرك هاهنا باتّفاق المفسّرين هو الرّياء، وقال النبيّ ﷺ:

«دبيب الشرك في أُمّتي أخفىٰ من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمّاء في الليلة الظلماء»(١٢٨).

---

(١٢٧) قوله: لكلّ شيء باب.

أخرجه الغزالي في «إحياء علوم الدّين» كتاب أسرار الصوم، ج ١ ص٣٤٦، وراجع أيضاً «المحجّة البيضاء» ج ٢ ص ١٢٢.

(١٢٨) قوله: دبيب الشرك في أُمّتي.

رواه الطبرسي في تفسيره «مجمع البيان» في سورة الأنعام الآية ١٠٨.

ورواه أيضاً «عوالي اللئالي» ج ٢، ص ٧٤، رقم الحديث ١٩٨.

وعند علماء الظاهر هذا الشرك بمعنى الرياء، وإنْ كان عند علماء الباطن كما سبق ذكره بمعنى رؤية الغير مع وجود الحقّ تعالىٰ كما عرفته مراراً، وقال عليّ ﷺ:

«إنّ أدنى الرياء الشرك»(١٢٩).

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» ج٢ ص٢٩١، وأحمد بن حنبل في مسنده ج٤، ص٤٠٣.

وراجع أيضاً تفسير «المحيط الأعظم» ج١ ص٢٨٤، التعليق ٥٤ والجزء الثالث التعليق ٩٩.

روى الطوسي في «الغيبة» ص٢٠٧ الحديث ١٧٦ بإسناده عن أبي محمّد الإمام الحسن العسكري ﷺ قال: «الإشراك في الناس أخفىٰ من دبيب الذرّ على الصفا في الليلة الظلماء، ومن دبيب الذرّ على المسح الأسود».

وقال أيضاً:

«الشرك في الناس أخفىٰ من دبيب النمل على المسح الأسود في الليلة المظلمة».

تحف العقول ص٤٨٧ وعنه البحار ج٧٢ ص٢٩٨ الحديث ٣١.

(١٢٩) قوله: إنّ أدنى الرياء الشرك.

قال أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: «واعلموا أنّ يسير الرياء شرك».

(نهج البلاغة لصبحي الصالح، الخطبة ٨٦، والفيض ٨٥).

وعن النبيّ ﷺ قال:

«ولا ترائي فإنّ أيسر الرياء شرك بالله عزّوجلّ» بحار الأنوار ج١٨ ص١٥٥.

وقال ﷺ أيضاً:

«إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قيل: وما الشرك الأصغر يارسول الله؟ قال: «الرياء، قال: يقول الله عزّوجلّ يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم: إذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدُّنيا، هل تجدون عندهم ثواب

وذلك أيضاً يرجع إلى هذا المعنىٰ، لأنّ الرياء لا يحصل إلّا مع رؤية الغير وإظهار العبادة عليه رياء وشهرة.

وهاهنا أبحاث قد سبق ذكرها عند بحث التوحيد والشرك وإنقسامها إلى الجليّ والخفيّ والألوهيّ والوجوديّ.

الثاني: أنّه قهر لعدوّ الله، فإنّ الشيطان هو العدوّ ولن يقوى الشيطان إلّا بواسطة الشهوات، والجوع يكسر جميع الشهوات التي هي آلة الشيطان، ومع عدم الآلة يستحيل الفعل، ولذلك قال ﷺ:

«إنّ الشيطان يجري في ابن آدم مجرى الدّم فضيّقوا مجاريه بالجوع»(١٣٠)، وفيه سرّ قوله ﷺ إذا دخل رمضان:

«فتحت أبواب الجنّة، وغلقت أبواب النار، وصُفّدت الشياطين، ونادى منادٍ يا باغي الخير هلمّ، ويا باغي الشرّ أقصر»(١٣١).

أعمالكم».

(بحار الأنوار ج٧٢، ص٢٦٦).

(١٣٠) قوله: إنّ الشيطان يجري في ابن آدم.

أخرجه ابن حنبل في مسنده ج٣ ص١٥٦، وابن ماجة في سننه ج١ ص٥٦٦، الحديث ١٧٧٩، بدون قوله ﷺ: **«فضيّقوا مجاريه بالجوع»**.

ونقله ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج١ ص٢٧٣، الحديث ٩٧، والمجلسي في «بحار الأنوار» ج٧٠ ص٤٢.

وأخرجه أيضاً الغزالي في «إحياء علوم الدّين» كتاب أسرار الصوم، ج١، ص٣٤٧.

(١٣١) قوله: فتحت أبواب الجنّة.

رواه المجلسي عن كتاب «النوادر» للراوندي بإسناده عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال:

والمراد منه أنّ الذي هو ممدّ الشرّ ومنشاؤه قد ضعف وكذلك أعوانه، فعليكم بالسبق في الخيرات، والتقصير في الشرور والشهوات.

(أقسام الإمساك)

وأمّا الإمساك المذكور فعلى قسمين: قسم يتعلّق بالظاهر وقسم يتعلّق بالباطن.

(في فضل السكوت والصمت)

أمّا الظاهر فالإمساك الأوّل فيه إمساك اللّسان عن فضول الكلام وعن كلّ ما يخالف رضا الله تعالى وإرادته من الأوامر والنواهي، لأنّ الله تعالىٰ ما أمر مريمﷺ في صومها إلّا بإمساك الكلام لقوله:

﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً﴾ [مريم: ٢٦].

ويعلم صدق هذا أيضاً من قوله:

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً * فَكُلِي وَاشْرَبِي

➡ «إذا كان (كانت) أوّل ليلة من رمضان، صُفِّدت الشياطين ومَرَدة الجنّ، وغُلِّقت أبواب النار، فلم يُفتح منها باب، وفُتحت أبواب السماء (الجنّة) فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبِل، ويا باغي الشرّ أقصِر، ولله عزّوجلّ عتقاء من النار، وذلك كلّ ليلة». (بحار الأنوار، ج٩٦، ص٣٥٠، الحديث ٢٠).

وأخرجه أيضاً ابن ماجة في سننه، كتاب الصيام الباب ١، الحديث ١٦٤٢، ص٥٢٦.

وأخرج قريب منه مسلم في صحيحه ج٢ ص٧٥٨، كتاب الصوم الباب ١، وابن حنبل في مسنده، ج٢ ص٣٥٧ وص٣٧٨.

وَقَرِّي عَيْناً﴾ [مريم:٢٥ و ٢٦].

لأنّ هذا أمر بالأكل والشرب، وذاك أمر بالسكوت عن فضول الكلام، فعرفنا أنّ أعظم الصوم: السكوت عن فضول الكلام، وهذا لو لم يكن كذلك ما قال النبيّ ﷺ:

«من صمت نَجا» (١٣٢).

والحكمة في ذلك أنّ صمت الظاهر من القول باللسان سبب لنطق الباطن والقول بالجنان، ولهذا إذا سكتت مريم ؈ من القول باللسان نطق عيسى ؈ في المهد بالبيان، ودعوى خلافة الرحمن، فافهم جدّاً فإنّه دقيق.

ويعرف من هذا سرّ قوله ﷺ:

«من أخلص لله تعالى أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» (١٣٣).

---

(١٣٢) قوله: من صمت نجا.

أخرجه ابن حنبل في مسنده ج ٢ ص١٥٩، بإسناده عن عبدالله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ.

ورواه المجلسي عن كتاب «مكارم الأخلاق» في وصيّة النبيّ ﷺ لأبي ذرّ الغفاري، ج ٧٧ ص٨٨.

(١٣٣) قوله: من أخلص لله تعالى أربعين صباحاً.

أخرجه الغزالي في «إحياء علوم الدّين» كتاب النيّة والإخلاص، الباب الثاني، ج ٤ ص٥٤٥، وأخرجه أيضاً السهروردي في «عوارف المعارف» الباب السادس والعشرون.

وورد عن النبيّ ﷺ أيضاً:

«إذا بلغ الكلام إلى الله فامسكوا»(١٣٤).

➡ وأيضاً أخرجه فيه في الباب الثامن والعشرون بإسناده عن مكحول، قال: قال رسول الله ﷺ:

«من أخلص لله تعالى العبادة أربعين يوماً، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

وروى الصدوق في «عيون أخبار الرضا» ج٢ ص٦٩ بإسناده عن جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما أخلَصَ عبدٌ لله عزّوجلّ أربعين صباحاً إلّا جرتْ ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

وروى الكليني بإسناده عن السندي عن الباقر ﷺ قال:

«ما أخلص العبد الإيمان بالله عزّوجلّ أربعين يوماً ـ أو قال: ما أجمل عبدٌ ذكر الله عزّوجلّ أربعين يوماً ـ إلّا زهّده الله عزّوجلّ في الدُّنيا وبصّره داءها ودواءها، فأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه».

وراجع تفسير المحيط الأعظم ج١ ص٢٦٢، التعليق ٤٢.

(١٣٤) قوله: إذا بلغ الكلام.

نقله السيّد المؤلف أيضاً في «جامع الأسرار ومنبع الأنوار» ص١٢٦ و٢٠٢.

أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الزهد، الباب ١٢، الحديث ١٧٦٨٧، ج١٠ ص٣٨٩، بإسناده عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال:

«إذا ذُكّرتم بالله فانتهوا».

روى الصدوق في «الأمالي» بإسناده عن الصادق ﷺ قال:

«إيّاكم والتفكّر في الله، فإنّ التفكّر في الله لا يزيد إلّا تيهاً، إنّ الله عزّوجلّ لا تدركه الأبصار ولا يوصف بمقدار».

وروى القمّي في تفسيره، بإسناده عن الصادق ﷺ قال:

⬅

والمراد أي فامسكوا الشروع فيه باللسان والقول، وبل بالعبارة والإشارة، فإنّه ليس بقابل لذلك، وكلّما ليس بقابل للقول فيه لا ينفع الإخبار عنه باللسان، وبل يضرّ كالعلوم الذوقيّة والمعارف الإلهيّة، ولهذا قال‌ﷺ في موضع آخر:

«مَن عرف الله كَلَّ لسانه»(١٣٥).

أي كَلَّ لسانه عن القول فيه والعبارة، لأنّه ذوقي شهودي، واللسان يعجز عن القول فيه كما يعجز الشخص مثلاً عن بيان حلاوة العسل إذا عرفها وذاقها بالتناول منه، وقد ورد أيضاً:

«إذا ذُكِرَ النجوم فأمسكوا، وإذا ذُكر أصحابي فأمسكوا»(١٣٦).

«إذا انتهى الكلام إلى الله فامسكوا، وتكلّموا فيما دون العرش ولا تكلّموا فيما فوق العرش، فإنّ قوماً تكلّموا فيما فوق العرش فتاهت عقولهم».

وروى مثله البرقي في المحاسن. (راجع بحار الأنوار ج٣ ص٢٥٩ الحديث ٤٩٦ وص ٢٦٤ الحديث ٢٢).

(١٣٥) قوله: من عرف الله.

رواه الطبرسي في «مشكاة الأنوار في غرر الأخبار» الباب ٣، الباب ٢٠، ص٣٠٦، الحديث ١٢.

ونقله السيّد المؤلّف في «جامع الأسرار» أيضاً ص ٣٠.

روى الكليني بإسناده عن الصادق‌ﷺ قال: قال رسول الله‌ﷺ:

«من عرف الله وعظّمه منع فاه من الكلام».

(أصول الكافي ج٢ ص٢٣٧ الحديث ٢٥).

(١٣٦) قوله: إذا ذكر النجوم فأمسكوا.

أخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد»، كتاب القدر، الباب ١٣ الحديث ١١٨٥٠

وكان المراد هذا لأنّ سرّ القدر على التحقيق ذوقي شهودي وكذلك سرّ أصحابه الحقيقي فإنّه أيضاً ذوقي شهودي وجداني، وورد أيضاً:

«هل يكبُّ الناس على مناخِرهم في النار إلّا حصائد ألسنتهم؟»(١٣٧).

وحصائد الألسنة في الأغلب لا يستعملون إلّا فضول الكلام.

وقال ﷺ:

«من كثُر كلامه كثُر سخطه، ومَن كثر سخطه قلّ حياءه قلّ ورعه، ومَن قلّ ورعه دخل النار»(١٣٨).

ويشمل جميع ذلك قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا

و ١١٨٥١، ج٧ ص٤١١.

ورواه أيضاً المجلسي في البحار ج٥٨ ص٢٧٦ الحديث ٧٤ نقلاً عن «الدرّ المنثور».

(١٣٧) قوله: هل يكبّ الناس.

رواه الحرّاني في «تحف العقول» في وصيّة الإمام موسى بن جعفر الكاظم ﷺ، ص

ورواه المجلسي في «البحار» ج٧٧ ص٩٠، في وصيّة النبيّ ﷺ، عن كتاب مكارم الأخلاق.

(١٣٨) قوله: من كثر كلامه.

في «نهج البلاغة»، قال عليّ أمير المؤمنين ﷺ:

«من كثر كلامه كثر خطؤُه، ومن كثر خطؤُه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبُه، ومن مات قلبه دخل النار».

(نهج البلاغة (فيض الإسلام) الحكمة ٣٤١، والصبحي ٣٤٩).

وروى الصدوق في «الأمالي» المجلس الحادي والثمانون، ص٤٣٦، الحديث ٣، بإسناده عن الصادق ﷺ قال:

«كان المسيح ﷺ يقول: «مَن كثر كلامه كثر سقطه».

أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور:١٤ـ١٨].

والله ثمّ والله، لو لم يكن في هذا الباب في القرآن إلّا هذه الآيات، لكفى جزماً بالسكوت عن فضول الكلام، وعن الّذي ليس لصاحبه به علم، ومع ذلك كلّه كلّ من يعتقد أنّ عليه مَلَكان موكّلان وكّلهما الله تعالى ليكتُبا كلّما صدر منه خيراً كان أو شرّاً، ما تكلّم إلّا بقدر الضرورة، ولا نطق بشيء غير الخير، والشاهد على هذا قوله جلّ ذكره:

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[ق: ١٧].

وإذا عرفت هذا فعليك بحفظ اللسان والسكوت عن فضول الكلام، فإنّ مضرّته أكثر من منفعته، وفساده أعظم من فائدته، وقد عرفت صدق هذا من العقل والنقل، والله أعلم وأحكم وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

(في ضرورة إمساك البصر عن المباحات إلّا بقدر الحاجة)

فأمّا الإمساك الثاني فإمساك البصر عن مشاهدة المحرّمات والمنهيّات مطلقاً، وعن المحلّلات والمباحات إلّا بقدر الضرورة، لأنّ الورع والتقوى ليس في الإجتناب والإحتراز عن المحرّمات والمنهيّات

فقط، بل عن المحلّلات والمباحات إلّا بقدر الحاجة والضرورة، وإلى هذا المعنى أشار الحقّ في قوله:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا﴾[النور: ٣٠] الآية.

لأنّ غضّ الأبصار لازم لحفظ الفروج في الأغلب، لأنّ من لم يشاهد الشيء لم تطلب نفسه منه ولا يكون له ميلٌ إليه، كالأعمى فإنّه حيث ما شاهد الألوان، ولا يعرف الفرق بينها ليس له ميل إلى مشاهدتها إلّا من حيث الإستماع، وهذا أمر وجدانيّ يجده كلّ عاقل من نفسه، والغرض أنّ غضّ الأبصار له دخل عظيم في حفظ الفروج التي هي مادّة كلّ فساد ومنبع كلّ شرّ، وقد أخبر الله تعالىٰ عن ذلك وأدخل الحافظين لفروجهم في زمرة الصالحين والخاشعين من عباده وأثنى عليهم بذلك وهو قوله:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[المؤمنون: ١ إلى ٧].

وقوله:

﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾.

إشارة إلى ما قلناه: أنّ النظر إلى المحلّلات والمباحات ينبغي أن يكون بقدر الحاجة أيضاً، وقد سبق هذا البحث أكثر من هذا عند بحث التقوىٰ في المقدّمة الأُولىٰ.

(في إمساك السمع عن اللّغو)

وأمّا الإمساك الثالث، فإمساك السمع عن استماع ما حرّم الله تعالى عليه وعلى المكلّفين مطلقاً، كالغيبة للمسلم واستماع التغنّي بالحرام، واستماع كلام أهل الضّلال والفَسَقة من أهل البدع الذي يكون سبب انحرافه عن طريق الحقّ والدِّين القويم والصراط المستقيم لقوله تعالى فيه:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِى آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام:٦٨].

ولقوله:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾[القصص:٥٥].

وقد جمع الكلّ قوله:

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء:٣٦].

(مرجع كلّ حسّ هو الفؤاد)

والفؤاد وإن لم يكن داخلاً في الحسّ الظاهر لكن في الحقيقة الكلّ يرجع إليه، لأنّ عند الأكثر: الحواسّ ما لها شعور بنفسها، بل هي آلات المعبّر عنه تارةً بالفؤاد، وتارةً بالعقل، وتارةً بالروح، فإنّها الشاعر بالحقيقة، لأنّ حسّ البصر ما له قوّة أن يعرف أنّ جرم الشمس مثلاً زايد على جرم الأرض بكذا كذا مقدار، فإنّ مقدار أقلّ كوكب في السماء وهو أضعاف جرم الأرض فضلاً عن الشمس وحسّ البصر يدركه بقدر القِرص

أو الترس ولا يشعر بذلك أصلاً لأنّ هذا ليس كذلك، وأنّ رؤيتها لها بقدر قوّتها إدراكها لا غير.

وقد سبق هذا البحث في المقدّمات وفي أكثر الكتب الحكميّة، وهو مبسوط والسلام.

(إمساك الحواس عن ما يهيّج الشهوة)

وأمّا الإمساك الرابع فإمساك الشمّ عن رائحة خبيثة أو طيّبة:

أمّا الخبيثة فلأنّها توجب النفر والكراهة في الطبع، وبل يؤذي منها أعظم الجوارح وأشرفها كالكبد والدماغ والقلب، وبل يؤدّي إلى الموت المعبّر عنه بالفجأة.

وأمّا الطيّبة فلأنّها مهيّجة إلى الشهوات محرّمة كانت أو محلّلة، كالمسك والعبير والعنبر وأمثال ذلك، وقد ورد أنّ النبيّ ﷺ كان يكره رائحة الثوم والبصل ويحبّ الورد والنرجس وأمثالها، كما قال ﷺ:

«حبيب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرّة عيني في الصلاة»(١٣٩).

كما سبق بيانه.

وأمّا الإمساك الخامس، فإمساك الذوق من أن يذوق شيئاً يجذبه

---

(١٣٩) قوله: حبيب إليّ من دنياكم.

رواه الصدوق في «الخصال» باب الثلاثة ص١٦٥ الحديث ٢١٧ و ٢١٨، وأخرجه ابن حنبل في مسنده ج٣، ص١٢٨. وراجع الجزء الثالث من «تفسير المحيط الأعظم» ص٣٥، التعليق ١٩.

إلى الشهوات أو إلى إزالة العقل كالمسكرات المعلومة وغيرها كمال اليتيم والرّبا وأمثالهما لقوله تعالى في الأوّل:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام:١٥٢].

ولقوله في الثاني:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥].

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[الأعراف:٣١].

إشارة إلى الاعتدال في المأكول والمشروب المتعلّقان بالذوق لئلّا يصل إلى حال الإفراط والتفريط المذمومان مطلقاً، المعبّر عنهما باليمين والشمال، لقوله ﷺ:

«اليمين والشمال مضلّتان والطريق المستقيم هي الوسطىٰ»(١٤٠).

(إستعمال الأعضاء فيما خلقت لأجله)

وأمّا الإمساك السادس فإمساك اللّمس عن لمس شيء يجذبه إلى المحرّمات المذمومة أو إلى المحلّلات المفرطة الخارجة عن حدّ الاعتدال لقوله تعالى فيه وفي غيره من الحواسّ:

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا

---

(١٤٠) قوله: اليمين والشمال.

في نهج البلاغة الخطبة ١٦:

«اليمين والشمال مضلّة، والطريق الوسطىٰ هي الجادّة».

ورواه الكليني في «الروضة» ص٦٨.

جُلُودُكُمْ﴾[فصّلت: ٢٢].

حتّى إذا ﴿قَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِى أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصّلت:٢١].

ولقوله:

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[يس: ٦٥].

ونظراً إلى هذه الحواسّ التي هي رعايا الشخص وأعوانه وأفعاله وأقواله وتحصيل كمالاته، قال النبيّ ﷺ:

«كلّم راعٍ وكلّكم مسؤولٌ عن رعيّته»(١٤١).

يعني كلّكم راعٍ وحاكم وسلطان بالنسبة إلى رعاياكم التي هي حواسّكم وقواكم، وكلّكم غداً تكونون من الذين تسئل عنهم وعن استعمالهم، فإن استعملتموهم في الذي خلقوا لأجله فأنتم معدودون في أهل العدل والقِسط، ومرجعكم إلى الجنّة والرحمة، وإن استعملتموهم في غير الذي خُلقوا لأجله فأنتم معدودون في أهل الظلم والجور والعدوان، ومرجعكم إلى الجحيم والغضب والنقمة؛ لأنّ الظلم وضع الشيء في غير موضعه، كما أنّ العدل وضع الشيء في موضعه، فكلّ من استعمل أعضاءه

---

(١٤١) قوله: كلّكم راعٍ.

أخرجه مسلم في صحيحه ج٣ كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام، الحديث ٢٠، ص١٤٢٩، وذكره أيضاً المجلسي في البحار ج٧٥ ص٣٨.

وقد مرّت الإشارة إليه في التعليق ٨٢، وراجع أيضاً تفسير المحيط الأعظم الجزء الثالث التعليق ١٨٥.

وجوارحه في غير ما خُلِق لأجله فهو ظالم، والظالم ملعون مستحقّ للنار والعذاب، والحقّ تعالى جلّ ذكره لتنظيف هذه الحواس واستعمالها في موضعها أمر بالطهارة المذكورة من الوضوء والغسل والتيمّم، ولقوله فيه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

لئلّا يغفل العبد عن هذه ويقوم بوظائف الطهارة بحسب الشرع في الظاهر، وبحسب باطن الشروع في الباطن كما سبق ذكره أيضاً، وقد ورد عن بعض الأئمّة عليهم السلام(١٤٢) في تفسير قوله تعالى:

---

(١٤٢) قوله: قد ورد عن بعض الأئمّة عليهم السلام.

روى العيّاشي في تفسيره، سورة المائدة في تفسير قوله تعالى: ﴿السارق والسارقة﴾، بإسناده عن أبي جعفر محمّد بن علي الجواد عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«السجود على سبعة أعضاء: الوجه، واليدين، والركبتين، والرجلين، ... وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وأنّ المساجد لله﴾ [الجن: ١٨].

يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها. «فلا تدعوا مع الله أحداً» وماكان لله لم يقطع».

وروى الكليني في الكافي ج٣ ص٣١١، الحديث ٨، بإسناده عن الصادق عليه السلام قال:

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [الجن:١٨].

«إنّه تعالى أراد بالمساجد المساجد السبعة من الأعضاء الظاهرة كالجبهة، واليدين، والركبتين والرجلين».

ومعناه أنّ هذه المساجد هي لله ملكه وخلقه وعبيده، فلا تصرفوها في غير مرضاته وغير ما خلقوا لأجله.

والكلّ راجع إلى ما قلناه أوّلاً وأخيراً، وهو أنّه يريد أنّ العبد يقوم بصرف كلّ عضو له فيما خلق لأجله ليتّصف بالذين يضعون الأشياء مواضعها ويصدق عليه أنّه من أرباب العدل والقسط قولاً وفعلاً وعلماً وعملاً، ويدخل بذلك في سلك أهل الله وسلك ملائكته وأولوا العلم من عباده، لقوله:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[آل عمران:١٨].

وأنا على ذلك من الشاهدين.

هذا بالنسبة إلى الحواسّ الخمسة الظاهرة وليس اللسان منها بوجه لأنّ اللّسان من حيث إنّه مخصوص بالنطق والتكلّم ما له دخل في الحواسّ، ومن حيث إنّه من جملة أعوان الذوق وآلاتها فهو داخل في الذوق، فبناء على هذا وهو يكون خارجاً بوجه وداخلاً بوجه، أو يكون خارجاً بالكلّ ويكون بحث الحواسّ بحث برأسه، وبحث اللسان بحث

➲ «وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً» وهي الجبهة والكفّان، والركبتان والإبهامان، ووضع الأنف على الأرض سنّة».

برأسه ولا خلل في ذلك وبالله التوفيق.

(في بيان إمساك الحواسّ الخمسة الباطنة)

وأمّا بالنسبة إلى الحواسّ الخمسة الباطنة:

فالإمساك الأوّل إمساك القوّة المفكّرة عن الفكر في الأمور الغير النافعة، أو العائد إلى صلاح معاده ومرجعه، لأنّ القوّة المفكّرة ما خُلقت إلّا لأجل سير الإنسان بها من المبادي إلى المقاصد المسمّاة عند المتكلّمين بالقوّة النظرية، فالقوّة المفكّرة صرفها فيما خلق لأجله أولى وأنفع، لأنّها لو صرفت في غيره يلزم اتّصاف صاحبها بالظلم، وقد عرفت حال الظالم من البحث السابق بأنّه ملعون مطرود عن باب الله، ومن حيث إنّ القوّة المفكّرة لها هذا الاستعداد والاستحقاق، قال تعالى بالنسبة إليها:

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣].

وقال النبيّ ﷺ:

«تفكّر ساعة خيرٌ من عمل سبعين سنة»(١٤٣).

---

(١٤٣) قوله: تفكّر ساعة.

قال المجلسي في البحار ج٦٦ ص٢٩٦: في الحديث:

«تفكّر ساعة خير من عبادة ستّين سنة».

وأخرج مثله «كنز العمّال» عن النبيّ ﷺ، ج٣، ص١٠٦، الحديث ٥٧١٠، وأيضاً أبو منصور ديلمي في مسند الفردوس بلفظ: «ثمانين سنة» راجع «المحجّة البيضاء» ج٨ ص١٩٣.

وروى العيّاشي في تفسيره ج٢ ص٢٠٨ الحديث ٢٦، عن الصادق ؑ:

وأمّا الإمساك الثاني، فالإمساك عن صرف القوّة الحافظة إلّا فيما خلقت لأجله، وهو حفظ المعارف الإلهيّة والعلوم العقليّة وما شاكل ذلك، لأنّها خازن القوّة المفكِّرة، والقوّة المفكّرة ما خلقت إلّا للفكر في أمثال ذلك، وإذا كان كذلك فلا يكون في خزانته غير ذلك، فيحرم على القوّة الحافظة إلّا حفظ أمثالها لتدخل بذلك في طائفة ورد فيهم:

﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ﴾ [التوبة:١١٢].

وأوّل حفظ الحدود صرف كلّ قوّة فيما خلقت لأجله والله أعلم وأحكم.

وأمّا الإمساك الثالث، فالإمساك عن صرف القوّة المتخيّلة إلّا فيما خلقت لأجله وهو تصوّر صورة الشخص عمرواً أو زيداً بأنّه كذا وكذا من حيث الشكل واللون، كما أنّ شغل القوّة الوهميّة تصوّر العداوة والمحبّة في الأشخاص، والقوّة المتخيِّلة بهذا السبب تعرض كلّ ساعة على صاحبها الأشخاص الكثيرة والصور المتنوّعة، ويمنعها عن تخيّل فيما خلق لأجله لأنّ هذا شغله، ويدلّ عليه قوله تعالى:

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ

⬅ «تفكّر ساعة خيرٌ من عبادة سنة، قال الله تعالى:

﴿إنّما يتذكّر أولوا الألباب﴾.

وأخرج مثله الغزالي في «إحياء علوم الدِّين» ج ٤ ص ٦١٥، كتاب التفكّر.

وروى الكليني في الكافي ج ٢ ص ٥٤، باب التفكّر الحديث ٢ بإسناده عن الحسن الصيقل قال: سألت أبا عبدالله ﷺ عمّا يروي الناس: «أنّ تفكّر ساعة خير من قيام ليلة»، قلت: كيف يتفكّر؟ قال: «يمرّ بالخربة أو بالدار فيقول: أين ساكنوك، أين بانوك، ما (يا) لك لا تتكلّمين؟».

فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [طه:٦٦ و ٦٧].

لأنّ القوّة الخياليّة لو كان لها قوّة إدراك المعنى لم يكن يتصوّر أنّها حيّة تسعى، بل عرف أنّه سحر وهو على غير الحقّ، وعند التحقيق ما خلقت إلّا لأجل استدلال صاحبها بها على العالم المثالي المعبّر عنه بالخيال المطلق، كما عُبّر عنها بالخيال المقيّد، وهذا يعرف من تطبيق الآفاق بالأنفس بحكم قوله تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصّلت: ٥٣].

وذكر الشهرزوري﵀ في رسالته للنفس كلاماً يدلّ على هذا وهو قوله:

«ينبغي أن تعلم أنّ كلّ شيء في العالم العِلوي والروحاني له مثال وظلّ في العالم السّفلي، فنور الشمس مثال للنور الربوبيّ الإلهي، قال تعالى:

﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧].

وأراد به الشمس، ونور القمر نظيراً لنور العقلي المذكور في قوله ﷺ: «أوّل ما خلق الله العقل»(١٤٤).

ونور الكوكب نظيراً لنور الحسّي لقوله تعالى:

---

(١٤٤) قوله: أوّل ما خلق الله العقل.

رواه الصدوق في «الفقيه» ج ٤ ص ٢٦٧، باب النوادر، الحديث ١ / ٨٢١، وأيضاً رواه ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ٩٩، الحديث ١٤١.

وراجع «تفسير المحيط الأعظم» ج ١ ص ٣١٧، التعليق ٧٥.

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء:٣٦].

ثمّ ذكر ثانياً ما يدلّ على قولنا الأوّل في بيان المتخيّلة وكيفيّة تصرّفها، وهو قوله:

«إعلم أنّ أكثف الحُجب المعمية للنفس من ذاتها إنّما هو المتخيّلة، لتخيّل الصورة تارةً والمعاني أُخرى، والتركيب والتفصيل بينهما أُخرى، وعرضها جميع ذلك على النفس دائماً لا يفتر نوماً ولا يقظة فتشتغل النفس عن مطالعة ذاتها بمطالعة ما تعرضه المتخيّلة، فيكون حجاباً لذاتها، ولا تحجب ذاتها عن حقيقة ذاتها، أعني الظهور الإلهي، إذ الظهور لا يحجبه شيء عن ظهوره، ولكن يحجبه عن التفطّن والشعور لأجل الإستغراق بالغير».

وفي كلامه هذا قوله: لتخيّل الصورة تارةً والمعنى أُخرى والتركيب بينهما، لايطابق قول بعض العلماء، وأكثر الحكماء، فإنّهم ذهبوا إلى أنّ تصوّر القوّة المتخيّلة: الصورة فقط، وتصوّر القوّة الوهميّة: المعنى فقط، وتصوّر الحسّ المشترك: الصورة مع المعنى، وتسميته بالمشترك كان لأجل هذا. فكأنّه اشتبه عليه نسبة الحسّ المشترك إلى المتخيّل، وحيث إنّ الإنسان في معرض السهو والغلط يجوز ذلك من طرفه ويجوز من طرفنا أيضاً، ولا يعلم الغيب إلّا الله، والله أعلم وأحكم وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

وقد ورد عن ابن العربي قدّس الله سرّه في تدبيراته الإلهيّة(١٤٥) ما

---

(١٤٥) قوله: في تدبيراته الإلهيّة.

يخالف قول الشهرورزي، وهو قوله:

«إعلم أنّ العين والأُذن واللسان واليد والبطن والفَرْج والرِّجل من عمّال الإنسان وأُمنائه من أهل تأديته، وكلّ واحد منهم رئيس وخازن على صنف من أصناف ماله وخزائنه، ورئيسهم وإمامهم الحسّ الذي ترجع إليه هذه الحواسّ كلّها بأعمالها، والحسّ برئاسته ومملكته مرؤوس تحت سلطان الخيال، والخيال بما فيه من صحّة وفساد مرؤوس تحت سلطان الذُّكر، والذّكر مرؤوس تحت سلطان الفكر، والفكر مرؤوس تحت سلطان العقل، والعقل وزير الإنسان، والإنسان رئيس الإمام المعبّر عنه بالروح القدسي».

والمراد من هذا النقل قوله: «والخيال بما فيه من صحّة وفساد مرؤوس تحت سلطان الذُّكر، والذُّكر مرؤوس تحت سلطان الفكر»، لأنّ الخيال لو كان له تصرّف في المعنى مع الصورة والتركيب بينهما، ما كان

➲ «التدبيرات الإلهيّة في إصلاح المملكة الإنسانيّة».

الباب العاشر، ص ١٨٥، وفيه هكذا (مع تفاوت قليل):

«اعلم أيّها السيّد الكريم....

فالعين والأُذن واللّسان واليد والبطن والفَرْج والرِّجل من عُمّالك وأُمنائك من أهل باديتك، وكلّ واحد منهم رئيس وخازن على صنف من أصناف المال الذي يجيبه، ورئيسهم وإمامهم الحسّ الذي ترجع هذه الحواسّ كلّها بأعمالها إليه، وإنّ الحسّ برئاسته ومملكته مرؤوس تحت سلطان الخيال، والخيال بما فيه من صحّة وفساد مرؤوس تحت سلطان الذُّكر، والذُّكر مرؤوس تحت سلطان الفكر، والفكر مرؤوس تحت سلطان العقل، والعقل وزيرك، وأنت الرئيس الإمام المعبّر عنه بروح القدس».

مرؤساً تحت الذُّكر والفكر، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلّا العالمون.

وأمّا الإمساك الرابع فإمساك القوّة الوهميّة عن عرض عداوة طائفة، كلّ ساعة على النفس، وعرض محبّة طائفة أُخرى كذلك، فإنّ ذلك يمنع النفس عن الاستقامة على الطريق المستقيم والتوجّه إلى الدِّين القويم الذي هو التوحيد الحقيقي المانع عن أمثال ذلك، أي المقام في دركات رؤية العداوة والمحبّة، والعدوّ والمحبّ وظيفة النفس الأمّارة بمعاونة قوى الغضبيّة والشهويّة، وصاحب النفس المطمئنّة المستحقّ للرجوع فارغ عن هذا وعن غيره، لأنّه في مقام مشاهدة المحبوب وأفعاله، وكلّما فعل المحبوب محبوب، فلا عداوة له مع أحد ولا قيد له أيضاً بالمحبّ والمحبّة، لأنّه في عالم الإطلاق ومشاهدة الوجود الواحد المطلق، وذلك العالم خال عن جميع ذلك، و:

﴿قُلْ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١].

ورد في ذلك وأمثاله فافهم جدّاً.

وصاحب الصّوم الحقيقي يجب أن يكون صاحب النفس المطمئنّة لا الأمّارة، ليستحقّ بها الرجوع لقوله:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر:٢٧ إلى ٣٠].

والأمر بالدخول في العباد لا يمكن إلّا في مقام الاطمئنان، ولهذا قال:

«الصوم لي وأنا أجزي به»[١٤٦].

وجزاءه على الوجه المذكور لا يكون إلّا مشاهدته في مظاهر الآفاقيّة والأنفسيّة، وإليه الإشارة بقوله ﷺ:

«سترون ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر»[١٤٧].

وقد قيل في أسرار الصوم ما يوافق هذا المقام وهو قول بعض العارفين.

(في درجات أسرار الصوم)

وأمّا درجات أسرار الصوم فثلاثة:

أدناها أن يقتصر على الكفّ عن المفطرات ولا يكفّ جوارحه عن المكاره وذلك صوم العموم وهو قناعة بالإسم.

---

(١٤٦) قوله: الصوم لي.

رواه الشيخ الطوسي في «التهذيب» ج ٤ كتاب الصيام، باب فرض الصيام، الحديث ٣ ص ١٥٢.

وأخرجه «كنز العمّال» ج٨ ص٥٨٢ الحديث ٢٤٢٧١. وراجع التعليق ١٢٦ و ٨٨.

(١٤٧) قوله: سترون ربّكم.

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، الباب ١٢١٨، في قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربّها ناظرة﴾ الحديث ٢٢٣٥.

ورواه الصدوق في «معاني الأخبار» باب معنى قول النبيّ ﷺ:

«من كنت مولاه فعليّ مولاه» ص ٧٢.

وذكره المجلسي أيضاً في «بحار الأنوار» ج ٩٤، ص ٢٥١.

راجع «تفسير المحيط الأعظم»، ج ٢ ص ١٦١، التعليق ٦٩، وص ٥٤٩، التعليق ٣٤٨.

الثانية: أن يضيف إليه كفّ الجوارح، فيحفظ اللسان عن الغيبة، والعين عن النظر بالريبة وكذا سائر الأعضاء، وذلك صوم الخواصّ من أهل الله.

وأمّا الثالثة: فهو أن يضيف إليهما صيانة القلب عن الفكر والوساوس ويجعله مقصوراً على ذكر الله تعالىٰ ومشاهدته في مظاهره، وذلك صوم خصوص الخصوص وهو الكمال المقصود بالذات، وأمثال ذلك في هذا الباب كثيرة فارجع إلى مظانّها، والله أعلم وأحكم.

وأمّا إمساك الخامس، فإمساك الحسّ المشترك الجامع للوهم والخيال عن عرض الصورة والمعنى على النفس كلّ ساعة، فإنّه مانع عن السلوك والسير، لأنّ كلّ من يشتغل بالصورة الحسّية يحجب عن المعاني الحقيقيّة العقليّة، والمحجوب محجوب سواء كان بحجاب أو بألف حجاب، فيجب على الصائم الإمساك عن أمثال ذلك ليخلص من الحجب ويشاهد المحبوب على الوجه الذي ذكرناه.

وقد سبق في المقدّمات أنّ مثال النفس مثال شجرة لها عشرة أغصان، يأخذ كلّ غصن منها حقّه من الماء الذي تشرب هذه الشجرة، وذلك أمرٌ طبيعيّ لا يمكن بدون هذا، فلو فرض قطع تسعة أغصان منها لابدّ أن تصل قوّة تلك التسعة وشربها إلى تلك الواحدة منها، فينمو بذلك ويكبر ويكون ثمرته أحلى وأكثر وألطف وأحسن، وكذلك النفس الإنسانيّة مع أغصانها العشرة التي هي الحواس، فإنّ الإنسان لو قطع أغصانها التسعة عن نفسه بقطع تعلّقاته عن العالم، فإنّ كلّ واحدة منها مخصوصة بتعلّق تكبير الغصنة الباقية منها، ويكون ثمرته الفكريّة أعلى

وأعظم وألطف وأشرف، وقد بسطنا الكلام في هذا أيضاً عند بحث التقوى والوصول إلى الله فارجع إليه، والله أعلم وأحكم.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧].

هذا آخر صوم أهل الطريقة.



وأمّا صوم أهل الحقيقة

بعد قيامهم بالصومين المذكورين فهو عبارة عن إمساك العارف عن مشاهدة غير الحقّ تعالىٰ مطلقاً بحكم قولهم:

«ليس في الوجود سوى الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، فالكلّ هو وبه ومنه وإليه».

لأنّ كلّ من لم يمسك نفسه عن مشاهدة الغير مطلقاً فهو مشرك، والمشرك لا يصحّ صومه ولا صلاته، لأنّ الأصل في الصوم الطهارة الباطنيّة من رجس الشرك وخبث رؤية الغير بماء التوحيد ونور الإيمان، كما أنّ في الصلاة وأكثر العبادات مع هذه الطهارة طهارة أُخرى شرط، ومعلوم أنّ الصلاة وباقي العبادات كما لا تصحّ إلّا بالطهارة المعلومة ولا تصحّ من المشرك والكافر أصلاً، فكذلك الصوم فإنّه لا يصحّ من المشرك جليّاً كان الشرك أو خفيّاً، وكلّ مشرك كافر وكلّ كافر مشرك لقوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً﴾ [النساء: ١١٦].

وهذه قاعدة كلّية في طريق التوحيد وأربابه، ولا يجوز إظهارها إلّا عند أهلها، كما قال تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[النساء: ٥٨].

وقد تقرّر أنّ الشرك في الظاهر والباطن، وكذلك التوحيد وأنّهما يقتضيان، فكما أنّ صاحب الشرك الجليّ الذي بإزاء التوحيد الألوهي لا يصحّ صومه ولا صلاته، فكذلك صاحب الشرك الخفيّ الذي بإزاء التوحيد الوجودي لا يصحّ صومه ولا صلاته، وإلى صاحب الشرك الخفيّ أشار الحقّ تعالى وقال:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١٠].

لأنّ هذا لو كان إشارة إلى صاحب الشرك الجليّ لقال: ولا يشرك بربّه أحداً، فحيث قال: «عبادة ربّه» عرفنا أنّه إشارة إلى صاحب الشرك الخفيّ المعبّر عنه بالمؤمن والمسلم كما سبق تقريره مراراً متعدّدة، وقال تعالى:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

أيضاً إشارة إلى الشرك الخفيّ، وكذلك قول النبيّ ﷺ:

«دبيب الشرك في أُمّتي أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمّاء في الليلة الظلماء»(١٤٨).

وفي الشرك الجليّ والخفيّ معاً، وكذلك في التوحيد الألوهي والوجودي معاً ورد:

---

(١٤٨) قوله: دبيب الشرك.

راجع التعليق ١٢٨.

«إنّ توحيد ساعة واحدة يفني كفر سبعين سنة، وكفر ساعة واحدة يفني إسلام سبعين سنة». لأنّ اجتماعهما من المستحيلات عقلاً ونقلاً كما قيل:

«النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان».

وبالجملة اجتماع النقيضين محال، وقد ثبت أنّهما نقيضان فيستحيل إجتماعهما وهو المطلوب، وسيجيء هذا في موضعه مبسوطاً إن شاء الله. والغرض أنّه يجب على العارف أوّلاً الإمساك عن مشاهدة فعل الغير مطلقاً ليصل به إلى مقام التوحيد الفعلي، ثمّ الإمساك عن مشاهدة صفة الغير مطلقاً ليصل به إلى مقام التوحيد الوصفي، ثمّ الإمساك عن مشاهدة وجود الغير مطلقاً ليصل به إلى مقام التوحيد الذاتي الذي هو المقصود من السلوك مطلقاً، وبل من الوجود بأسره، ويصدق عليه أنّه صائم بالصوم الحقيقي ممسك عمّا سواه بالكلّي، وهذا هو الصوم الذي ورد:

«إنّ كلّ حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلّا الصيام فإنّه لي وأنا أجزي به»(١٤٩).

لأنّ غير هذا الصوم لا يستحقّ أن يكون هو جزاءه، بل جزاء هذا الصوم لا يكون إلّا هو، لأنّ الصومين المذكورين جزائهما الجنّة والنعيم، والحور والقصود، أو القرب والوصول والكشف والشهود، وهذا الصوم جزاءه هو لا غير، فيكون أعظم وأعلى منهما، وذلك لأنّه أعظم العمل،

---

(١٤٩) قوله: فإنّه لي وأنا أجزي به.

راجع التعليق: ٨٨ و ١٢٦، وراجع الجزء الثاني ص ٢٨٤ التعليق ٥٤.

وأعظم العمل لا يستحقّ إلّا أعظم الجزاء، وليس هناك أعظم منه فلا يكون جزاءه إلّا هو فافهم جدّاً، وفيه قال:

﴿إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَـذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافّات: ٦٠-٦١].

وإليه أشار بقوله:

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء: ١١٤].

وقد ورد أيضاً في الحديث القدسي أنّه قال:

«من طلبني فقد وجدني، ومن وجدني فقد عرفني، ومن عرفني فقد أحبّني، ومَنْ أحبّني فأنا قتلته، ومن أنا قتلته فعليَّ ديته، ومن عليَّ ديته فأنا ديته»(١٥٠).

والكلّ إشارة إلى فناء العبد فيه وبقائه به في مقام الوحدة الصرفة المعبّر عنه بأحديّة الفرق بعد الجمع المشار إليه بقوله:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

ويقول النبيّ ﷺ:

«من رآني فقد رأى الحقّ»(١٥١).

---

(١٥٠) قوله: من طلبني فقد وجدني.

ذكره «المنهج القوي» ج ٤ ص ٣٩٨، وروى قريب منه الشهيد الثاني في «مسكّن الفؤاد» ص ٢٧، في أخبار داود ﷺ.

راجع «تفسير المحيط الأعظم» ج ٢ ص ٤٢٩، التعليق ٢٢٦.

(١٥١) قوله: مَن رآني.

والفرق بين صوم أهل الطريقة وصوم أهل الحقيقة، أنّ الأوّل سبب لتهذيب الأخلاق والاتّصاف بصفات الحقّ، لقوله:

«تخلّقوا بأخلاق الله»[(١٥٢)].

والثاني سبب لفناء العبد وبقاءه بالحقّ في مقام التوحيد الصرف المعبّر عنه بالفناء في التوحيد المشار إليه في قول العارف:

«أنا الحقّ[(١٥٣)]، سبحاني ما أعظم شأني»[(١٥٤)].

وقد ضربنا في هذا قبل ذلك مثالاً لطيفاً لئلّا يتوهّم الجاهل في كلام هؤلاء القوم ليس له تحقيق، وهو أنّهم قالوا: نفرض هناك ناراً موصوفة بالضوء والإحراق والحرارة والإنضاج وغير ذلك، ونفرض بإزائها ناراً فحماً موصوفاً بالظلمة والكدورة وعدم الحرارة والإنضاج، ثمّ نفرض أنّه

أخرجه البخاري في صحيحه ج٩ كتاب التعبير، الباب ١٠٢٩، الحديث ١٨٣٠، وأخرجه مسلم في صحيحه ج٤ ص١٧٧٦، كتاب الرؤيا، الباب ١، الحديث ٢٢٦٨، وراجع «تفسير المحيط الأعظم» ج٣، التعليق ٣٥، ص.

(١٥٢) قوله: تخلّقوا بأخلاق الله.

راجع «إرشاد القلوب» للديلمي، الباب ٣٨ (في الصبر)، و«إحياء علوم الدِّين» للغزالي ج٤ ص٦١.

وتفسير المحيط الأعظم ج٣ ص، التعليق ٣٢.

(١٥٣) قوله: أنا الحقّ.

قاله الحلّاج، راجع «أسرار التوحيد» ص٤٨، وراجع تفسير المحيط الأعظم ج٣، ص التعليق ٣٧، وج ٤، التعليق ٧٤.

(١٥٤) وقوله: سبحاني ما أعظم شأني.

قاله أبو يزيد البسطامي، قد مرّ ذكره في الجزء الثالث من «تفسير المحيط الأعظم» التعليق ٣٦.

حصل لهذا الفحم قرباً إلى تلك النار بالتدريج واتّصف بجميع صفاتها فصار ناراً، وحصل منه كلّ ما يحصل من النار وبل صار هو هو، فلا يجوز له أن يقول: أنا النار؟ كما قال العارف: أنا الحقّ؟ ومعلوم أنّه يجوز، لأنّه صادق في قوله، وفيه قيل:

«أنا من أهوى ومن أهوى أنا»[155].

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣].

وهاهنا أسرار لا يجوز إفشاءها أكثر من هذا، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل، هذا آخر بيان الصوم بالنسبة إلى الطوائف الثلاث من أهل الشريعة والطريقة والحقيقة، وحيث فرغنا فلنشرع في الزكاة كذلك، وهو هذا:

---

(١٥٥) قوله: أنا من أهوى.

قاله الحلّاج وتمامه هكذا:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا — نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرته — وإذا أبصرته أبصرتنا

وأمّا زكاة أهل الشريعة

فالزكاة عندهم تجب في تسعة أشياء[156]: الإبـل والبـقر والغـنم

---

(١٥٦) قوله: تجب في تسعة أشياء... وما عداها لا تجب فيه.

أقول: هذا ما يستفاد من مدرسة أهل البيت ﷺ أهـل العـصمة والطـهارة، نـقلاً عـن رسول الله ﷺ. والدليل على ذلك عدّة روايات منها:

صحيحة عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله الصادق ؑ قال:

«لمّا نزلت آية الزكاة:

﴿خذ من أموالهم صدقة تطهّرهم وتزكّيهم بها﴾ التوبة: ١٠٣.

في شهر رمضان فأمر رسول الله ﷺ مناديه فنادى في الناس: إنّ الله تـبارك وتعالى قد فرض عليكم الزكاة كما فرض عليكم الصلاة، ففرض الله عليكم من الذهب والفضّة، والإبل والبقر والغنم، ومن الحنطة والشعير والتمر والزبيب، ونادى فيهم بذلك في شهر رمضان، وعفى لهم عمّا سوى ذلك».

ومنها:

صحيحة زرارة ومحمّد بن مسلم وأبي بصير وغيرهم، عن أبي جعفر الباقر وأبي عبدالله الصادق ؑ قالا:

«فرض الله عزّوجلّ الزكاة مع الصلاة في الأموال، وسنّها رسول الله ﷺ فـي

←

والذهب والفضّة والحنطة والشعير والتمر والزبيب، وما عداهـا لا تـجب فيه.

وهي على ضربين:

⬅ تسعة أشياء، وعفى (رسول الله ﷺ) عمّا سواهنّ: في الذهب والفضّة، والإبل والبقر والغنم، والحنطة والشعير والتمر والزبيب، وعفى رسول الله ﷺ عمّا سوى ذلك».

ومنها:

صحيحة أبي بصير والحسن بن شهاب، عن أبي عبدالله الصادق ﷺ قال:

«وضع رسول الله ﷺ الزكاة على تسعة أشياء، وعفى عمّا سوى ذلك: عـلى الذهب والفضّة والحنطة والشعير والتمر والزبيب والإبل والبقر والغنم».

ومنها: صحيحة عليّ بن مهزيار قال: قرأت فـي كـتاب عـبدالله بـن مـحمّد إلى أبـي الحسن ﷺ: جعلت فداك روي عن أبي عبدالله ﷺ أنّه قال:

«وضع رسول الله ﷺ الزكاة على تسعة أشـياء: الحـنطة والشـعير والتـمر والزبيب، والذهب والفضّة، والغنم والبقر والإبل، وعفا رسول الله ﷺ عـمّا سوى ذلك، فقال له القائل: عندنا شيء كثير يكون أضعاف ذلك، فقال: ومـا هو؟ فقال له: الأرز، فقال أبو عبدالله ﷺ: أقول لك: إنّ رسول الله ﷺ وضـع الزكاة على تسعة أشياء، وعفا عمّا سوى ذلك وتقول: عندنا أرز وعندنا ذرّة، وقد كانت الذرّة على عهد رسول الله ﷺ».

ومنها:

معتبرة محمّد بن الطيّار، قال: سألت أبا عبدالله ﷺ عمّا تجب فيه الزكاة، فـقال: فـي تسعة أشياء: الذهب والفضّة، والحنطة والشعير والتـمر والزبـيب، والإبـل والبقر والغنم، وعفا رسول الله ﷺ عمّا سوى ذلك، فقلت: أصحك الله فإنّ عندنا حبّاً كثيراً، قال: فقال: وما هو؟ قلت: الأرز، قال: نعم، ما أكثره، فقلت: أفيه الزكاة؟ فزبرني، قال: ثمّ قال: أقول لك: إنّ رسول الله ﷺ عفا عمّا سوى ذلك وتقول: إنّ عندنا حبّاً كثيراً أفيه الزكاة؟!».

أحدهما: يراعي فيه حوْل الحول، والآخر لا يراعي فيه ذلك، فما يراعي فيه حوْل الحول(١٥٧) الأجناس الخمسة التي هي سوى الغلّات

---

(١٥٧) قوله: فما يراعى فيه حوْل الحول.

الدليل على ذلك الأحاديث الصحيحة المنقولة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

منها: صحيحة الفضلاء، يعني: زرارة، ومحمّد بن مسلم، وأبي بصير، وبريد العجلي، والفضيل بن يسار، كلّهم عن الباقر والصادق عليهما السلام قالا: «ليس على العوامل من الإبل والبقر شيء إنّما الصدقات على السائمة الراعية، وكلّ ما لم يحل عليه الحول عند ربّه فلا شيء فيه عليه، فإذا حال عليه الحول وجب عليه».

ومنها: رواية زرارة عن أحدهما عليهما السلام قال:

«ليس في شيء من الحيوان زكاة غير هذه الأصناف الثلاثة: الإبل والبقر والغنم، وكلّ شيء من هذه الأصناف من الدواجن والعوامل فليس فيها شيء حتّى يحول عليه الحول منذ يوم ينتج».

ومنها: مرسلة زرارة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«لا يزكى من الإبل والبقر والغنم إلّا ما حال عليه الحول وما لم يحل عليه الحول فكأنّه لم يكن».

(التهذيب ج ٤ كتاب الزكاة، باب وقت الزكاة (١٠) الحديث ١٥ و ١٦ و ٢١ ص ٤١).

ومنها: صحيحة عليّ بن يقطين، عن أبي إبراهيم عليه السلام، قال:

إنّه يجتمع عندي الشيء (الكثير قيمته) فيبقى نحواً من سنة أنزكّيه؟ فقال:

«لا، كلّ ما لم يحل عليه الحول فليس عليك فيه زكاة، وكلّ ما لم يكن ركازاً فليس عليك فيه شيء».

قال: قلت: وما الرّكاز؟ قال: «الصامت المنقوش».

ثمّ قال:

«إذا أردت ذلك فاسبكه فإنّه ليس في سبايك الذهب ونقار الفضّة شيء من الزكاة».

والثمار، وما لا يراعي فيه الحول الأجناس الأربعة من الغلّات والثمار.

فشرائط ما يراعي فيه الحول على ضربين: **أحدهما** يرجع إلى المكلّف، **والآخر** يرجع إلى الأجناس، فما يرجع إلى المكلّف على ضربين: **أحدهما** شرائط الوجوب، **الآخر** شرائط الضمان، فشرائط الوجوب إثنان: الحريّة وكمال العقل، فالحريّة شرط في الأجناس الخمسة كلّها، وكمال العقل شرط فيما عدا المواشي من الأثمان، لأنّ من ليس بكامل العقل من الصبيان والمجانين يجب في مواشيهم الزكاة(١٥٨)،

ومنها: معتبرة جميل بن درّاج، عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام أنّه قال:

«ليس في التبر زكاة إنّما هي على الدنانير والدراهم».

(وسائل الشيعة ج٦ كتاب الزكاة، أبواب زكاة الذهب والفضّة، الباب الثامن، الحديث ٢ و ٥).

ومنها: صحيحة رفاعة النخّاس قال: سأل رجل أبا عبدالله عليه السلام فقال: إنّي رجل صائغ أعمل بيدي وإنّه يجتمع عندي الخمسة والعشرة، ففيها زكاة؟ فقال:

«إذا اجتمع مائتا درهم فحال عليها الحول فإنّ عليها الزكاة» المصدر الباب ٢، الحديث ٢.

ومنها: صحيحة زرارة عن الباقر عليه السلام في نفس المصدر الباب ٦، الحديث ١ وغيرها، فراجع.

(١٥٨) قوله:

والمجانين يجب في مواشيهم الزكاة، وقوله في ما بعد: لأنّ غلّات من ليس بكامل العقل تجب فيها الزكاة.

أقول: ما أفتىٰ به السيّد المؤلّف رحمه الله خلاف إطلاق الروايات، والله العالم، منها:

صحيحة محمّد بن مسلم عن الصادق عليه السلام قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: هل على مال اليتيم زكاة؟ قال:

وشرائط الضمان إثنان: الإسلام وإمكان الأداء.

وما يرجع إلى الأجناس فشرطه إثنان؛ حؤل الحول وبلوغ النصاب.

وما لا يراعى فيه الحول فشرطه إثنان: أحدهما يرجع إلى مَن تجب عليه، والثاني يرجع إلى الأجناس، فما يرجع إلى من تجب عليه الحريّة فقط، لأنّ غلّات من ليس بكامل العقل تجب فيها الزكاة، وليس في مال من ليس بكامل العقل شرط الضمان، وما يرجع يرجع إلى الأجناس شرط واحد وهو بلوغ النصاب.

وهاهنا أبحاث وأحكام مختلفة بالنسبة إلى كلّ واحدة من هذه الأقسام، وليس هذا المكان محتاج إلى أكثر من ذلك، والله أعلم وأحكم.

➲ «لا، إلّا أن يتّجر به أو تعمل به».

ومنها: معتبرة عبد الرحمان بن الحجّاج، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: امرأة من أهلنا مختلطة أعليها زكاة؟ فقال:

«إن كان عمل به فعليها زكاة، وإن لم يعمل به فلا».

(راجع وسائل الشيعة كتاب الزكاة الباب ٢ و ٣ من أبواب من تجب عليه الزكاة).

وأمّا زكاة أهل الطريقة

فالزكاة عندهم بعد قيامهم بالزكاة المذكورة إذا وجبت عليهم تزكية النفس عن رذيلة البخل وتطهير القلب عن قذارة الشحّ المشار إليه في قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ﴾ [الحشر:٩].

وإلى كثرة ثمراتها ونماءها وبركاتها من العلوم والحقائق والمعارف والدقائق، بعد ذلك أشار وقال:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١].

وبيان ذلك مفصّلاً، وهو أنّ السالك إذا أخرج من قلبه صفة البخل والشحّ، وأنبت موضعه صفة البذل والسخاوة، حصل من هذا أوصاف أُخر لا يمكن حصر شعبها وسنابلها من المعارف والحقائق، وأقلّها الفلاح والنجاة من الأوصاف الرذيلة والأخلاق المذمومة التي هي الموجبة للدخول في الجحيم المعنويّة دون الصوريّة، لأنّ الصوريّة لا يكون إلّا بعد

المعنويّة، لأنّ الجحيم ومراتبها بحسب الملكات والأخلاق وتمثيله بالحبّة والسنبلة للمناسبة، لأنّ كلّ صفة اتّصف بها السالك محمودة كانت أو مذمومة يحصل منها أوصاف أُخر يطول حصرها كالحبّة فإنّ الحبّة الواحدة تقع في الأرض ونبت منها سنبلات متعدّدة في كلّ سنبلة كذا وكذا من الحبّة، لقوله:

﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة:٢٦١].

وهذا أمر حسّيّ مشاهد لا ينكره عاقل، «وله المثل الأعلى».

وبالنسبة إلى زكاة الماليّة قيل:

«إنّما سرّ التكليف بها بعدما يرتبط بها من مصالح البلاد والعباد وسدّ الخلاف والفاقات، لأنّ المال محبوب الخلق وهم مأمورون بحبّ الله ومدّعون للحبّ بنفس الإيمان، فجعل المال معياراً لحبّهم وامتحاناً لصدقهم في دعواهم، فإنّ المحبوبات كلّها تبذل لأجل المحبوب الأغلب حبّه على القلب».

وقيل أيضاً: «يجب على المعطي أن يحذر من المنّ بها على قابلها، وحقيقة المنّ أن ترى نفسك محسناً إلى الفقير متفضّلاً، وعلامته أن تتوقّع منه شكراً وتستنكر تقصيره في حقّك وموالاته عدوّك استنكاراً يزيد على ما كان قبل الصدقة، فذلك يدلّ على أنّك رأيت لنفسك عليه فضلاً، ولهذا قال تعالى:

﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة:٢٦٤].

وعلاج ذلك وهو أن تعرف أنّه المحسن إليك بقبول حقّ الله تعالى

منك، فإنّ من أسرار الزكاة تطهير القلب وتزكيته عن رذيلة البخل وخبث الشحّ، فإذا طهّرته من هذا وجعلته موصوفاً بالعجب، والكبر وإيذاء الغير فكأنّك ما طهّرته من شيء بل زدت خباثته ونجاسته نعوذ بالله منه، ولذلك كانت الزكاة طهرة، إذ بها تحصل الطهارة وكأنّها غُسالة نجاسة من باطن فاعلها، ومن هذا يترفّع رسول الله صلّى الله عليه وآله وأهل بيته من أخذ الزكاة وقال:

«إنّها أوساخ أموال الناس»(١٥٩).

فإذا أخذ منك الفقير ما هو طهرة لك فله الفضل عليك».

أرأيت لو أنّ فصّاداً فصدك وأخرج من باطنك الدّم الذي تخشى

---

(١٥٩) قوله: إنّها أوساخ أموال الناس.

روى الكليني بإسناده عن سليم بن قيس قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

«نحن والله الذين عنى الله بذي القربى، الذين قرنهم الله بنفسه ونبيّه صلى الله عليه وآله، فقال:

﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين﴾ الحشر: ٧.

منّا خاصّة ولم يجعل لنا سهماً في الصدقة، أكرم الله وأكرمنا أن يُطعمنا أوساخ ما في أيدي الناس».

(الكافي ج١ باب الفيء والأنفال الحديث ١، ص٥٣٩).

وفي «دعائم الإسلام» وأيضاً في مستدرك الوسائل: عن جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لا تحلّ الصدقة لي ولا لأهل بيتي، إنّ الصدقة أوساخ أموال الناس». فقيل لأبي عبدالله: الزكاة التي يخرجها الناس من ذلك؟ قال: «نعم».

(دعائم الإسلام ج١ ص٢٥٩، مستدرك الوسائل ج٧ ص١١٨).

ضرره في الحياة الدُّنيا أكان لك الفضل أم له؟ فالذي يخرج من باطنك رذيلة البخل وضررها في الحياة الأُخرى فهو أولى بأن تراه متفضِّلاً، هذا بحسب الظاهر.

وأمّا **بحسب الباطن** فحيث إنّ أهل الطريقة ليس لهم مالاً حتّى به يخرجون زكاتهم، فزكاتهم تكون بإخراج ما يزكّي نفوسهم من الأخلاق الذميمة والملكات الرديّة ثمّ بإنفاق أحبّ الأشياء إليهم في سبيل الله ومرضاته الذي هو النفس لقوله تعالى:

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢].

ومعلوم أنّ أحبّ الأشياء إلى الإنسان وبل إلى جميع الحيوان روحه ونفسه، فيجب حينئذٍ إنفاقه في سبيل الله حتّى تحصل له التزكية الحقيقيّة والطهارة الكلّية المذكورة، ويصدق عليه أنّه أدّى الزكاة حقيقة لقوله تعالى أيضاً:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [آل عمران:١٦٩ ـ ١٧٠].

(أجر من قُتل في سبيل الله)

ومعناه لا ينبغي أن تحسب أنّ من قتل في سبيل الله صورة أو معنىً أنّه عُدم وماله من أجر فإنّه ليس كذلك، بل لصاحب القتل الصوري أجرٌ ونصيب في الآخرة من الجنّة والنعيم والقصور والقُرب والكرامة، ولصاحب القتل المعنوي كذلك، لأنّ له في الدُّنيا المعارف والحقائق وحسن الأخلاق وطيب العيش والمكاشفات والمشاهدات والإطّلاع على

حقائق عالم الملكوت والجبروت، وعلى الجملة مشاهدة الحقّ تعالىٰ في مظاهره الآفاقيّة والأنفسيّة التي هي أعلى المشاهدات، وفي الآخرة الجنّة والنعيم والقصور والقرب والكرامة المذكورة، وفوق ذلك كلّه الوصول إلى المحبوب والمقصود وحصول «ما لا عينٌ رأت ولا أُذن سمعت ولا خطَرَ على قلب بشر» كما أخبر عنه أيضاً:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤ و ٥٥].

وقوله جلّ ذكره:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

إشارة إلى مجموع ما ذكرنا في هذا الباب وسيّما إلى تعيين البرّ وتحقيقه الذي هو المقصود في هذا المقام، هذا وجه من الوجوه التي فيه.

ووجه آخر وهو أنّ الزكاة بحسب الشرع يترتّب على المواليد الثلاث من المعدن والنبات والحيوان، لأنّ الذهب والفضّة من المعدنيّات، والحنطة والشعير والتمر والزبيب من النباتات، والإبل والبقر والغنم وغيرها من الحيوان، وقد قال النبيّ ﷺ:

«لكلّ شيءٍ زكاة وزكاة البدن الطاعة»(١٦٠).

فكلّ عبد قام بطاعة ربّه على ما أُمر به فقد أدّى الزكاة على الترتيب المذكور وحصل له التزكية الحقيقيّة كما ذكرناه، لأنّ في المطابقة قد تقرّر: أنّ عظامه الكبار والصغار بمثابة المعادن، وأنّ شعره وظفره وما شاكل ذلك بمثابة النبات، وأنّ نفسه الحيوانيّة وحواسّه الظاهرة والباطنة بمثابة الحيوان، فكلّ من يقوم بطاعة ربّه لابدّ وأن يحصل لجوارحه وأعضاءه وأركانه المشتملة على المراتب الثلاثة تعب ونصب، وهذا التعب والنصب هي الزكاة عند التحقيق.

وثمرة ذلك في الدُّنيا أنّه إذا عمل هذا وطهر من الرجس والرّجز، وارتفع عند الكدورات الطبيعيّة والرذائل الخلقيّة بحكم قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدّثر:١ ـ ٥].

وبمقتضى إشارته:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:٧ و ٨].

---

(١٦٠) قوله: لكلّ شيءٍ زكاة.

عن رسول الله ﷺ قال:

«لكلّ شيء زكاة، وزكاة الجسد الصوم».

(كنز العمّال ج٨ ص٤٤٤ الحديث ٢٣٥٧٢).

وقال أمير المؤمنين ﵇:

«لكلّ شيء زكاة، وزكاة البدن الصيام» (نهج البلاغة الحكمة ١٣٦).

وفي «غرر الحكم»: «زكاة البدن الجهاد والصيام» (آمدى) ج٤ ص١٦٤٠ الرقم ٥٤٥٢.

صارت مرآة قلبه مجلوّة، وظهرت فيها أنوار ملكوتيّة وآثار جبروتيّة، وبل صارت من سكّانهما وأهاليهما اللّواتي هي العقول المجرّدة والنفوس المطهّرة المعبّرة في الشرع بالملائكة المقرّبين المشار إليها بالملأ الأعلى، ومن هذا كان الرسولﷺ يقول دائماً في دعائه ومناجاته:

«اللّهمّ اجعل لي نوراً في قلبي ونوراً في سمعي ونوراً في بصري ونوراً في لحمي ونوراً في دمي ونوراً في عظامي ونوراً من بين يدي ونوراً من خلفي ونوراً عن يميني ونوراً عن شمالي ونوراً من فوقي ونوراً من تحتي ونوراً في قبري، اللّهمّ زدني نوراً واجعل لي نوراً بحقّ حقّك يا أرحم الراحمين».

والحكمة في هذا أنّه يزول عنه الظلمة والكدورة والرجز والخبث والحدث ويحصل بإزائها النور والصفاء والطهارة والتزكية واللطف والخلق، وتصير بسببها من أهل الملكوت والجبروت بقوّة المناسبة ويحصل له ما حصل لهم من المشاهدات والمكاشفات، وهذا الدُّعاء قد سبق مرّة أُخرى حتّى لا يتوهّم متوهّم أنّه مكرّر من غير شعور، وهذا إرشاد لغيره وتعليم لأُمّته تحريضاً لهم على تحصيل هذه المقامات والمراتب، وإلّا النبيّ المعصومﷺ منزّه عن أمثال ذلك كما تقرّر في الأُصول عند علماء الظاهر وأهل البرهان، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

(مراتب الروح الإنساني ونفسه)

ويجوز أن يحمل ذلك على الأرواح الثلاثة دون الأجساد في صورة

الأعضاء، لأنّ في الإنسان روح معدنيّ وروح نباتيّ وروح حيوانيّ كما في الآفاق، فيحمل زكاة المواليد الثلاثة على هذه الثلاث بإخراج أوصافها الرديّة وأخلاقها الذميمة عن كلّ واحدة منها، وطهارتها بالذي بإزاء كلّ واحدة منها من الأخلاق والأوصاف، لأنّ الأرواح في الحقيقة حقيقة واحدة تتكثّر بحسب الإضافات والاعتبارات، لأنّ لها بحسب كلّ صفة تحصل لها بسبب النزول إلى عالم الطبيعة إسم، أعني من حيث تجرّدها وإطلاقها تسمّى نفساً إنسانيّة، ومن حيث تعلّقها بالبدن في أوّل الحال تسمّى نفساً نباتيّة، وفي ثاني الحال نفساً حيوانيّة، وفي المرتبة الثالثة نفساً نفسانيّة. وقد أخبر الشرع والقرآن عن هذه النفوس الأربعة بالأمّارة واللوّامة والمُلهمة والمطمئنّة، أمّا الأمّارة فلقوله تعالى:

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف:٥٣].

وأمّا اللوّامة، فلقوله تعالى:

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:١ و٢].

وأمّا الملهمة، فلقوله تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:٧ و٨].

وأمّا المطمئنّة، فلقوله تعالى:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر:٢٧ و٢٨].

وذلك لأنّ النفس في أوّل الحال لضعف قوّة العقل ومنعها عمّا يضرّها يكون أمّارة على البدن والقوىٰ وما يتعلّق بها، لكن إذا غلب عليها النفس اللوّامة بقوّة العقل ومنعها عن ملايماتها صارت لوّامة وقامت بملامتها

ورجعت عمّا كانت عليها، وإذا صارت هذه الملامة لها ملكة وثبتت عليها واستقرّت صارت ملهمة واستحقّت الإلهام من الله تعالى في أفعاله وأحواله وحصل لها الفرق بين حسنها وقبيحها، خيرها وشرّها، وإذا صارت هذه الحالة أيضاً مَلَكة لها وشاهدت بسببها عالم الغيب وصارت مستحقّة لمشاهدة ربّها صارت مطمئنّة وحصل لها الرجوع إلى عالمها لقوله تعالى:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

ونِعم الزكاة التي تكون ثمرتها هذه.

والله أعلم وأحكم، هذا زكاة أهل الطريقة.

وأمّا زكاة أهل الحقيقة

فالزكاة عندهم بعد القيام بالزكاتين المذكورين عبارة عن إخراج كلّ ما في الوجود عن درك تقييده وإيصاله إلى عالم الإطلاق ليزكّيه به عن رجس الغيريّة وخُبث الإثنيّة، لأنّ كلّ موجود يفرض وهو مطلق مع قيد شخصي بإضافة المطلق إلى المقيّد.

وأمّا كيفيّة الإخراج من قيد التقييد فبالنسبة إلى المواليد الثلاث أوّلاً يكون بإخراجها عن قيد التركيب وإيصالها إلى البساطة الصرفة التي هي مرتبة العناصر، وبالنسبة إلى العناصر يكون بإخراجها عن قيد البساطة والتشخيص العنصري وإيصالها إلى بساطة العوالم العلويّة من السماوات والأجرام، وبالنسبة إلى السماوات والأجرام يكون بإخراجها قيد السماوي والكوكبي وإيصالها إلى الجسم الكلّي الطبيعي، وبالنسبة إلى الجسم الكلّي يكون بإخراجها عن قيد الجسميّة وإيصالها إلى مرتبة الهيولى الكلّيّة، وبالنسبة إلى الهيولى الكلّيّة بإخراجها عن قيد الهيولاني وإيصالها إلى مرتبة الطبيعة الكلّيّة، وبالنسبة إلى الطبيعة يكون بإخراجها

عن قيد الطبيعة وإيصالها إلى مرتبة الأرواح البسيطة، وبالنسبة إلى الأرواح البسيطة يكون بإخراجها عن القيد الروحي وإيصالها إلى مرتبة الأرواح القدسيّة، ومن مرتبة الأرواح القدسيّة إلى مرتبة النفس الكلّية وعالم النفوس، ومن مرتبة النفوس الكلّية المعبّر عنها بالملكوت الأعلى إلى مرتبة العقول المجرّدة، ومن مرتبة العقول المجرّدة إلى مرتبة الحضرة الأحديّة والوجود المطلق المعبّر عنه بالحقّ تعالى جلّ ذكره.

فإنّ هذا الإخراج عن هذه القيود هي الطهارة الحقيقيّة والتزكيّة الكلّية بالنسبة إلى كلّ موجود من الموجودات الممكنة.

(مسير الكمال للإنسان)

وقد سبق أنّ كمال المعدن في وصوله إلى أُفق النبات، وكمال النبات في وصوله إلى مقام الحيوان، وكمال الحيوان في وصوله إلى مقام الإنسان، وكمال الإنسان في وصوله أوّلاً إلى مقام الملك، ثمّ إلى مقام الخلافة الإلهيّة، ثمّ إلى مقام الوحدة الصرفة المعبَّر عنه في قول العارف بالوصول الكلّي المشار إليه في قوله:

«إذا تمّ الفقر فهو الله».

وهذه الزكاة حيث يجعل الإنسان وبل الموجودات كلّها طاهراً مطهّراً من رجز التقييد ودنس التعيّن الذي هو الشرك الخفيّ المتقدّم ذكره، فهي الزكاة الحقيقيّة المقصودة بالذات، لأنّه ليس هناك طهارة أعظم من هذا، لأنّ طهارة الموجودات من قيد التقييد والإضافات أعظم الطهارات وأعلاها، وبل هي المقصود بالذات من تكليف العباد بإخراج الزكاة.

وفّقنا الله تعالى للقيام بها وبأمثالها، لأنّه المستعان وعليه التكلان، وحيث فرغنا من بحث الزكاة فلنشرع في بحث الحجّ على الترتيب المذكور وهو هذا:



وأمّا حجّ أهل الشريعة

فالحجّ عندهم من حيث اللغة: القصد، ومن حيث الإصطلاح الشرعي القصد إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك مخصوصة(١٦١) متعلّقة بوقتٍ

---

(١٦١) قوله: لأداء مناسك مخصوصة.

نَسَكَ الرّجل: تزهّد وتعبّد، الناسك ج نسّاك: العابد المتزهّد، لأنّه خلّص نفسه وصفّاها لله تعالى من دنس الآثام كالسبيكة المخلّصة من الخبث.

المناسك جمع منسك بفتح السين وكسرها، بمعنى محلّ العبادة وزمان العبادة، وبمعنى: العبادة والإطاعة والأعمال.

النسك بتثليث النون وسكون السّين وضمّها: العبادة.

قال سبحانه وتعالى: ﴿لكلّ أُمّة جعلنا منسكاً هم ناسكوه﴾ (الحج: ٦٧).

ولقوله تعالى: ﴿قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين﴾ (الأنعام: ١٦٢).

وأصله: الذبح، يقال: نَسَكتُ أي ذبحت، والنسيكة هي الذبيحة المتقرّب بها إلى الله تعالى، ثمّ اتّسعوا فيه حتّى جعلوه لموضع العبادة ونفس الأعمال والطاعة.

قال تعالى: ﴿ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ (البقرة: ١٩٦).

وقيل في النُسُك أيضاً: أصله التطهير، يقال: نسكت الثوب أي غسلته وطهّرته.

وسمّيت أمور الحجّ كلّها مناسك، أي مناسك الحجّ وهي أعمّ من أفعال الحجّ وتروكه

⬅ وشامل لهما، وأيضاً تشمل على أزمنة الحجّ وأمكنته، أزمنة الحجّ كأشهر الحجّ ويوم الوقوف وليلته ويوم النحر وأيّام التشريف ولياليه، وأمّا أمكنته كالبيت وحجر إسماعيل‌عليه‌السلام والحجر الأسود والمطاف والمقام والمسعىٰ وعرفات والمشعر ومنىٰ.
وتسمية أحكام الحجّ وأعماله به مأخوذة من القرآن الكريم، في قوله تعالى:
﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربّنا تقبّل منّا إنّك أنت السّميع العليم ربّنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرّيّتنا أمّةً مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنّك أنت التّوّاب الرّحيم﴾ البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٨.
وقوله تعالى:
﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله﴾ الآية (البقرة ٢٠٠).
وفي تسمية الحجّ وأحكامه بالمناسك حكمة، وهي أنّه للحاجّ في هذا العمل والعبادة والسفر نصيب من الطهارة والغفران، فلابدّ أن يتأمّل ويعرف قدر مناسكه وقيمتها، وجعله لله سبحانه خالصاً، وشرع عمله وأتمّه مع حضور القلب والتوجّه إلى الله تعالى، ويراقب نفسه وأعماله وأقواله وأفكاره ونيّاته في كلّ لحظة لحظة من سفره وسيره وفي كلّ موقف من مواقفه، حتّى يأثّر الحجّ في ارتقائه وصعوده إليه تعالى وقربه له سبحانه لكي يرزقه الله سبحانه وتعالى من المعرفة والولاية مرتبة ودرجة:
﴿إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه﴾ (فاطر: ١٠).
وهذا هو الأثر في العبادة والذكر كلّها وحكمة تشريعها، إذا وقعت قربة إلى الله تعالى ومع العرفان والخلوص.
والتقوى والطهارة والتذكية (كلّها حقيقة واحدة) آثار أشار إليها القرآن الكريم عند دعوته إلى الحجّ والصلاة والزكاة:
﴿يا أيّها الناس اعبدوا ربّكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلّكم تتّقون﴾ (البقرة: ٢١).
﴿وأقم الصلوة إنّ الصّلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ⬅

مخصوص.

وهو واجب ومندوب:

فالواجب على ضربين: مطلق ومقيّد. فالمطلق هو حجّة الإسلام(١٦٢)، وهي واجبة بشروط ثمانية:

البلوغ، وكمال العقل، والحريّة، والصحّة، ووجود الزاد والراحلة،

ما يصنعون﴾ (العنكبوت: ٤٥).

﴿يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلّكم تتّقون﴾ (البقرة: ١٨٣).

﴿خذ من أموالهم صدقة تطهّرهم وتزكّيهم بها﴾ (التوبة: ١٠٣).

﴿الحجّ أشهر معلومات فمن فرض فيهنّ الحجّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الحجّ وما تفعلوا من خير يعلمه اللهُ وتزوّدوا فإنَّ خيْرَ الزَّادِ التَّقْوى واتَّقُونِ يا أُوْلِي الألْبابِ﴾ (البقرة: ١٩٧).

(١٦٢) قوله: فالمطلق هو حجّة الإسلام.

الحجّ الواجب المطلق هو الذي بُني الإسلام عليه فهو واحد من دعائم الإسلام كما ورد في الأحاديث:

قال الباقر عليه السلام:

«بُني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحجّ والولاية، ولم ينادِ بشيء كما نُودي بالولاية».

وعن زرارة، عن الباقر عليه السلام قال:

«بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحجّ والصوم والولاية».

قال زرارة: فقلت: وأيّ شيء من ذلك أفضل؟ فقال:

«الولاية أفضل؛ لأنّها مفتاحهنّ والوالي هو الدليل عليهنّ».

(الأصول من الكافي ج ٢ باب دعائم الإسلام الحديث ١٩٥).

وراجع أيضاً الجزء الثالث من «تفسير المحيط الأعظم» ج ٣ ص ٥٥٩، التعليق ٢٤٢.

والرجوع إلى كفاية[١٦٣] من المال أو الصناعة أو الحرفة، وتخلية السرب من الموانع، وإمكان المسير، ومتى اختلّ واحد من هذه الشروط سقط الوجوب ولم يسقط الاستحباب. ومن شروط صحّة أدائها الإسلام وكمال العقل، وعند تكامل الشروط تجب في العمر مرّة واحدة وما زاد عليها فمستحبّ، ووجوبه على الفور دون التراخي[١٦٤].

---

(١٦٣) قوله: والرجوع إلى كفاية.

المهم هو أن لا يقع بعد الرجوع في المشقّة والحرج، ولا يقع عياله أيضاً في الحرج مدّة الذهاب والإياب، لأنّ الحرج منفي في الإسلام، إذن الدليل هو أدلّة نفي الحرج، والتفصيل في محلّه.

(١٦٤) قوله: وجوبه على الفور دون التراخي.

أقول: الحجّ الذي يسمّى بحجّة الإسلام، وجوبه فوريّ عندما تحقّقت الشرائط وحصلت الاستطاعة، بمعنى أنّه تجب المبادرة إلى الحجّ في نفس سنة الاستطاعة، بمعنى أنّه تجب المبادرة إلى الحجّ في نفس سنة الاستطاعة والتمكّن، وإن تركه فيها ففي العام القادم وهكذا.

والتأخير الّذي ينتهي إلى الترك، إن كان بسبب الاستخفاف بالحجّ، فهو معصية كبيرة.

يدلّ على ما ذكرنا جملة من الأخبار الصحيحة وجمعها، وأخبار الباب تفسّر بعضها البعض فدقّق، والله العالم.

راجع وسائل الشيعة، كتاب الحجّ، الباب ٦، من أبواب وجوب الحجّ وشرائطه، وأيضاً عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ الباب ٣٥، ص١٢١، الحديث ١. وأيضاً الخصال ج٢، ص٦٠٣، باب الواحد إلى المائة، (خصال من شرائع الدّين)، الحديث ٩.

فيما يلي بعض تلك الأخبار:

عن الصادق عليه السلام قال:

«قال تعالى: ﴿ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ (آل عمران: ٩٧).

وأمّا المقيّد فهو يجب عند سبب، وذلك ما يجب بالنذر أو العهد، وهو بحسبهما إن كان واحداً فواحداً وإن كان أكثر فأكثر، ولا يتداخل الفرضان، وإذا اجتمعا لا يجزي أحدهما عن الآخر، وقد روي: أنّه إذا حجّ بنيّة النذر أجزأ عن حجّة الإسلام، والأوّل أحوط[١٦٥].

⮌ قال: هذه لمن كان عنده مال وصحّة، وإن كان سوّفه للتجارة فلا يسعه، وإن مات على ذلك فقد ترك شريعة من شرائع الإسلام إذا هو يجد ما يحجّ به...» الحديث.

وسُئل ﷺ عن رجل له مال ولم يحجّ قطّ؟ قال:

هو ممّن قال تعالى: ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (طه: ١٢٤).

وقال ﷺ أيضاً في الآية المذكورة:

«ذلك الذي يسوّف نفسه الحجّ، يعني حجّة الإسلام، حتّى يأتيه الموت».

وقال ﷺ: «نزلت في من سوّف الحجّ حجّة الإسلام، وعنده ما يحجّ به، فقال: العام أحُجّ، العام أحُجّ، حتّى يموت قبل أن يحجّ».

(١٦٥) قوله: ولا يتداخل الفرضان.

التحقيق أنّ المدار إطلاق النذر من قِبل الناذر وعدمه، صرّح بالإطلاق أم لا.

فإذا كان قصده في النذر مطلق طبيعة الحجّ وإيجادها، فإذن إذا أتىٰ بالحجّ وقصد به حجّة الإسلام فيكفيه عن المنذور أيضاً؛ لأنّه يصدق عليه متعلّق النذر، فإنّ النذر هو التزام المكلّف بشيء.

وظاهر صحيحتا محمّد بن مسلم ورفاعة بن موسىٰ، عن الباقر والصادق ﵉، حين سألا عن رجل نذر أن يمشي إلى بيت الله الحرام فمشىٰ، هل يجزيه عن حجّة الإسلام، قال: «نعم».

ظاهر ما قالا ﵉ ما ذكرنا، لأنّ ظاهرهما يقتضي كفاية قصد حجّ النذري عن حجّة الإسلام، والظاهر من المشي فيهما: الذهاب إلى الحجّ مطلقاً.

فإذن حجّة الإسلام يكفي عن الحجّ النذري، والحجّ النذري أيضاً يكفي عن حجّة الإسلام إذا كان قصده من النذر طبيعة الحجّ.

ولا ينعقد النذر به إلّا من كـامل العـقل، الحـرّ، ولا يُـراعـىٰ بـاقي الشروط.

وأمّا أقسامه

فالحجّ على ثلاثة أضرب: تمتّع وقران وإفراد، **فالتمتّع** هو فرض من لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام، **والإفراد والقران** فرض من كان حاضريه، وحدّه من كان بينه وبين المسجد الحرام اثنا عشر ميلاً من أربع جوانب البيت، أعني أربع فراسخ لأنّ كلّ فرسخ ثلاثة أميال وكـلّ ميل أربعة آلاف أذرع (ذراع) وكلّ أذرع أربعة وعشرون إصبعاً فـيكون المجموع أربعة فراسخ.

وأمّا أفعاله، فأفـعال الحـجّ عـلى ضـربين: مـفروض ومسـنون. والمفروض على ضربين: ركن وغـير ركـن فـي الأنـواع الثـلاثة التـي ذكرناها.

فأركان التمتّع عشرة، أربعة منها للعمرة، وستّة للحجّ.

أمّا التي للعمرة:

النيّة، والإحرام من الميقات في وقته، وطواف العمرة، والسعي بـين الصفا والمروة.

وأمّا التي للحجّ:

فالنيّة، والإحرام بـالحجّ، والوقـوف بـعرفات، والوقـوف بـالمشعر، وطواف الحجّ، والسعي للحجّ.

وما ليس بركن فثمانية أشياء: التلبيات الأربع مع الإمكـان أو مـا

يقوم مقامها مع العجز، وركعتا طواف العمرة، والتقصير بعد السعي، والتلبية عند الإحرام بالحجّ أو ما يقوم مقامها، والهَدي أو ما يقوم مقامه من الصوم مع العجز، وركعتا طواف الحجّ، وطواف النساء، وركعتا الطواف له.

وأمّا أركان القارن والمُفرِد، فستّة:

النيّة، والإحرام، والوقوف بعرفات، والوقوف بالمشعر، وطواف الزيارة، والسعي.

وما ليس بركن فيهما أربعة أشياء:

التلبية أو ما يقوم مقامها من تقليد أو إشعار، وركعتا طواف الزيارة، وطواف النساء، وركعتا الطواف له. ويتميّز القارن من المُفرد بسياق الهدي.

ويستحبّ لهما تجديد التلبية عند كلّ طواف.

وأمّا المسنونات، فتلك كثيرة تعرف من مظانّها.

والسلام على من اتّبع الهدى، هذا حجّ أهل الشريعة(١٦٦) على طريقة أهل البيت عليهم السلام.

---

(١٦٦) قوله: هذا حجّ أهل الشريعة.

هذا لا بمعنى أنّ أهل الطريقة والحقيقة لا يعملون ولا يعتقدون بهذا الحجّ، بل المراد: أنّ هذه المرتبة من الحجّ فقهيّة ومطابقة لظاهر الشرع المقدّس، وهو حجّ يتحقّق بالبدن مع قصد القربة، ويسقط به التكليف الشرع الظاهري.

ومعلوم أنّ أهل الطريقة والحقيقة أكثر اعتناءاً وعنايةً من غيرهم بالنسبة إلى هذا الحجّ وأعماله، لأنّه وسيلة ومن أسباب الوصول إلى الحجّ الذي يريدونه في سلوكهم، أي الحجّ في المراتب العالية، أعني الحجّ القلبي.

وأمّا حجّ أهل الطريقة

(الحجّ القلبي)

بعد القيام بالحجّ المذكور والاعتقاد فيه، فهو القصد إلى بيت الله الحقيقيّة والكعبة المعنويّة بحسب السير والسلوك.

ولبيت الله عندهم اعتبارات (إعتبارين):

اعتبار في الآفاق، واعتبار في الأنفس:

أمّا الآفاق فهو عبارة عن قلب الإنسان الكبير المسمّى بالنفس الكلّية، والبيت المعمور، واللوح المحفوظ.

وأمّا الأنفس، فهو عبارة عن قلب الإنسان الصغير المسمّى بالفؤاد والصدر والنفس الناطقة الجزئيّة، وغير ذلك من الأسماء الواردة فيهما، كما سبق ذكرهما في المقدّمة الثانية.

والأوّل يتعلّق بأهل الحقيقة لأنّه قبلتهم، والثاني يتعلّق بأهل الطريقة فإنّه أيضاً قبلتهم.

وأمّا أهل الحقيقة وكيفيّة قصدهم وتوجّههم إلى قبلتهم فستعرفها بعد هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(قبلة أهل الطريقة وتوجّههم إليه)

وأمّا أهل الطريقة وكيفيّة قصدهم وتوجّههم إلى قبلتهم التي هي قلبهم فهي موقوفة على تقرير مقدّمة، وهي أنّه ورد في الخبر: إنّ أوّل بيت مدّت على الماء وظهرت على وجهه، كانت الكعبة قبل الأرض وما عليها من البيوت، وهو قوله ﷺ:

«الكعبة أوّل بيت ظهرت على وجه الماء[١٦٧] عند خلق السماء الذي خلقه الله قبل الأرض بألفي عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الأرض تحته».

وقد شهد بصحّة ذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ ۞ فِيهِ

---

(١٦٧) قوله: الكعبة أوّل بيت ظهرت على وجه الأرض.

روى الكليني بإسناده عن محمّد بن عمران العجلي قال: قلت لأبي عبدالله ؑ: أيّ شيء كان موضع البيت حيث كان الماء في قول الله عزّوجلّ: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ (هود: ٩) قال: «كان مهاة بيضاء يعني درّة».

وروى أيضاً بإسناده عن الباقر ؑ قال:

«لمّا أراد الله عزّوجلّ أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربن وجه الماء حتّى صار موجاً، ثمّ أزبد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت، ثمّ جعله جبلاً من زبد، ثمّ دحى الأرض من تحته، وهو قول الله عزّوجلّ: ﴿إنّ أوّل بيت وضع للناس للذي ببكّة مباركاً﴾ (آل عمران: ٩٥).

(فروع الكافي ج ٤ باب أنّ أوّل ما خلق الله من الأرضين موضع البيت، الحديث ١ و ٧ ص ٩ و ١٨٨).

آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» [آل عمران:٩٦ـ٩٧].

والمراد من إيراد هذا الخبر والآية، أنّك تعرف أنّ هناك **كعبة صوريّة وكعبة معنويّة**، وكلّ واحدة منهما تنقسم إلى قسمين:

أمّا الصوريّة، فقسم منها المسجد الصوري المسمّى ببيت الله الحرام، وقسم آخر القلب الصوري المسمّى أيضاً ببيت الله الحرام.

وأمّا المعنويّة، فقسم منها **قلب الإنسان الكبير** المعبّر عنه بالنفس الكلّية.

وقسم آخر **قلب الإنسان الصغير** المعبّر عنه بالنفس الناطقة الجزئيّة، فكما يصدق الخبر والآية من حيث التطبيق على القسمين الأوّلين، كذلك يصدق القسمين الأخيرين، لأنّ أوّل حقيقة ظهرت في العالم الروحاني من روح الإنسان الكبير المعبّر عنه بـ: أوّل ما خلق الله الروح، أو العقل(١٦٨)، كانت قلبه الحقيقيّ المعبّر عنه بالنفس الكلّية لقوله تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء:١].

كما أنّ أوّل صورة ظهرت في العالم الجسمانيّ المعبّر عنه بالأرض كانت صورة الكعبة الصوريّة، لقوله تعالى:

---

(١٦٨) قوله: أوّل ما خلق الله الروح أو العقل.

رواه الصدوق في «الفقيه» ج ٤ ص٢٦٧، باب النوادر، الحديث ١.

وراجع «تفسير المحيط الأعظم» ج١ ص٣١٥ و ٣١٧ وأيضاً ج٣ ص٩٣.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل‌عمران:٩٦].

وأوّل حقيقة ظهرت في العالم الروحاني من روح الإنسان الصغير المعبّر عنه بقوله:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر:٢٩].

كانت قلبه الحقيقي المعبّر عنه بقوله:

«لا يسعني أرضي ولا سمائي، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»(١٦٩).

كما أنّ أوّل صورة ظهرت في العالم الجسماني المعبّر عنه بالبدن كانت صورة القلب الصوري المعبّر عنه بالصدر لقوله:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح:١].

فكما أنّ من الكعبة الصوريّة يستدلّ على الكعبة المعنويّة التي هي قلب الإنسان الكبير، فكذلك في الصورة القلبيّة يستدلّ على الكعبة المعنويّة التي هي قلب الإنسان الصغير بحكم قوله تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصّلت:٥٣].

وهذا بيان إجماليّ محتاج إلى بيان تفصيليّ وهو أن نقول:

---

(١٦٩) قوله: لا يسعني أرضي.

راجع تفسير المحيط الأعظم ج٣ ص٣١٢، وج٢ ص٥٥٣.

(الكعبة وقلب الإنسان)

إعلم أنّ قولهﷺ:

«الكعبة أوّل بيت ظهرت على وجه الماء عند خلق السماء» الحديث.

بالنسبة إلى الإنسان الكبير أوّل بيت، يكون نفسه الكلّية المسمّاة ببيت الله الأعظم، وظهورها على وجه الماء، يكون إشارة إلى العوالم الروحانيّة التي صدرت منها قبل العوالم الجسمانيّة، فإنّ كلّ شيء يكون فوق شيء يكون هو عليه، ولا شكّ أنّ النفس الكلّية فوق النفوس الجزئيّة والعوالم الروحانيّة فتكون هي عليهما، وقوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود:٧].

هذا معناه أيضاً، يعني كان العرش قبل خلق السماوات والأرض (أرض) الجسمانيّات على الروحانيّات من العقول والنفوس، إن أردنا بالعرش العرش المعنوي الذي هو العقل الأوّل، وإن أراد بالعرش العرش الصوري الذي هو الفلك الأعظم الأطلس أعني التاسع، يكون المراد بالماء الماء الصوري على قول بعض المفسّرين، لأنّهم قالوا: إنّ بين العرش والماء حيث لم يكن في أوّل الحال حائل يجوز أن يُقال إنّه عليه، وهذا ما في قول البيضاوي(١٧٠) هذا وجه.

---

(١٧٠) قوله: في قول البيضاوي.

(في أنّ الماء هو العلم)

ووجه آخر: أنّ الماء هو العلم الإلهي(١٧١) الأزليّ الذي عليه كلّ

قاله البيضاوي في تفسيره ج٢ ص٢٥٣ في تفسير قوله تعالى:

﴿وكان عرشه على الماء﴾ (سورة هود: ٧)، قال:

«قبل خلقهما (أي العرش والماء) لم يكن حائل بينهما لأنّه كان موضوعاً على متن الماء، وقيل: كان الماء على متن الماء، وقيل: كان الماء على متن الريح».

(١٧١) قوله: إنّ الماء هو العلم الإلهي.

العالم مظهر الحكمة والعلم، قال سبحانه وتعالى:

﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (الملك: ١٤).

قال الإمام الباقر عليه السلام:

«إنّ الله عزّوجلّ ابتدع الأشياء كلّها بعلمه على غير مثال كان قبله... لقوله تعالى: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ (هود: ٧).

(الكافي ج١ ص٢٥٦، باب نادر فيه ذكر الغيب).

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنّ لله نهراً دون عرشه ودون النهر الذي دون عرشه نورٌ نوّره، وإنّ في حافّتي النهر روحين مخلوقين: روح القُدس، وروحٌ من أمره» (الكافي ج١ ص٣٨٩ باب خلق أبدان الأئمّة الحديث ٣).

قيل: كأنّه عليه السلام شبّه علم الأنبياء عليهم السلام بالنهر لمناسبة ما بينهما في كون أحدهما مادّة حياة الروح، والآخر مادّة حياة الجسم. (بحار الأنوار ج٦١ ص٤٨).

قال القيصري: وإنّما شبّه العلم بالماء لكونه سبب حياة الأرواح كما أنّ الماء سبب حياة الأشباح، ولذلك يعبّر الماء بالعلم، وفسّر ابن عبّاس ﴿وأنزلنا من السماء ماءً﴾ بالعلم. (شرح فصول الحكم ص٢٤٥).

قال الطبرسي في «مجمع البيان» في قوله تعالى:

﴿وَ أَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾ (الجنّ: ١٦).

عن بريد العجلي، عن أبي عبدالله الصادق﵇ قال:

«معناه لأفدناهم علماً كثيراً يتعلّمونه من الأئمّة ﵈».

قال محيي الدّين العربي في تفسير الآية:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٥).

«الرحمن» أي ربّك الجليل المحتجب بحجب المخلوقات لجلاله، وهو الجميل المتجلّي بجمال رحمته على الكلّ. إذ لا يخلو شيء من الرحمة الرحمانيّة، وإلّا لم يوجد، ولهذا اختصّ الرحمن به دون الرحيم، لامتناع عموم الفيض للكلّ إلّا منه، فكما استوى على العرش وجود الكلّ بظهور الصفة الرحمانيّة فيه وظهور أثرها، أي الفيض العام منه إلى جميع الموجودات، فكذا استوى على عرش قلبك بظهور جميع صفاته فيه، ووصول أثرها منه إلى جميع الخلائق، فصرت رحمةً للعالمين وصارت نبوّتك عامّة خاتمة. انتهى

(تفسير القرآن الكريم لمحيي الدّين ج٢ ص٣٢).

أقول: وانظر إلى الآية والحديثين التاليين كيف بيّن الله تعالى بأنّهم مظهر رحمة الله الواسعة وحملة عرش الله وعلمه.

﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربّنا وسعت كلّ شيءٍ رحمة وعلماً﴾ (غافر: ٧).

روى الكليني بإسناده عن سدير الصيرفي قال: سمعت حمران بن أعين يسأل أبا جعفر﵇ عن قول الله عزّوجلّ:

﴿بديع السماوات والأرض﴾ (الأنعام: ١٠١).

قال أبو جعفر﵇: إنّ الله عزّوجلّ ابتدع الأشياء كلّها بعلمه على غير مثال كان قبله، فابتدع السماوات والأرضين ولم يكن قبلهنّ سماوات ولا أرضون، أما تسمع لقوله تعالى:

شيء من حيث الثبوت فيها دائماً أبداً، وتخصيصه بالعرش يكون لعظمته، أعني إذا كان قيام العظيم وبقاؤه به فالصغير بطريق الأولى، هذا وجه وجيه بل أوجه من الوجوه المذكورة، وقد بسطنا الكلام في هذا عند قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥].

﴿وكان عرشه على الماء﴾ (هود: ٩).
فقال له حمران: أرأيت قوله جلّ ذكره:
﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾ (الجنّ: ٢٧).
فقال أبو جعفر عليه السلام:
﴿إلّا من ارتضى من رسول﴾ (الجنّ: ٢٨).
وكان والله محمّد ممّن ارتضاه.
وأمّا قوله: ﴿عالم الغيب﴾ فإنّ الله عزّوجلّ بما غاب عن خلقه فيما يقدّر من شيء، ويقضيه في علمه قبل أن يخلقه، وقبل أن يُفيضه إلى الملائكة، فذلك يا حمران! علمٌ موقوفٌ عنده، إليه فيه المشيئة، فيقضيه إذا أراد، ويبدو له فيه فلا يمضيه، وأمّا العلم الذي يقدّره الله عزّوجلّ فيقضيه ويمضيه فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله ٩ ثمّ إلينا».
(الكافي ج١ باب نادر فيه ذكر الغيب ص٢٥٦، الحديث ١).
وروى مثله المجلسي عن «بصائر الدرجات» في البحار ج٢٦، ص١٦٥ الحديث ٢٠.
وقال الصادق عليه السلام في قوله تعالى:
﴿وكان عرشه على الماء﴾
«إنّ الله عزّوجلّ حمل علمه ودينه الماء قبل أن تكون أرض أو سماء أو جنّ أو إنس أو شمس أو قمر، فلمّا أراد أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم: مَن ربّكم؟ فكان أوّل من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة صلوات الله عليهم، فقالوا: أنت ربّنا، فحمّلهم العلم والدِّين، ثمّ قال للملائكة: هؤلاء حملة علمي وديني وأُمنائي في خلقي وهم المسؤولون» (التوحيد: ٣١٩).

والغرض أنّا إذا فرضنا هذا الماء الذي عليه العرش نطفة الإنسان الكبير من حيث الصورة كما هو مقرّر عند أهل الله فيكون الماء بمعنى الماء الصوري، ويكون ظهورها عليه بمعنى تعلّقها بالنطفة التي يوجد منها صورة العالم بأسرها. فإنّ أهل الشرع قد اتّفقوا على أنّ ابتداء العالم كان من الماء بحكم حديث ورد عن النبيّ ﷺ في هذا الباب وهو قوله:

«أوّلِ ما خلق الله جوهرة(١٧٢) فنظر إليها فذابت حياءً أو قهراً (على

---

(١٧٢) قوله: أوّل ما خلق الله جوهرة.

روى المجلسي رحمه الله عن كتاب «الأنوار في مولد النبيّ ﷺ» للشيخ أبو الحسن البكريّ، في حديث طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال:

«كان الله ولا شيء معه، فأوّل ما خلق نور محمّد ﷺ قبل خلق الماء والعرش والكرسيّ والسماوات والأرض واللوح والقلم والجنّة والنار والملائكة وآدم وحوّاء بأربعة وعشرين وأربعمائة ألف عام، إلى أن قال: ثمّ خلق من نور محمّد ﷺ جوهرة، وقسّمها قسمين: فنظر إلى القسم الأوّل بعين الهيبة فصار ماءً عذباً، ونظر إلى القسم الثاني بعين الشفقة فخلق منها العرش فاستوى على وجه الماء، فخلق الكرسيّ من نور العرش، وخلق من نور الكرسيّ اللوح، وخلق من نور اللوح القلم... إلى أن قال: ثمّ نظر إلى باقي الجوهرة بعين الهيبة فذابت، فخلق من دخانها السماوات، ومن زبدها الأرضين» الحديث.

(بحار الأنوار ج١٥ ص٢٧).

أقول: تختلف تعبيرات الأخبار في أوّل الخلق، ولكن الظاهر منها هو أنّ المراد من الكلّ شيء واحد، ويظهر هذا بعد التأمّل فيها وجمعها وبعد جعل بعضها تفسيراً لبعض الآخر. نذكر طرفاً من تلك الأخبار في المقام تعميماً للفائدة:

١ ـ روى الصدوق بإسناده عن جابر الجعفي، قال: جاء رجل من علماء أهل الشام إلى أبي جعفر عليه السلام فقال: أسألك ما أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ من خلقه؟ فإنّ بعض من سألته

قال: القدرة، وقال بعضهم: العلم، وقال بعضهم الروح، فقال الباقر عليه السلام:

ما قالوا شيئاً، أخبرك أنّ الله علا ذكره كان ولا شيء غيره عزيزاً ولا عزّ لأنّه كان قبل عزّه، وذلك قوله:

﴿سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون﴾ (الصافّات: ١٨٠).

وكان خالقاً ولا مخلوق، فأوّل شيء خلقه من خلقه الشيء الذي جمع الأشياء منه وهو الماء».

(التوحيد، باب التوحيد ونفي التشبيه، الحديث ٢٠ ص٦٦).

٢ـ روى الصدوق بإسناده، عن الإمام الباقر عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«إنّ أوّل خلق خلقه الله عزّوجلّ، العقل، فقال له: أقبل فأقبل، ثمّ قال له: أدبر فأدبر، فقال الله: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحبّ منك، بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب».

(من لا يحضره الفقيه ج٤ باب النوادر (١٧٦) الحديث ١، وحلية الأولياء ج٧ ص٣١٨، وإحياء علوم الدّين ج١، الباب ٧ في العقل، وشرحه ص ١٢١).

٣ـ أخرج أبو نعيم بإسناده عن ابن عبّاس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«أوّل كلّ شيء خلق الله القلم، فأمره فكتب كلّ شيء يكون».

(حلية الأولياء ج٨ ص١٨١).

٤ـ روى الصدوق بإسناده عن الصادق عليه السلام قال:

«إنّ أوّل ما خلق الله عزّوجلّ ما خلق منه كلّ شيء، (وهو) الماء».

(بحار الأنوار ج٥ ص ٢٤٠ الحديث ٢٣).

٥ـ روى ابن بابويه القمّي رحمه الله بإسناده في حديث طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«أوّل ما خلق الله تعالى، النور» (عيون أخبار الرضا ج١ الباب ٢٤ الحديث ١ ص٢٤١).

قال السيّد الداماد: «المعنيّ به الوجود المفارق الذي هو أوّل الأنوار العقليّة، كما قال سيّدنا رسول الله ﷺ: «**أوّل ما خلق الله العقل**». (بحار الأنوار ج٥٨ ص٢١٢).

٦ ـ روى المجلسي عن كتاب «رياض الجنان» لفضل الله الفارسي، بإسناده عن جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: قلت لرسول الله ﷺ: أوّل شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: «**نور نبيّك يا جابر، خلقه ثمّ خلق منه كلّ خير**».

(بحار الأنوار ج٥٧ ص١٧ الحديث ١١٦).

٧ ـ روى ابن بابويه بإسناده عن الرضا ؑ، عن آبائه ؑ، عن رسول الله ﷺ قال في حديث:

«**إنّ أوّل ما خلق الله عزّوجلّ أرواحنا، فأنطقها بتوحيده وتحميده، ثمّ خلق الملائكة**».

(عيون أخبار الرضا ج١ ص٢٦٢).

٨ ـ روى الكليني بإسناده عن جابر بن يزيد، عن الباقر ؑ قال:

«**إنّ الله أوّل ما خلق، خلق محمّداً ﷺ وعترته الهُداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله**».

(الكافي ج١ ص٤٤٢ الحديث ١٠، باب مولد النبيّ ﷺ).

أقول: الظاهر أنّ هذه التعابير المختلفة حاكية عن أمر واحد وهو الصادر الأوّل، أو عن مراتبه، وأمّا الاختلاف في التعبير كأنّه كان على حسب إدراك المخاطبين، أو على الاصطلاحات المتداولة بينهم عندئذ، لأنّا لا نُدرك حقيقة أمر الذي خلقه الله سبحانه أوّلاً؛ لأنّه أمر نورانيّ محض وعقلانيّ صرف، وموجود بسيط فوق التجرّد، قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾ (القمر: ٥٠).

وهو الذي يعبّر عنه بنفس الرحمن والوجود المطلق الساري ووجه الله الذي ﴿أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ (البقرة: ١١٥)، وهو الحقيقة المحمّديّة وعترته الأطهار الذين هم نور واحد وهم حمَلَة عرش الله سبحانه والعالمون بالقدر، أي بكلّ شيء كان أو يكون

اختلاف الروايتين) فصارت نصفها ناراً ونصفها ماءً، فخلق من الماء السماوات(١٧٣) ومن النار الأرضون، أو خلق من الماء الجنّة ومن النار الجحيم، أو خلق من الماء الروحانيّات ومن النار الجسمانيّات».

ولا مشاحّة في الألفاظ، وبرهانهم على ذلك التطابق بين العالمين، فإنّ ابتداء العالم الصغير وإيجاده بحسب الصورة كان من الماء الذي هو النطفة، والصغير أُنموذج الكبير من جميع الوجوه، فيجب أن يكون هو أيضاً كذلك.

وهذا أقرب الوجوه لأنّ إيجاد الإنسان الصغير الذي هو نسخته وأنموذجه حيث كان على هذا الوضع، لأنّه أوّله كان نطفة، ثمّ صار مضغة، ثمّ صار علقة إلى آخر الأطوار، فيجب أن يكون هو كذلك.

وقوله «عند خلق السماء» يكون إشارة إلى تقديم الروحانيّات على الجسمانيّات، بناءً على الترتيب الأوّل لا الثاني، أعني من حيث النزول من العلويّات إلى السفليات لا العكس.

إلى يوم القيامة، كما مرّ في التعليق السابق.

وإن شئت الاطّلاع أكثر فراجع تفسير المحيط الأعظم ج١ ص٣١٥ التعليق ٧٣، وص٣١٧، التعليق ٧٥، و ص٥١٠ التعليق ١٥٩ وص٥٤٨ التعليق ١٤٠، والجزء الثاني ص٣٨٠ التعليق ١٨٠ وص٣٨٣ التعليق ١٨٦، وص٣٧٢ التعليق ١٧٧، وص٢٤٧ التعليق ٩٩، وص٢٣٩ التعليق ٩٧، والجزء الثالث ص٢٨٠ التعليق ١٤٠، و هذا الجزء الرابع التعليق ٦٩..

(١٧٣) قوله: فخلق من الماء السماوات.

رواه المجلسي في البحار ج١٥ ص٢٧، وذكرناه في الجزء الثالث من تفسير المحيط الأعظم ص٣٤٨ التعليق ١٧٩.

وقوله: «قبل الأرض بألفي عام» يكون إشارة إلى أنّ النفس الكلّية المسمّاة بالكعبة الحقيقيّة، خلقها الله قبل الأجسام المعبّر عنه بالأرض بألفي عام.

ويكون المراد بألفي عام طورَين كاملَين: الأوّل طول العقل، ثمّ طور النفس، لأنّهما سابقان على الأرواح والأجسام بمدّة مديدة.

وإمّا دورين من أدوار الكواكب السبعة، لأنّ لكلّ كوكب منها دور خاصّ وهو ألف سنة ودور مشترك وهو ستّة آلاف سنة.

ويكون المراد أنّ عالم الأجسام خُلق بعد خلق الأنفس والأرواح بدورَين كاملين؛ وقد سبق أيضاً هذا البحث مبسوطاً.

وقد تقرّر أنّ في مدّة دور زحل يكون العالم خراباً، وفي ابتداء دور المشتري يبتدئ بالعمارة وفي آخرها توجد الحيوانات حتّى ينتهي إلى الإنسان، فيكون المراد بألفي عام دور هذين الكوكبين على الوجه الذي قرّرناه، أو طوري العقل والنفس، وعندي هذا أنسب، وإن كان الوجهين من عندي.

وتقديم الأرواح على عالم الأجسام أظهر وأبين من أن يحتاج إلى بيان وبرهان، وسيّما قد شهد به الخبر والقرآن، فإنّ النبيّ ﷺ قال:

«خلق الله تعالى الأرواح قبل الأجسام بألفي عام»(١٧٤).

والقرآن قد نطق بأنّ الأرواح قبل الأجسام في مواضع شتّى، منها

---

(١٧٤) قوله: خلق الله تعالى الأرواح.

رواه الصدوق في «معاني الأخبار»، باب معنى الأمانة التي عرضت، ص١٠٨.

قوله:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾ [الأعراف:١٧٢]

الآية. وقوله:

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤].

وثمّ لا يكون إلّا للتراخي.

وقوله: «**وكان زبدة بيضاء على وجه الماء**»، إشارة إلى صفاء النفس الكلّية ولطافتها بالنسبة إلى الروحانيّات الآخر التي كانت تحتها المشار إليها بالماء، لأنّ كلّ ما هو أعلى من الروحانيّات فهو ألطف، وكذلك من الجسمانيّات أيضاً.

وقوله: «**فدُحيت الأرض تحته**»، يكون إشارة إلى إيجاد عالم الأجسام بعدها، لأنّ عالم الأجسام وجدت بعد عالم الأرواح بمدّة مديدة، وفيه قيل: إنّ عالم الأمر والأرواح هو الذي لا يحتاج إلى مدّة ومادّة، وعالم الخلق والأجسام هو الذي يحتاج إلى مادّة ومدّة.

هذا من حيث الخبر، ومن حيث الآية يمكن هذا المعنى بعينه لكن يطول، فالإعراض عنها اعتماداً على أهلها أولى وأحسن.

وأمّا تطبيق الخبر بالنسبة إلى الإنسان الصغير فقوله ﷺ:

«**الكعبة أوّل بيت ظهرت على وجه الماء عند خلق السماء...**» الحديث(١٧٥).

---

(١٧٥) قوله: الكعبة أوّل بيت.

راجع التعليق ١٦٧.

البيت بالنسبة إليه يكون القلب الحقيقي المسمّى ببيت الله الحرام، وظهوره على وجه الماء يكون بمعنى تعلّق روحه بالنطفة من حيث التدبير والإيجاد إن قلنا بالتجرّد، وإن لم نقل بالتجرّد فذلك ظاهر، وخلقه عند خلق السماء يكون عبارة عن خلق الروح الإنساني المعبّر عنه بالقلب قبل الروح الحيواني المعبّر عنه بالسماء، وقبل الأرض بألفي عام يكون إشارة إلى خلق روحه قبل بدنه بالطورَين الكاملين المذكورين، أو الدّورين المعلومين، أعني كان إيجاد روحه قبل إيجاد بدنه ومادّته الصوريّة بالطورَين الكاملين من طوري العقل والروح، أو الدّورين اللّذين هما دور زحل والمشتري المتقدّم ذكرهما.

وقوله: «زبدة بيضاء»، يكون إشارة إلى صفاء جوهريّته ولطافته قبل تعلّقه بالبدن المعبّر عنه بالأرض، و«على وجه الماء» يكون إشارة إلى النطفة التي هي مادّة البدن وصورة الإنسان، ويكون المراد تعلّق الروح بإيجاده وإظهاره في عالم الغيب وعالم الأمر.

وقوله: «فدحيت الأرض تحته» يكون إشارة إلى البدن، ويكون معناه أنّ الروح إذا توجّهت إلى النطفة من حيث التدبير والتعلّق دُحيت وبُسطت البدن بحسب حكمه وأمره لينتظم حال الصورة الإنسانية باجتماعهما واتّحادهما، وذلك تقدير العزيز العليم.

وبناءً على هذا فمعنى الآية وهو أن نقول: أوّل بيت وضع للناس البدن الذين هم قواه وجوارحه، وأعضاؤه كان صورة القلب الصوري دون المعنوي، ليتوجّهوا إليه في تحصيل مقاصدهم ومعارفهم.

و«بكّة مباركاً»، يكون إشارة إلى صدره الذي يحيط به كمكّة

بالمسجد، والمسجد بالكعبة لأنّ الكعبة بمثابة القلب، والصدر بمثابة الجسد، والبدن بمثابة الحرم أو مكّة، ومباركاً يكون صفة للبركات التي تحصل منها من المعارف والحقائق الربّانية، و«هدىً للعالمين»، أي هذا البيت هدى للطوائف التي (الّذين) من أهل عالمه أي من قواه الروحانيّة والجسمانيّة والأرواح الحيوانيّة والنفسانيّة والنباتيّة وغير ذلك، والطائفين والقائمين والركّع السّجود إشارة إليهم.

و: «فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم»، يكون إشارة إلى حضرة العقل المستفاد التي هي حضرة القدس ومقام التداني، فإنّه من أعظم آيات الله وأعلاها، ومن دخله كان آمناً، يكون تقديره: أنّ من دخل هذا البيت المسمّى بالقلب على ما ينبغي، أمِن من إغواء الشياطين النفس الأمّارة، وإغواء عفريت الخيال، واختطاف جنود الوهم وتصرّف صعاليك الجنّ والإنس.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران:٩٦].

معناه أي ولله على الناس التي (الّذين) ذكرناهم حجّ هذا البيت، أي القصد إليه والطواف به، ليطّلعوا على آياته وأسراره وحقائقه، ويصلوا به إلى الله وإلى جنّاته وحضراته، لكن من استطاع إلى هذا سبيلاً أي من استطاع إلى هذه الطريقة، والقيام بها طريقاً وتمكّناً، أي يتمكّن من سلوك هذا الطريق بقوّة الزاد الحقيقي الذي هو العلوم اليقينيّة والفناء الكلّي والموت الإراديّ المعبّر عنهما بالعلم والعمل، لأنّ كلّ من لم يكن له هذه الاستطاعة يسقط عنه هذا الحجّ كما تقرّر في الحجّ الشرعيّ الظاهر، ومن كفر بهذا الحجّ

وخالف أمر الله وانتكس عن طريقه وانحرف عن استقامته فإنّ الله غنيّ عنه وعن العالمين الذين هم من أهل مدينته وبلده المعبّر عنهما بالقوى والأعضاء والأرواح وأمثال ذلك.

ومن يعتصم بالله في سلوك هذا الطريق والسير فيه بالانقطاع إليه والتمسّك بعنايته وهدايته فقد هدي إلى صراطٍ مستقيم، أي قد هُدي إلى صراط مستقيم توحيد حقيقيّ الذي هو المقصود من السلوك والتوجّه إلى بيت الله المعنوي، هذا بالنسبة إلى الأنفس والحجّ الحقيقي المعنويّ السلوكيّ.

وأمّا بالنسبة إلى الآفاق والحجّ الآفاقي والإطّلاع على حقائق الملكوت والجبروت والطواف بهما، فقس على كلّ واحدة من هذه القوى عالَماً من العوالم ومظهراً من المظاهر، فإنّك تجده حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة.

(أعمال حجّ أهل الطريقة)

وإذا تقرّر هذا وتحقّق، فاعلم أنّ كلّ من يريد أن يحجّ هذا الحجّ وأن يقصد هذا البيت يجب عليه أوّلاً أن يحرم من الميقات الذي هو الإحرام من مقام النفس وحظوظها، بمعنى أن يحرم عليها جميع الملذّات والمشتهيات من المحرّمات والمحلّلات إلّا بقدر الضرورة لقوله تعالى:

﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة:١٧٣].

ويمنعها عن إيذاء كلّ حيوان وإنسان قوّةً وفعلاً ونيّةً وعزماً.

ثمّ يتوجّه إلى الحرم الحقيقي والبيت المعنوي الذي هو البدن وقواه

ليشاهد حاله وما حواليه من القوى المعبّر عنها بالآيات والمشاعر ويحصل له من ذلك علوماً ومعارف، لأنّ كلّ واحدة من قواه ومشاعره مشحونة بمعارف لا يطّلع عليها إلّا الكامل الفرد من أفراد العالم، ويجب له الإشتغال في هذه الحالة بالتلبيات الأربع، ومعناها التي هي الإقرار باستغناء مالكه عن طاعته وعبادته وطاعة كلّ أحد وعبادته، واحتياج كلّ موجود إليه ذاتاً ووجوداً وحولاً وقوّة بحيث يسمع منه هذا النداء بسمع الحال، ويستقبل عليه بلبّيك لبّيك على لسان الحال دون المقال ليتحقّق له حقيقة العبوديّة وكمال الربوبيّة.

ثمّ يدخل مسجد الصدر الذي هو المسجد الحرام حول القلب الذي هو الكعبة الحقيقيّة، ويطوف به سبعة أشواط، أعني يطلع عليه سبع مرّات ليعرف حاله ويرتفع عنه حجابه الذي أخلاقه الذميمة وأفعاله الرديئة المعبّرة عنه بسبعة حُجب، عدد أبواب الجحيم التي هي العُجب والكِبر والحسد والحرص والغضب والشهوة والبخل، بحيث تزول منه هذه السبعة بسبعة من الطواف، ويكون كلّ واحدة منها علّة إزالة كلّ واحدة منها، وعلّة اتّصاف القلب بما يقابلها من الأخلاق الحميدة كالعلم والحكمة والعفّة والشجاعة والعدالة والكرم والتواضع.

ثمّ يصلّي في مقام إبراهيم العقل صلاة الشكر لاتّصاله إلى هذا المقام بمحض الطاقة وعين إشفاقه، وقد عرفت حقيقة الصلاة قبل هذا وتحقّقت أنّ المراد بها الإقرار بالعبوديّة الصرفة والألوهية المحضة بعد فنائه في السجود الأوّل فيه ورجوعه إلى القيام وبقائه به.

ثمّ يسعى بين الصفا والمروة، أي يسير بين عالَمي الظاهر والباطن

ليشاهد محبوبه فيهما، ويطّلع على الآيات التي يتعلّق بهما بحكم قوله:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصّلت:٥٣].

وتحصل له هذه المشاهدة الحقيقيّة والمعارف اليقينيّة ويتحقّق معنى قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصّلت:٥٣ ـ ٥٤].

ثمّ يقصر في المروة، أي يسقط عن رأسه ما بقي فيه من الأنانيّة والإثنينيّة، ليخرج بهذا عن الإحرام.

وأفعال العمرة التي هي بمثابة الوضوء إلى الصلاة، ويحلّ عليه كلّما حرم به قبل ذلك، لأنّ العبد في مقام الأنانيّة والغيريّة لا يحلّ له شيء أصلاً بمذهب العارفين، فإذا خرج منها وصار فانياً فيه باقياً به حلّ عليه كلّ شيء وبل بقوله يحرم ويحلّ، لأنّه الخليفة والآمر والناهي، فافهم ذلك جدّاً ليحصل لك معرفة مقام النبوّة ثمّ الولاية، لأنّه ليس غيرهما بعد الحقّ متصرّف في الوجود، ويشهد بذلك قوله تعالى:

﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء:٥٩].

ثمّ يحرم إحراماً آخر من حضرت العقل تحت ميزاب القلب، لأنّ العقل كالميزاب بالنسبة إلى القلب، لأنّ من بحر القلب تجري الحكمة والمعارف على ميزاب العقل ويصل إلى ما تحته من القوى، لقوله ﷺ:

«من أخلص لله تعالى أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه

على لسانه»[١٧٦].

أي لسان العقل الذي هو المترجم بالنسبة إلى القلب، ثمّ يتوجّه إلى عرفات الدماغ وجبل العرفان للوقوف به والاطّلاع على ما حواليه من الآيات والمعارف والحقائق، لأنّ الدماغ بالنسبة إلى البدن تارةً كجبل أبو قبيس أو جبل هراة (حرّاء)، وتارةً كعرش المجيد أو عرش الكريم المتقدّم ذكره، وفي هذا المقام يقع المعارف بين آدم الحقيقي الذي هو الروح وبين النفس الكلّي الذي(الكلّية التي) هو حوّاء، وما سمّي تلك الحضرت بعرفة إلّا لهذا، ويشهد به قولهﷺ:

«من عرف نفسه فقد عرف ربّه»[١٧٧].

ثمّ يرجع إلى المشعر، أي إلى الوقوف بمشاعره الصوريّة والمعنويّة المعبّرة عنها بالحواسّ العشرة، ليطّلع على أحوال كلّ واحدة منها ويخرجها من حكمه ويجعلها مطيعة لخالقه وربّه بحكم:

«كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله...»[١٧٨] الحديث.

---

(١٧٦) قوله: من أخلص لله تعالى.

عيون أخبار الرضاﷺ ج٢، ص٦٨. وراجع تفسير المحيط الأعظم ج١ ص٢٦٢، التعليق ٤٢.

(١٧٧) قوله: من عرف نفسه.

حديث معروف روي عن النبيّﷺ وعن أمير المؤمنينﷺ، ومرّت الإشارة إليه تفصيلاً في الجزء الأوّل من تفسير المحيط الأعظم ص٢٤٣، التعليق ٣٠، فراجع.

(١٧٨) قوله: كنت سمعه.

أصول الكافي ج٢، باب من آذى المسلمين واحتقرهم، الحديث ٧٩٨، ص٣٥٢.

وراجع

لأنّ الحواس ما دامت في حكم العبد فهي مطيعة للـنفس الأمّـارة، متابعة لشيطان الهوى (المردي) فأمّا إذا صارت بحكم الربّ، مطيعة لمـا أمر به من الأوامر والنواهي فهي مطيّة للنفس المطمئنّة متابعة العقل الذي هو الأمير والحاكم في مدينتها وبلدها.

(في معنى سيّئات المقرّبين)

ثمّ يرجع إلى منىٰ عالم الصدر لرمي أحجار أخلاقه الذميمة وأوصافه الرديّة عند الجمار الثلاث الذي هو المعدن والنبات والحيوان، أعني في عالم المركّبات وما يتعلّق به، وسبب ذلك أنّ هذا مقام الإخلاص ومقام الخطر العظيم لقولهﷺ:

«العالمون كلّهم هلكى إلّا العـاملون، والعـاملون كـلّهم هـلكى إلّا المخلصون، والمخلصون على خطرٍ عظيم»(١٧٩).

فصاحب هذا المقام (و) إن خلص عند الإحرام من أخلاقه وأوصافه. لكن إذا رجع إلى مقام التكميل وحالة البشريّة بحكم قولهم:

«النهايات الرجوع إلى البدايات».

---

(١٧٩) قوله: العالمون كلّهم هلكى.

رواه ورّام بن أبي فراس المتوفّى سنة ٦٠٥هـ، في «تنبيه الخواطر» عن رسول اللهﷺ، راجع «مجموعة ورّام» ج٢ ص٤٣٧.

وروى الصدوق؋ في التوحيد، باب القضاء والقدر، الحديث ١٠، ص٣٧١، عن أمير المؤمنين عليّ؈، قال:

«الدُّنيا كلّها جهل إلّا مواضع العلم، والعلم كلّه حجّة إلّا ما عُمل به، والعمل كلّه رياء إلّا ما كان مخلَصاً، والإخلاص على خطر حتّى ينظر العبد بما يُختم له».

يجب الاحتراز أيضاً عن رجوعه إلى تلك الأخلاق، لأنّ لهذا ورد:

«حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين»[١٨٠].

ثمّ يتوجّه إلى حلق رأسه، أي رأس نفسه من الأنانيّة، ورؤية الفعل والحول والقوّة منه الذي هو الأعظم من الأوّل، والحجب والموانع من الإستقامة على ما هو عليه من الكمال والتكميل.

ثمّ يتوجّه إلى ذبح نفسه مرّة أُخرى بحيث لا يبقى منها إسم ولا رسم لقوله تعالى:

﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة:٥٤].[١٨١]

ثمّ يرجع إلى الكعبة للطواف الثاني، أي يرجع إلى الكعبة الحقيقيّة التي هي القلب للطواف الثاني، أي للاطّلاع مرّة أُخرى عليه ليطهّرها من دنس مشاهدة الغير بالكلّية، وهذا مقام قولهﷺ:

«وأنّه ليغان على قلبي وإنّي لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرّة»[١٨٢].

---

(١٨٠) قوله: حسنات الأبرار.

راجع «كشف الغمّة»، ج٣، ص٦٢، في ذكر الإمام السابع، باب دلائل الإمام موسى الكاظمؑ.

وذكره المجلسي في بحار الأنوار ج٧٣ ص٣١٦.

(١٨١) قوله: فتوبوا إلى بارئكم.

راجع في توضيح الآية المباركة وبيان الموت الاختياري والتوبة، تفسير المحيط الأعظم ج٣ ص١٠٢، التعليق ٥٨ وص٣٠٤ التعليق ١٤٥ و ١٤٦.

(١٨٢) قوله: وأنّه ليغان.

لأنّ النبيّ المعصوم ما له ذنب شرعي حكميّ حتّى يستغفر من ذلك الذنب، بل ذنبهم في طريق سلوكهم وتوجّههم إلى الله تعالى هو مشاهدة الغير ولو طرفة عين، وذلك من غلبة عالم البشريّة وقوّة النفس الحيوانيّة بمقتضاها، وقد مرّ تفصيل ذلك أيضاً(١٨٣).

ثمّ يصلّي في مقام إبراهيم ركعتي طواف الحجّ، أي ركعتي صلاة الشكر بوصوله إلى محبوبه ومقصوده في توجّهه وقصده في صلاته الحقيقيّة.

ثمّ يسعىٰ مرّة أُخرى بين صفاء العالم الروحاني ومروة العالم الجسماني، أو بين صفاء القلب ومروة النفس، ليشاهده فيهما آيات كمال مظاهره وعلامات مشاهدة جماله وجلاله.

ثمّ يقصّر في مروة العالم الجسماني أو مروة النفس بحذف نقص ما بقي فيه من مشاهدة الكثرة في عالم الوحدة.

ثمّ يرجع إلى منى لرمي الجمار الثلاث في أيّام التشريق، أي يرجع من كعبة القلب مرّة أُخرى إلى منى الصدر في أيّام التشريق الذي هو أيّام التوحيد التفصيليّ المعبّر عنه بالفعلي والوصفي والذاتي(١٨٤) لحذف كلّ

صحيح مسلم ج ٤، كتاب الذكر، باب ١٢، الحديث ٤١، ص ٢٠٧٥، و«أصول الكافي» ج ٢، ص ٥٠٤، الحديث ٥.

وراجع التعليق ٣٣، فصّلنا فيه البحث في هذا الحديث.

(١٨٣) قوله: قد مرّ تفصيل ذلك.

في بيان «تيمّم أهل الحقيقة» و «في بيان فناء الفناء».

(١٨٤) قوله: التوحيد التفصيلي.

ما سواه في المراتب الثلاث بحيث لا يبقى عنده إلّا الحق تعالى جلّ ذكره، ويرتفع عن نظره الخلق بأسره، بحيث لا يبقى لهم وجود أصلاً عنده ولا له أيضاً، ويشاهد الحقّ من حيث هو الحقّ تارةً في عالم وحدته مجرّداً عن جميع الاعتبارات، وتارةً في عالم كثرته تحت ملابس أسمائه وصفاته وجلاله وجماله، وتارةً في عالم الجمع بينهما المتقدّم ذكره عند التوحيد المحمّدي، وهذا هو المقصود من الحجّ المعنوي عند أرباب الطريقة.

وإذا عرفت هذا فلنشرع في حجّ أهل الحقيقة وبيانه وهو هذا:



⬅ روى الصدوق في التوحيد، باب ثواب الموحِّدين ص٢١، الحديث ١٠، بإسناده عن الباقر قال:

«جاء جبرئيل إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا محمّد طوبى لمن قال من أُمّتك: لا إله إلّا الله وحده وحده وحده».

قال القاضي سعيد في شرحه لتوحيد الصدوق ج١ ص٣٧، ذيل هذا الحديث: «وأمّا تثليث قوله: «وحده» فباعتبار توحيد الذات، والصفات، والأفعال».

وأمّا حجّ أهل الحقيقة

فالحجّ عندهم بعد قيامهم بالحجّين المذكورين، عبارة عن القصد والتوجّه من حيث السير المعنوي إلى قلب الإنسان الكبير الذي هو بيت الله الأعظم المسمّىٰ بالبيت المعمور وحضرت القدس والنفس الكلّية وأمثال ذلك، كما أنّ حجّ أهل الطّريقة عبارة عن قصدهم وتوجّههم إلى قلب الإنسان الصغير.

وبيان ذلك يحتاج إلى تمهيد مقدّمات، منها قول بعض العارفين في تطبيق العالمين:

(تطبيق العالمين)

إعلم أنّ سلطان الروح الجزئي الذي هو روح الإنسان الصغير كما لا يكون إلّا في الدّماغ، فكذلك سلطان الروح الكلّي الذي هو روح الإنسان الكبير المسمّى بالعالم لا يكون إلّا في العرش الذي هو بمثابة الدماغ منّا، وكما أنّ مظهره الأوّل في الإنسان الصغير هو القلب الصوري الذي هو

منبع الحياة، فكذلك مظهره الأوّل في الإنسان الكبير هو الفلك الرابع الذي هو الفلك الشمس ومنبع حياة العالم، فإنّه بمنزلة الصدر فيه، والشمس بمنزلة القلب الصوري، وأمّا القلب الحقيقي فهو النفس الكلّية المسمّاة باللّوح المحفوظ والكتاب المبين وآدم الحقيقي المشار إليه في قوله تعالى:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً ...﴾[النساء:١] الآية.

وروح الفلك الرابع بمثابة الروح الحيواني الذي في القلب، إذ به تحيي جميع الأعضاء وهو البيت المعمور المشهور في الشريعة(١٨٥) أنّه في

---

(١٨٥) قوله: البيت المعمور المشهور في الشريعة.

روى المجلسي عن الصدوق في «الفقيه» و«العلل» و«المجالس»، عن الصادق ﷺ، أنّه سُئل: لِمَ سمّي الكعبة كعبة؟ قال: «لأنّها مربّعة، فقيل له: ولِمَ صارت مربّعة؟ قال: لأنّها بحذاء بيت المعمور وهو مربّع، فقيل له: ولِمَ صار البيت المعمور مربّعاً؟ قال: لأنّه بحذاء العرش وهو مربّع، فقيل له: ولِمَ صار العرش مربّعاً؟ قال: لأنّ الكلمات التي بني عليها الإسلام أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر».

روى السيّد ابن طاووس في «محاسبة النفس» الباب الخامس، فصل فيما يروى عن مولانا عليّ ﷺ، ص٤٢، من كتاب «خطب مولانا عليّ صلوات الله عليه» للسعيد عبد العزيز الجلّودي، المتوفّى ٣٠٢هـ.ق، أنّه سئل ابن الكوّاء أمير المؤمنين ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين، فما «البيت المعمور والسقف المرفوع»؟ قال ﷺ:

«ويلك ذلك الصرّاح (الضُّراح) بيتٌ في السماء الرابعة حِيال الكعبة من لؤلؤ جوّ (لؤلؤة واحدة) فيدخل (يدخله) كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ←

السماء الرابعة المقسم به في التنزيل حيث قال:

﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ١-٦].

. ولهذا جعلت مقام عيسى روح الله وكانت معجزته إحياء الموتى.

والطّور هو العرش، والكتاب المسطور هو النفس الكلّية التي هي

➲ إلى يوم القيامة». الحديث. عنه البحار ج٥٨ ص٥٦.

وقال القمّي في تفسيره في سورة الطور: «البيت المعمور» هو في السماء الرابعة وهو الضُراح، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك ثمّ لا يعودون إليه أبداً».

وأخرج السيوطي في تفسير «الدرّ المنثور» في سورة الطور، ج٧ ص٦٢٧، عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ:

«البيت المعمور في السماء يقال له الضراح على مثل البيت الحرام بحياله، لو سقط لسقط عليه، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لم يردوه قط، وإنّ له في السماء حرمة على قدر حرمة مكّة».

وروى الصدوق في «علل الشرائع» باب ١٤٣ ص٤٠٣ الحديث ١، بإسناده عن أبي حمزة الثمالي عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: قلت: لِمَ صار الطواف سبعة أشواط؟ قال: «لأنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾، فردّوا على الله تبارك وتعالى وقالوا: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾، قال الله: ﴿إنّي أعلم ما لا تعلمون﴾ وكان لا يحجبهم عن نوره، فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة فرحمهم وتاب عليهم وجعل لهم «البيت المعمور» الذي في السماء الرابعة، وجعله مثابة ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور، فجعله مثابة للناس وأمناً، فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على العباد، لكلّ ألف سنة شوطاً واحداً».

وأخرج السيوطي قريب منه وأكثر في تفسيره «الدرّ المنثور» ج١، ص٣١٠، سورة البقرة الآية ١٢٧.

قلب العالم، والرقّ المنشور هو الفلك الثامن الذي هو مظهره، والسقف المرفوع يجوز أن يكون العرش، ويجوز أن يكون السماء الدُّنيا، والبيت المعمور يجوز أن يكون الفلك الرابع، ويجوز أن يكون النفس الكلّية، والفلك الثامن أيضاً الذي هو مظهر النفس الكلّية، والبحر المسجور هو بحر الهيولى السيّالة المملوّة بالصور، ويجوز أن يكون عالم البرزخ الأوّل المركّب من العالمين الروحاني والجسماني المسمّى بالخيال المطلق المملوّ بصور الموجودات كلّها. ومع ذلك نشرع في تفصيله بحكم الحديث النبويّ والآية المذكورة مرّة أُخرى ليتحقّق عندك ما قرّرناه.

أمّا الحديث فقوله ﷺ:

«الكعبة أوّل بيت ظهرت على وجه الماء عند خلق السماء خلقه الله قبل الأرض بألفي عام، وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدُحيت الأرض تحته»(١٨٦).

وأمّا الآية فقوله تعالى:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً...﴾[آل عمران:٩٦].

إلى آخر الآية.

وبيان الحديث وهو أنّه يكون المراد من قوله:

«الكعبة أوّل بيت ظهرت على وجه الماء عند خلق السماء»:

ما تقدّم ذكره عند حجّ أهل الطريقة، وهو أنّ الكعبة هي النفس الكلّية

(١٨٦) قوله: الكعبة أوّل بيت.

راجع التعليق ١٦٧.

المسمّاة ببيت الله الأعظم، وظهورها على وجه الماء يكون إشارة إلى العوالم الروحانيّة التي صدرت منها قبل العوالم الجسمانيّة، فإنّ كلّ شيء يكون فوق شيء يكون هو عليه، ولا شكّ أنّ النفس الكلّية فوق النفوس الجزئية والعوالم الروحانيّة فتكون هي عليها، وقوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود:٧].

هذا معناه أيضاً، يعني كان العرش قبل خلق السماوات والأرض الجسمانيّات على الروحانيّات من العقول والنفوس إن أردنا بالعرش المعنويّ الذي هو العقل الأوّل، وإن أردنا بالعرش، العرش الصوري الذي هو الفلك الأعظم الأطلس أعني التاسع، يكون المراد بالماء الماء الصوري على قول بعض المفسّرين لأنّهم قالوا:

إنّ بين العرش والماء حيث لم يكن في أوّل الحال حائلاً وكان بينهما خلاء، يجوز أن يُقال إنّه عليه، وهذا ذكره ناصر الدِّين البيضاوي في تفسيره[١٨٧]، وهاهنا أبحاث.

ويجوز أن يكون الماء إشارة إلى الهيولى الكلّية التي هي بمثابة الماء بالنسبة إلى النفس الكلّية التي فوقه بمراتب، ويجوز أن يكون ذلك قبل الفتق في حالة الرتق الذي هو إجمال المادّة كلّها في حالة كانت العقل والنفس والعرش والكرسي حقيقة واحدة ومادّة كلّية، لقوله تعالى:

---

(١٨٧) قوله: في قول البيضاوي.

راجع التعليق ١٧٠.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا...﴾ [الأنبياء: ٣٠]. الآية.

وهكذا ورد في اصطلاح العارفين في تعريف الفتق والرتق وهو قولهم:

«الرّتق إجمال المادّة الوحدانيّة المسمّاة بالعنصر الأعظم المطلق المرتوق قبل السماوات والأرض، المفتوق بعد تعيّنهما بالخلق، وقد يطلق على نسب الحضرة الواحديّة باعتبار لا ظهورها، وعلى كلّ بطون وغيبة كالحقائق المكنونة في الذات الأحديّة قبل تفاصيلها في الحضرة الواحديّة مثل الشجرة في النواة والاستشهادات في ذلك كثيرة، هذا وجه، ووجه آخر:

أنّ الماء هو العلم الإلهي[١٨٨] الأزليّ عليه كلّ شيء من حيث فيه دائماً أبداً وتخصيصه بالعرش يكون لعلوّ شأنه وعظمة جلاله وكبريائه، أعني إذا كان قيام العظيم الذي هو العرش به وبوجوده فالصغير بالطريق الأولى، والغرض أنّا إذا فرضنا هذا الماء الذي عليه العرش نطفة الإنسان الكبير من حيث الصورة كما هو مقرّر عند أهل الله، فيكون الماء بمعنى الماء الصوري ويكون ظهورها عليه بمعنى تعلّقها بالنطفة التي توجد منها صورة العالم بأسرها، فإنّ أهل الشرع قد اتّفقوا على أنّ ابتداء العالم وإيجاده كان من الماء، وتمسّكوا في ذلك بالحديث النبويّ بعد القرآن،

---

(١٨٨) قوله: الماء هو العلم الإلهي.

راجع التعليق ١٧١.

والبحث الذي في سورة الدّخان لقوله ﷺ:

«أوّل ما خلق الله جوهرة[١٨٩] فنظر إليها فذابت تلك الجوهرة حياءً أو قهراً (على اختلاف الروايتين) فصار نصفها ماءً ونصفها ناراً، فخلق من الماء السماوات ومن النار الأرضون، أو خلق من الماء الجنّة ومن النار الجحيم، أو خلق من الماء الروحانيّات ومن النار الجسمانيّات، ولا مشاحّة في الألفاظ».

واستدلّوا بذلك التطابق بين العالمين، فإنّ ابتداء العالم الصغير وإيجاده بحسب الصورة كان من الماء الذي هو النطفة، والصغير أنموذج الكبير من جميع الوجوه، فيجب أن يكون هو أيضاً كذلك، وهذا أقرب الوجوه، لأنّ إيجاد الصغير الذي هو نسخته وأُنموذجه، حيث كان على هذا الوضع، لأنّ أوّله كان نطفة ثمّ صار علقة ثمّ صار مضغة إلى آخر الأطوار فيجب أن يكون هو كذلك.

وقوله: **«عند خلق السماء»**.

يكون إشارة إلى تقديم الروحانيّات على الجسمانيّات بناءً على الترتيب الأوّل لا الثاني، أعني من حيث النزول من العلويّات إلى السفليات لا العكس.

وقوله: **«قبل الأرض بألفي عام»**.

يكون إشارة إلى أنّ النفس الكلّية المسمّاة بالكعبة الحقيقيّة خلقها قبل

---

(١٨٩) قوله: أوّل ما خلق الله جوهرة.

راجع التعليق ١٧٢.

الأجسام المعبّر عنها بالأرض بألفي عام، ويكون المراد به طورَين كاملين: الأوّل طور العقل ثمّ طور النفس، لأنّهما سابقان على الأرواح والأجسام بمدّة مديدة، أو دورَين من أدوار الكواكب السبعة لأنّ لكلّ كوكب منها دور خاصّ وهو ألف سنة، ودور مشترك وهو ستّة آلاف سنة، ويكون المراد بذلك أنّ عالم الأجسام خلق بعد خلق الأنفس بدورين كاملين من أدوار الكواكب.

وقد تقرّر هناك أنّ في مدّة دور زحل يكون العالم خراباً وفي ابتداء دور المشتري يبتدي بالعمارة وفي آخرها توجد الحيوانات حتّى تنتهي إلى الإنسان فيكون المراد بألفي عام دور هذين الكوكبين على الوجه الّذي قرّرناه، أو طورَي العقل والنفس، وعندي هذا أنسب وإن كان الوجهين من عندي، وتقديم عالم الأرواح على عالم الأجسام أظهر وأبين من أن يحتاج إلى بيان وبرهان، وسيّما قد شهد به الخبر والقرآن، فإنّ النبيّ ﷺ قال:

«خلق الله تعالى الأرواح قبل الأجساد بألفيّ عام».

والقرآن قد نطق بأنّ الأرواح قبل الأجساد في مواضع شتّى، منها قوله:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾ [الأعراف:١٧٢].

الآية. وقوله:

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤].

وثمّ، لا يكون إلّا للتراخي، وقوله ﷺ:

«وكان زبدة بيضاء على وجه الماء».

يكون إشارة إلى صفاء النفس الكلّية ولطافتها بالنسبة إلى روحانيّات أُخَر التي كانت تحتها المشار إليها بالماء، لأنّ كلّ ما هو أعلى من الروحانيّات فهو ألطف وكذلك من الجسمانيّات أيضاً. وقوله:

«**فدحيت الأرض تحته**»، إشارة إلى إيجاد عالم الأجسام بعدها أي بعد الأرواح، لأنّ عالم الأجسام وُجد بعد عالم الأرواح بمدّة مديدة، وفيه قيل:

إنّ عالم الأرواح وعالم الأمر هو الذي لا يحتاج إلى مدّة ومادّة، وعالم الخلق والأجسام هو الذي يحتاج إلى مادّة ومدّة.

هذا تأويل الخبر، وأمّا تأويل الآية على سبيل البسط فيطول ويخرج المبحث من المقصود، وأمّا على سبيل الاختصار فاعلم:

أنّ في قوله تعالى:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦ـ٩٧].

«**أوّل بيت**» إشارة إلى البيت المذكور الذي هو النفس الكلّية ومظهرها الذي هي الفلك الثامن، و«**وضع للناس**» إشارة إلى مطلق الإنسان من حيث العموم وتكليف الكلّ بالتوجّه إليه وإلى أشرف الناس منهم الذين هم الأنبياء والرُّسل والأولياء والأوصياء والعارفين من أُمّة كلّ نبيّ على الخصوص، و«**ببكّة مباركاً**» إشارة إلى الفلك الثامن الذي هو مظهرها المعبّر عنه بالكرسي ومباركاً إلى البركات التي هي حواليها من

المعارف والحقائق النازلة منها إلى ما دونها من المخلوقات والموجودات، «وهدى للعالمين»، إشارة إلى فيضانه وتجلّياته (بجميع) لجميع العالمين، فإنّ فيضان جميع العالمين من جنابه الأقدس وحضرته العليا، والمراد بالفيضان إمّا الوحي وإمّا الكشف وإمّا الإلهام، فإنّ حصول العلوم والفيض من الله بغير هذه الوجوه الثلاث مستحيل.

و«فيه آيات بيّنات» إشارة إلى مشاهدة آيات الملكوت والجبروت بواسطتها، فإنّها محلّ تفصيل المعلومات والموجودات، كما أنّ العقل الأوّل محلّ تجميل المعلومات والموجودات.

و«مقام إبراهيم» إشارة إلى وصول السّالك بواسطتها إلى مقام التوحيد الجمعي الحقيقي الإبراهيمي الذي لم يكن منشأه في عالم الشهادة إلّا منه ﷺ ولهذا أمر نبيّنا ﷺ بمتابعته في قوله تعالى:

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨].

ولقوله:

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥].

ولولا خصوصيّة إبراهيم ﷺ بهذا المقام ما قال تعالى في حقّه:

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام:٧٥].

وقوله:

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ [آل عمران:٩٧].

إشارة إلى أنّ من دخل البيت المذكور على الوجه المذكور أمن من

جميع الشّبهات والشّكوك، وعلى الخصوص من الشِّركَين المذكورين أعني الجليّ والخفيّ، وعلى الجملة عن حُجب رؤية الغير مطلقاً.

وقوله:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران:٩٧].

أي ولله خاصّة على الناس المستعدِّين لهذا المقام حجّ هذا البيت، أي قصد هذا البيت على الوجه المذكور، أي من حيث المعرفة والمشاهدة والكشف والشهود.

وقوله:

﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾، دليل على تخصيصه بطائفة متمكِّنين منه مستطيعين لسبيله بقوّتي العلم والعمل(١٩٠)، فإنّ زاد هذا الحجّ وراحلته المسمّى بالاستطاعة العلم والعمل، أي العلم النافع والعمل الصالح، والعلم النافع يحصل بوجهين: إمّا من الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر (في البين) وهو المعبّر بالوحي والإلهام والكشف، وإمّا منه بواسطة بعض عبيده من العارفين كالأنبياء والأولياء والرُّسل، وإليهما أشار بقوله في الأوّل:

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٣ـ٥].

---

(١٩٠) قوله: بقوّتي العلم والعمل.

العلم والعمل هما اللذان يكوّنان حقيقة الإنسان وماهيّته صعوداً كما قال سبحانه وتعالى:

﴿إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه﴾ (فاطر: ١٠).

وفي الثاني بقوله:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧].

والعمل الصالح أيضاً يكون على قسمين: قسم يختصّ بأهل الشريعة والطريقة، وهو الذي لا يدخل فيه الرياء والسمعة والشكّ والشبهة وأمثال ذلك، بل يكون خالصاً لله تعالى لقوله:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢].

ولقوله:

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣].

وقسم يختصّ بأهل الحقيقة وأهل الوصول، وهو الذي لا يشاهد صاحبه في الوجود غير الحقّ تعالى جلّ ذكره، وقد عرفت تحقيقه مراراً وإليه أشار بقوله:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف:١١٠].

وقوله: «ومن كفر»، أي بهذا الحجّ ولم يفعل ولا يقرّ به فهو من المشركين المحجوبين ليس الخطاب إليه، فإنّ الله غنيّ عنه وعن أمثاله من العالمين إنساناً كان أو جنّاً، وأنّ الله لغنيّ عن العالمين وعن طاعتهم وعبادتهم من حيث هو هو، فإنّ الطاعة والعبادة فائدتهما عائدتان إلى المكلّف لا غير، ولا الحقّ تعالى فإنّه غنيّ عن العالمين وطاعتهم

وعبادتهم، لأنّه لا يجوز أن يستكمل هو بغيره، والغرض العائد إليه نوع استكمال فلا يجوز، فحينئذٍ لا يكون عائداً إليه، والعلّة في ذلك أنّه لا يقع فعل الحكيم الكامل عبثاً، فإن كان فعل يصدر من فاعل لا لغرض يكون عبثاً والعبث على الله تعالى محال، لقوله:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ [الأنبياء:١٦].

ولقوله:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥].

فيجب أن يكون لغرض، وحوالة الغرض إليه كما ذكرنا محال، فيجب أن يكون إلى العبيد وهو المطلوب، ولهذا قال في مواضع كثيرة من القرآن:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [الجاثية:١٥].

وقال:

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام:١٠٤].

وهاهنا أبحاث كثيرة نختصر على ذلك، وإذا تقرّر هذا وعرفت هذه المقدّمات والظوابط والقواعد التي فيها بحكم الآية والخبر، فلنشرع في الترتيب والتفصيل وكيفيّة ترتيب هذا الحجّ والوصول إلى المقصد، وهو هذا:

(ترتيب أعمال حجّ أهل الحقيقة)

إعلم أنّ مَنْ أراد أن يتوجّه إلى هذا البيت ويقصد زيارته أعني الوصول إليه يجب عليه أوّلاً:

أن يأخذ الإحرام من مشاهدة عالم المحسوسات مطلقاً، بمعنى أن يحرم على نفسه مشاهدة عالم الجسمانيّات وما يتعلّق به من اللّذات.

ثمّ يتوجّه إلى عالم الروحانيّات التي هي بمثابة الحرم ومكّة وبكّة وغير ذلك من الاعتبارات حتّى يصل إليهم بالفعل، ويتّصف بصفاتهم ويتخلّق بأخلاقهم، ويحصل له معارف ذواتهم وخواصّهم ولوازمها.

ثمّ يتوجّه إلى الكعبة الحقيقيّة التي هي النفس الكلّية ومعارفها وحقائقها، ويطوف بها سبعة أشواط ليحصل له بكلّ شوط معرفة كلّ فلك من الأفلاك السبعة أوالعلوم السبعة[١٩١] المذكورة في المقدّمة الأولى[١٩٢].

ثمّ يتوجّه إلى مقام إبراهيم الذي هو مقام الوحدة والحضرة الواحديّة المعبّرة عنها بالعقل الأوّل والروح الأعظم، ويصلّي فيه ركعتي الشكر

---

(١٩١) قوله: العلوم السبعة.

هي: علم التوحيد والتجريد والفناء والبقاء.

وعلم الذات والصفات والأفعال.

وعلم النبوّة والرسالة والولاية والمروة.

وعلم الوحي والإلهام والكشف.

وعلم المبدأ والمعاد والحشر والنشر.

وعلم الأخلاق والسياسة والتهذيب والتأديب.

وعلم الآفاق والأنفس والتطبيق بينهما، فإنّه أعظم العلوم وأشرفها.

ذكره السيّد المؤلّف في تعليق منه ﷺ ذيل (نفس الكلام) في كتابه «أسرار الشريعة وأطوار الطريقة وأنوار الحقيقة».

(١٩٢) قوله: في المقدّمة الأولى.

أشار إليها على نحو الكلّي في تفسير المحيط الأعظم الجزء الأوّل ص ٢٠٢ في بيان وجه مقدّمات تفسيره في السبع.

بوصوله إلى تلك الحضرة، والركعتان عبارتان عن فنائه أوّلاً عن عالم الظاهر وثانياً عن عالم الباطن. وما اشتمل عليهما من المخلوقات والموجودات حتّى نفسه.

ثمّ يتوجّه إلى السعي بين الصفا والمروة أي بين عالمي الظاهر والباطن ليطّلع عليهما بسعيه واجتهاده مرّة أُخرى ويقطع النظر عن الكثرة بمطالعة ما في ضمنها من الوجود الواحد الحقّ ويستقرّ في المقام الجمعي المقصود بالذات، كما قال ﷺ:

«الدُّنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدُّنيا، وهما حرامان على أهل الله(١٩٣)».

(١٩٣) قوله: الدُّنيا حرام.

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج٤ ص١١٩ الحديث ١٩٠، وقال في تعليق منه ﷺ:

«وذلك لأنّ ملاك الأمم وخواصّهم من أهل الله، هممهم العالية لا تقف على الأمور الدنيويّة ومتعلّقاتها، ولا يلتفتون إليها ولا يشتغلون بها أصلاً، لاشتغالهم بما هو أجلّ منها وأعلى قدراً وهي الأمور الأخرويّة، فتوجّههم إليها بالكلّيّة. ويعدّون القسم الأوّل استدراجاً ومكراً وحجاباً.

وأعلى من هؤلاء الطائفة الذين فوقهم، وهم الذين لا يلتفتون إلى الأمور الأخروية فضلاً عن الدنيويّة وهؤلاء هم أهل الله الذين قصروا مطالبهم على الوصول إليه والحضور في حظائر قدسه.

ومن هذا قول بعضهم: «اللّهمّ لا تجعلني من المقيدين بالجنّة»، وأراد بالجنّة: الصوريّة، لأنّ مطلوبه إنّما كان الجنّة المعنويّة، وهي الوصول إلى حضرة العزّة، كما أشار إليه قوله تعالى:

ويُعرف هذا أيضاً من تقسيم أهل الشمال وأهل اليمين والمقرّبين(١٩٤) المتقدّم ذكرهم، وإليه أشار العارف بقوله:

«وعليكم بهما فإنّ جامعهما موحّد حقيق (حقيقيّ)، جامع للمجميع وله المرتبة العليا والغاية القصوى».

ثمّ يقصّر بمروة عالَم الظاهر التي هي نهاية الكثرة بإسقاط ما بقي عنده من الأنانيّة ورؤية الغير.

وهذا تمام أفعال العمرة المتمتّع بها إلى الحجّ.

ثمّ يتوجّه إلى الكعبة مرّة أُخرى إلى مشاهدة النفس الكلّية والإطّلاع على حقائقها ليأخذ إحرام الحجّ من عندها تحت ميزاب العقل على

﴿في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر﴾ (القمر: ٥٥)، انتهى.

وقال ابن معين: «الدُّنيا ممنوعة على أهل الآخرة، والآخرة ممنوعة على أهل الدُّنيا، لأنّ المنتفع في معاش الدُّنيا يمكنه التوسّع في عمل الآخرة، والمتوسّع في متاع الدُّنيا لا يمكنه التوسّع في عمل الآخرة لما بينهما من التضادّ».

وقال الشافعي: «من ادّعى أنّه جمع بين حبّ الدُّنيا وحبّ خالقها في قلبه فقد كذب، والدُّنيا والآخرة ممنوعة على أهل الله، لأنّ جنّات عامّة المؤمنين جنّات المكاسب، وجنّة كُمّل العارفين جنّات المواهب، فأهل الموهبة اتّقوا الله حقّ تقاته لا خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنّته فصارت جنّتهم النظر إلى وجهه الأقدس، ونار الحجاب عن جماله الأنفسي، فحجابهم عن رؤيته هو العذاب الأليم، وعدم الحجاب هو جنّات النعيم».

وقال أبويز البسطامي: إنّ في الجنّة رجالاً لو حُجب الله عنهم طرفة عين لاستغاثوا من الجنّة كما يستغيث أهل النار من النار، فقد استبان بذلك أنّ الدُّنيا والآخرة حرام عليهم معاً». (سرّ الأسرار ص ٨١ التعليق ٢).

(١٩٤) قوله: ويعرف هذا.

راجع تفسير المحيط الأعظم ج٣ ص٢٠٧ التعليق ١٠٨.

الترتيب المعلوم.

(وجه تسمية عرفات)

ثمّ يتوجّه إلى مقام عرفات النفس والعقل عند الجبل الحقيقي الذي هو العرش الصوري مظهر العقل الأوّل ليتّحد بهما بقوّة المعرفة الحاصلة له بأنّ الكلّ واحد، ولهذا سمّي هذا المقام عرفاتاً، لأنّه مقام المعرفة الحقيقيّة، وليس وراء هذه الحضرة حضرة أُخرى إلّا حضرة الذات الممتنع الوصول إليها لأحد، والمراد بالوصول الاتّصاف، والاتّصاف بالحضرة الأحديّة الذاتيّة مستحيل، وفيه قيل: ليس وراء عبّادان قرية، وفي هذا المقام يحصل الوصول إلى التوحيد الجمعي الحقيقي المعبّر عنه بالتوحيد المحمّدي مرّة أُخرى. والفائدة والفرق بينهما أنّ في التوحيد الأوّل يرتفع الخلق عن نظره بالكلّية لقوله:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨].

وفي التوحيد الثاني يرتفع الصفات كلّها، لقول العارف الربّاني صلوات الله عليه:

«أوّل الدّين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه بشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة».

وفي هذا المقام يصير الإنسان إنساناً والكامل كاملاً والعارف عارفاً، ولهذا يجب الرجوع إلى التكميل وعالم الكثرة لقوله تعالى:

﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٢٢].

ولقول الجنيد﵁ لمّا سُئل عن النهايات:

«الرجوع إلى البدايات».

وهذا هو سرّ رجوع الحاجّ من عرفات إلى منى وفيه ما فيه من الأسرار أيضاً.

ثمّ يرجع إلى منى عالم الكثرة الذي هو عالم المشاعر الإلهيّة والمناسك الربّانية من الأفلاك والأجرام والعناصر والمواليد، وينظر إليهم بنظر الوحدة الحقيقيّة دون الأوّل، ويشاهدهم على أنّهم مظاهر إلهيّة ومشاعر ربّانيّة، والمظهر عين الظاهر والظاهر نفس المظهر، فيشاهدهم عيناً من وجه، غيراً من وجه، خلقاً من وجه، حقّاً من وجه كما سبق ذكره من كلام العارف.

ثمّ يشتغل بأداء المناسك فيه أي في منى عالَم الظاهر من الرمي والذبح والحلق، ويرمي أوّلاً في جمرة العقبة التي هي الدُّنيا ومتاعها سبع طبقات، عالمها العنصريّة والطبيعيّة من المواليد رمياً لا يمكن الرجوع إليها، وهذا رمي عرفان لا رمي عيان، أعني رمي نظر لا رمي تصرّف، فإنّه إذا رجع من العوالم المذكورة يجب له التصرّف في الكلّ تصرّف تمليك وتحقيق.

ثمّيذبح نفسه مرّةأُخرى ذبحاً لا تكاد تعيش أبداً، أي بالحياة الدنيويّة المجازيّة، لأنّه صار حيّاً بالحياة الحقيقيّة المشار إليها في قوله:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٩].

وفي قوله:

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢].

ثمّ يحلق رأسه أي رأس النفس عن محبّة الدُّنيا ومتاعها حلقاً لا يكاد يرجع إليها أبداً رجوع نفساني لا غير، فإن حذف (حذفت) الدّنيا فنفسك تحكم بالتصرّف فيه (فيها) بقدر الحاجة للناقص وبالمجموع للكامل، والمراد منه إسقاطها عن درجة الاعتبار بالكلّية، لأنّ الدُّنيا وما فيها ليس عند التحقيق إلّا عدم صرف وخيال محض قائمة بأوهام كاذبة لقوله ﷺ:

«الدُّنيا قائمة بالوهم».

ولقول الإمام عليه السلام:

«محو الموهوم مع صحو المعلوم»(١٩٥).

---

(١٩٥) قوله: محو الموهوم.

قال السيّد المؤلّف في كتابه القيّم «جامع الأسرار» ص ١٧٠:

من أقوال أمير المؤمنين عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيّات، المشهورة، قوله المخاطب به كيل بن زياد رضي الله عنه، في جواب سؤاله عن الحقيقة، قال عليه السلام: «مالك والحقيقة»؟ قال: أولستُ صاحب سرّك؟ قال: «بلى، ولكن يرشح عليك ما يطفح منّي»، قال: أومثلك يخيّب سائلاً؟ قال:

«الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة».

قال: زدني فيه بياناً، قال:

«محو الموهوم مع صحو المعلوم». الحديث.

وراجع تفسير المحيط الأعظم ج ٢ ص ١٦٠، التعليق ٦٨.

ولهذا قال:

«قد طلّقتك ثلاثة لا رجعة فيها»[١٩٦].

---

(١٩٦) قوله: قد طلّقتك ثلاثاً.

رواه السيّد الرضيّ في نهج البلاغة الحكمة ٧٧ وقال:

«من خبر ضرار بن حمزة الضبائي عند دخوله على معاوية ومسألته له عن أمير المؤمنين، قال:

فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وهو قائم في محرابه قابض على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين ويقول:

«يا دُنيا يا دنيا، إليكِ عنّي، أبي تعرّضتِ؟ أم إليّ تشوّقتِ؟ لا حان حينُكِ! هيهات! غُرّي غيري، لا حاجة لي فيك، وقد طلّقتكِ ثلاثاً لا رجعة فيها، فعيشكِ قصير، وخطركِ يسير، وأملكِ حقير، آه من قلّة الزاد، وطول الطريق، وبُعد السفر، وعظيم المورد». (نهج البلاغة الحكمة: ٧٧).

(وروى الصدوق قريب منه في «الأمالي» المجلس الحادي والتسعون الحديث ٢ ص٤٤٩).

وروى الصدوق أيضاً بإسناده عن الأصبغ بن نباتة، أنّه قال: كان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب إذا أُتي بالمال أدخله بيت مال المسلمين، ثمّ جمع المستحقّين، ثمّ ضرب يده في المال فنثره يمنة ويسرة وهو يقول:

«يا صفراء يا بيضاء لا تغرّيني غُرّي غيري،

هذا جناي وخياري فيه إذ كلّ جان يده إلى فيه»

ثمّ لا يخرج حتّى يفرّق ما في بيت مال المسلمين ويؤتي كلّ ذي حقّ حقّه، ثمّ يأمر أن يكنس ويرشّ، ثمّ يصلّي فيه ركعتين، ثمّ يطلّق الدُّنيا ثلاثاً، ويقول بعد التسليم:

«يا دنيا لا تتعرّضين لي ولا تتشوّقين (إليّ) ولا تغرّيني، فقد طلّقتكِ ثلاثاً لا رجعة لي عليك».

(الأمالي، المجلس ٤٧، الحديث ١٦، ص٢٣٣، وعنه البحار ج٤١ ص١٠٣، الحديث ٢).

وقال عيسى ﷺ:

«يا طالب الدُّنيا ليبرّ بها تركك لها أبرّ وأبرّ وأبرّ»(١٩٧).

ثمّ يرجع من هذا المقام إلى مقام البقاء الذي هو البقاء بعد الفناء ويطوف بالكعبة المذكورة طواف آخر، أي يطّلع عليها مرّة أُخرى بسبع توجّهات بمقتضى نشأته التي هي سبعة أطوار لقوله تعالى:

﴿خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ [نوح:١٤].

ليحصل له بذلك التصرّف في سبعة أقاليم الأرض وسبعة أقاليم الأفلاك المعبّرة عنهما بالملكوت والجبروت.

ثمّ يصلّي في مقام إبراهيم الوحدة الحقيقيّة ركعتي صلاة العيدين الأضحى والفطر، لأنّ اتّصافه بالفناء عن الكلّ عيد وبقاؤه بعد الفناء عيد آخر، ويجب صلاة العيد سيّما هذا العيد في مقام المخصوص بها وهو مقام الوحدة الحقيقيّة، فافهم جدّاً فإنّه دقيق.

ثمّ يرجع إلى منى عالم الكثرة في المراتب الثلاث التي هي المعدن والنبات والحيوان، ويكون فيه ثلاثة أيّام من الأيّام الإلهيّة لتكميل الغير، فإنّه مقام نهاية المرام وغاية مقاصد الكرام، وفيه ورد:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ [المائدة:٣].

---

(١٩٧) قوله: يا طالب الدُّنيا.

رواه أبو فراس في كتابه المعروف بـ «مجموعة ورّام» باب ذمّ الدُّنيا، ص١٤٢، وقال: قال عيسى ﷺ:

«يا طالب الدُّنيا لِتَبرّ، تركك الدُّنيا أبتر».

والله أعلم وأحكم وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل، رزقنا الله الوصول إلى مثل هذا الحجّ بحقّ الحقّ.

هذا بيان حجّ أهل الحقيقة بعد بيان حجّ أهل الشريعة والطريقة.

وإذا فرغنا من هذا فلنشرع في الجهاد وبيانه في المراتب الثلاث كما شرطناه أوّلاً في الديباجة من كتابنا هذا والحمد لله وحده والمستعان وعليه التكلان.



أمّا جهاد أهل الشريعة

فالجهاد عندهم فرض من فرائض الإسلام، وهو فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وشرائط وجوبه سبعة: الذكورة، والبلوغ، وكمال العقل، والصحّة، والحريّة، وأن لا يكون شيخاً ليس به قيام، ويكون هناك إمام عادل أو من نصبه الإمام للجهاد، فإذا اختلّ واحد من هذه الشروط سقط فرضه.

وأمّا الأصناف التي يجب جهادهم من الكفّار فهم على ضربين: ضرب يقاتلون إلى أن يسلموا أو يقتلوا أو يقبلوا الجزية وهم ثلاث فرق: اليهود والنصارى والمجوس.

والآخر لا يقبل منهم الجزية ويقاتلون حتّى يسلموا أو يُقتلوا، وهم كلّ من عدا الثلاث فرق المذكورين.

وإذا قبلوا الجزية فليس لها حدّ محدود على الأقوى، وهو مختار المحقّقين من فقهاء الإماميّة. بل يأخذها على حسب ما يراه الإمام، إمّا يضعها على رؤوسهم أو أراضيهم ولا يجمع بينهما، ويزيد وينقص بحسب

ما يراه، فإن وضعها على أرضيهم فأسلموا سقطت عنهم الجزية.

ولا تؤخذ الجزية من أربعة أصناف: الصبيان والمجانين والبله والنساء.

ولا يبتدؤون بالقتال إلّا بعد أن يدعو إلى الإسلام من التوحيد والعدل والقيام بأركان الإسلام. فإذا أبوا ذلك كلّه أو شيئاً منه حلّ قتالهم، ويكون الداعي الإمام أو من يأمره الإمام، والله أعلم وأحكم.



أمّا جهاد أهل الطريقة

فالجهاد عندهم عبارة عن جهاد النفس لقول النبيّ ﷺ: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»(١٩٨).

---

(١٩٨) قوله: رجعنا من الجهاد الأصغر.

رواه السبزواري في «جامع الأخبار» الفصل ٥٧، ص٢٦٩.

وأخرجه الغزالي في «إحياء علوم الدّين» «كتاب شرح عجائب القلب» ج٣ ص١٤، وقال العراقي في ذيله: أخرجه البيهقي في الزهد عن جابر، وذكره أيضاً في ج٥ ص١٣٢ وقال: إنّ رسول الله ﷺ قال حين رجع من بعض غزواته: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**».

وأخرجه السيوطي في «جامع الصغير» ج١ الحديث ٦١٠٦، قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَدِمْتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**، (قالوا: و ما الجهاد الأكبر؟ قال): **مُجاهدة العبدُ هَواه**».

وفي نقل آخر: قال: «جهاد القلب». (سرّ الأسرار ص٦٨، التعليق ٢).

وأخرجه أيضاً أبو حيّان في «البحر المحيط» ج٤ ص٣٧، كما أخرجه الميبدي في «كشف الأسرار» ج٥ ص٩٢.

لأنّه أراد بالجهاد الأصغر جهاد الكفّار، وبالجهاد الأكبر جهاد النفس، كما ورد أنّه سُئل عن ذلك، فقال:

«هو جهاد النفس الأمّارة»، وقد ورد أيضاً:

«أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك»(١٩٩).

والعقل الصحيح يحكم بأنّ جهاد أعدى العدوّ أولى من جهاد العدوّ وخصوصاً إذا كان بين جنبيه، وجهاد النفس مخالفتها في كلّ ما يخالف العقل والشرع لقوله تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات:٤٠-٤١].

وذلك لأنّ النفس الأمّارة دائماً تدعو إلى الشرّ بمقتضى طبعها لقوله تعالى:

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف:٥٣].

فمخالفتها يكون عين الخير ومحض العدل، كما ورد في الحديث النبويّ بالنسبة إلى النساء التي هي في حكم النفس:

«شاوروهنّ وخالفوهنّ»(٢٠٠).

---

(١٩٩) قوله: أعدى عدوّك.

رواه ابن فهد الحلّي في «عدّة الدّاعي».

ورواه ورّام في «المجموعة» باب العتاب ص٦٧.

ورواه ابن أبي جمهور الأحسائي، في «عوالي اللئالي» ج٤ ص١١٨، الحديث ١٨٧.

وأخرجه الغزالي في «إحياء علوم الدّين» ج٣ ص٤ باب شرح عجائب القلب، وقال العراقي في ذيله: أخرجه البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عبّاس.

(٢٠٠) قوله: شاورهنّ وخالفوهنّ.

وقد سبق أنّ النفس في الإنسان المعبّر عنه بالأنفس بمثابة النساء في الآفاق، فكما يجب مخالفة النساء في أكثر الأحوال فكذلك يجب مخالفة النفس في أكثر الأحوال، ولولا ذلك لم يكن مخالفتها موجب الدخول في الجنّة من غير تأخير، والذي ورد أيضاً:

«إنّ النار حفّت بالشهوات وأنّ الجنّة حفّت بالمكاره» [نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦].

هذا معناه، لأنّ الشهوات مطلقاً من مقتضى النفس والنار لازمة لها، والمكاره والمخالفة من مقتضى العقل الصحيح والشرع الإلهي، لابدّ وأن يكون ثمرتها الجنّة، وإلى هذا المعنى أشار الحقّ تعالى في قوله:

«وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» [العنكبوت: ٦٩].

لأنّ تقييده بـ «فينا» يدلّ على أنّ مجاهدة النفس لو لم يكن في الله وفي سبيله لم ينفع، ولا يكون موجب الدخول في الجنّة، ولا سبب الهداية إلى الله تعالى وطريقه المستقيم.

واتّفاق المشايخ على منع السالك عن السلوك بنفسه من غير شيخ كامل، أو إمام، أو نبيّ كان في هذا المقام، وذلك لأنّ الشخص مثلاً إذا شرع في السلوك بنفسه لم يخلص هو من مطاوعة النفس وملائمتها أعني ما يلائمها وما لا يلائمها، وسلوك سبيل الله مبنيّ على مخالفتها دائماً، فكيف يمكن إصابة ذلك الشخص الذي يسلك بنفسه سلوك سبيل الله وإليه

عوالي اللئالي، ج ١ ص ٢٨٩، الحديث ١٤٢.

الإشارة بقوله:

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة:١٢].

لأنّ المطيع للنفس دائماً حركته منكوسة وصاحب الحركة المنكوسة بالنسبة إلى الحركة المستقيمة كالشخصين المتحرّكين أحدهما إلى الأعلى والآخر إلى الأسفل فلا يزيد حركة كلّ واحد منهما إلّا البُعد بينهما، والحركة إلى الأسفل هي المنكوسة كحركة النبات المتقدّم ذكرها، وهذا أمرٌ حسّي ضروريّ لا يحتاج إلى دليل وبرهان عصمنا الله تعالى بفضله من التنكيس إلى أسفل عالم الطبيعة المعبّر عنه بالجحيم المسمّى بأسفل سافلين في الكتاب الكريم، وفي مثل هذا النفس قيل:

هي النفس أن تهمل تلازم خساسة وان تبتعث نحو الفضايل تلهج

وقد سبق كيفيّة عروج النفس من المرتبة الأمّارية إلى اللوّاميّة ومنها إلى الملهمة والمطمئنّة، ومن المطمئنّة إلى الحضرة الربّانيّة بحكم الرجوع لقوله:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر:٢٧ إلى ٣٠].

والدخول في عباده عبارة عن الدخول تحت حكمهم وأمرهم وإرشادهم وهدايتهم من غير شكّ وشبهة، أو مخالفة، أو مناكرة المعبّر عنهم بالنبيّ والإمام والشيخ وغير ذلك، وفي كيفيّة الوصول أسرار أُخر ليس هذا موضعها، وإذا عرفت هذا عرفت أنّ جهاد أهل الطريقة هو جهاد النفس لا غير، وأنّهم دائماً في الجهاد ولا يغفلون عنه طرفة عين، وكما أنّه عند أهل الشريعة واجب على الكفاية، عندهم واجب على العين، بل أوّل

الواجبات، لأنّ الشروع في السلوك بغير هذا الجهاد مستحيل ممتنع، فيجب حينئذٍ على كلّ من يريد سلوك هذا الطريق، وهذا هو المطلوب.

وحيث عرفت جهاد أهل الطريقة وترتيبه فلنشرع في جهاد أهل الحقيقة بقدر هذا المقام، وهو هذا:



وأمّا جهاد أهل الحقيقة

فالجهاد عندهم بعد القيام بالجهاد المذكور عبارة عن محاربتهم ومعارضتهم مع العقل النظري في دفع شبهاته وشكوكه، فإنّ العقل النظري دائماً في التقييد والتعيّن، والمطلوب والمقصود دائماً لا يوجد إلّا في الإطلاق والتجرّد الذي هو مقتضى العشق والذوق، وأين ذاك من هذا، وأين العقل من العشق، وورد عن النبيّ ﷺ:

«إنّ الله تعالى خلق العقل لأداء حقوق العبوديّة لا لإدراك حقّ الربوبيّة».

فيجب حينئذٍ استعمال العقل في أداء حقّ العبوديّة لا في إدراك حقّ الربوبيّة فإنّه ليس من مقتضياته، ومن هذا قال العارف أيضاً:

«وهذا لا يعرفه عقل بطريق نظر فكري، بل هذا الفنّ من الإدراك لا يكون إلّا عن كشف إلٰهي، ومنه يعرف ما أصل صور العالم القابلة للأرواح».

وفيه قال فخر الدّين الرازي رحمة الله عليه في أبياتٍ له:

نهاية إدراك العقول عقال	وأكثر سعي العالمين ضلال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا	سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

وعند التحقيق ليس نسبة العقل إلى العشق ومعارفه وكشوفه وشهوده إلّا نسبة الوهم إلى العقل في مداركه ومعارفه، فإنّ الوهم كما لا يصل إلى مدارك العقول بوجه من الوجوه، فكذلك العقل فإنّه أيضاً لا يصل إلى مدارك العشق ومعارفه بوجه من الوجوه، بل يقوم في أكثر المواضع بإنكاره ومنعه كما يقوم الوهم في أكثر المواضيع بإنكار العقل ومنعه، ومن هذا وقع المخالفة بين العقليّات والبرهانيّات والخطابيّات والذوقيّات، فإنّ أكثر أحكام الشرع الصادر من جانب الذوق والعشق المعبّر عنه بالنبيّ والرسول غير مطابق لصاحب العقل وأحكامه العقلي كما سبق ذكره مفصّلاً عند الضوابط الكلّية والقوانين الإلهيّة في أوّل هذه المقدّمة.

وشبهات الفلاسفة والبراهمة في متابعتهم في المعارف الإلهيّة والمدارك العقليّة ما نشأت إلّا من هذا المقام، فإنّ الفلاسفة أنكروا المعاد الجسماني والعلم بالجزئيّات الزمانيّة، وأثبتوا لله تعالىٰ صفاتاً ليست في الشرع واردة ولا في العقل جايزة كالإيجاب البساطة وغير ذلك، وذهبوا إلى أنّ العالم قديم والحقّ تعالى علّة فيه وهو معلوله وأمثال ذلك، وكلّ ذلك من أحكام عقولهم الركيكة العاجزة عن أسرار الشرع ودقائقها.

وكذلك البراهمة فإنّهم أنكروا المعاد أيضاً وخالفوا الأنبياء ومعجزاتهم وخالفوا النصّ والشرع في الجميع وقالوا بالفعل وبالذي يصدر منه، وتمسّكهم في إنكار الأنبياء ومتابعة عقولهم الركيكة: أنّ الأنبياء إن جاؤوا بما يوافق العقل فلا يحتاج إليهم، وإن جاؤوا بما يخالف العقل فلا يقبل

قولهم، فحينئذٍ عقولنا تكفينا في مصالحنا ومعايشنا.

وكلّ ذلك أيضاً من ذلك النظر الفاسد، لأنّ العقل لو كان كافياً في أُمورنا المعادية والمبدائية لما احتجنا إلى الكتب والرُّسل، وكان إنزال الكتب وبعثة الرُّسل عبثاً، وقد سبق أنّه لا يفعل العبث، فعرفنا أنّ العقل في نظره محتاج إلى نظر آخر المعبّر عند الحكيم بالمنطق، وعند الموحِّد بالنور الإلهي والميزان الربّاني.

وبناءً على هذا كما يجب الجهاد مع القائلين بإلٰه آخر غير الله تعالى بالسيف الصوريّ، فكذلك يجب الجهاد مع القائلين بوجود غير وجود الله تعالى بالسيف المعنوي، فإنّ الأوّل نشأ من متابعة الهوىٰ والنفس، والثاني من متابعة العقل، والحكم الصادر منه بمجرّد الفكر.

والشرك الجليّ عبارة عن الأوّل، والشرك الخفيّ عن الثاني، ودفعهما واجب على الكلّ عند التحقيق، ولهذا ما خلا زمان من هذين الجهادين في حالة من الحالات، لأنّ المسلمين كما أنّهم دائماً في المحاربة مع الكفّار في أقطار العالم بالسيف الصوري، فكذلك الموحّدين فإنّهم أيضاً دائماً في المحاربة مع الفلاسفة والبراهمة في أقطار العالم بالسيف المعنوي، فجهاد أهل الحقيقة دائماً ليس إلّا جهاد أرباب العقول برفع شبهاتهم ودفع شكوكهم، لكي يرجوا من متابعة العقل النظري إلى متابعة الذوق الحقيقي والعشق الإلهيّ المعبّر عنهما بالوحي والإلهام، كما أنّ جهاد أهل الطريقة دائماً ليس إلّا جهاد النفس برفع شبهاتها ودفع شهواتها، لكي يرجع من متابعة الهوى والجهل إلى متابعة العقل والشرع المعبّر عنهما بالدِّين القويم والطريق المستقيم.

فالحاصل من الجهاد الأوّل مع الطائفة المعلومة الإستقامة على طريق التوحيد الجمعي والوصول إلى عالم الوحدة بعد الخلاص من الشرك المعنوي المسمّى بالخفيّ.

ومن الثاني مع الطائفة المعلومة التوجّه إلى الله تعالى بالعقل الصحيح والمتابعة لأمره ظاهراً وباطناً بعد الخلاص من الشرك الجليّ، وهذا هو الجهاد المقصود بالذات من الوضع الإلهي عند التحقيق، لأنّ الجهاد الصوريّ أيضاً غرضه الجهاد المعنوي.

وفي مثل هؤلاء المجاهدين القائمين بحجّة الله على عباده المشركين ورد:

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلّاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [النساء:٩٥و٩٦].

لأنّ المراد بالقاعدين القاعدين والتاركين لهذين الجهادين بالنفس الذي هو العقل والمال الذي هو البدن وقواه، والمراد بالقائمين القائمين بهما والفاعلين لهما، وإليهما أشار أيضاً وقال:

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء:١١٤].

جعلنا الله منهم بفضله وكرمه.

هذا آخر بحث جهاد أهل الحقيقة وأهل الطريقة والشريعة، وآخر

بحث الأُصول والفروع في المراتب الثلاث، وآخر بحث الشريعة والطريقة والحقيقة بقدر هذا المقام.

لكن بقي هناك قاعدة من القواعد الثلاثة المذكورة عند أوّل الفروع المشتمل على تعداد المذاهب والملل بحكم الحديث النبويّ:

«ستفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة والباقون هلكى»[٢٠١].

المترتّب على الإجمال والتفصيل، ودائرتي الإسلام والكفر وما شاكل ذلك، وهو هذا، والله المستعان وعليه التكلان.



(٢٠١) قوله: ستفترق أُمّتي.

سيأتي ذكر مصادره في التعليق ٢٠٢.

القاعدة الثالثة

في بيان المذاهب والملل، وتعدادها بالعدد المعيّن مطابقاً للحديث النبويّ وهو قوله:

ستفترق أُمّتي إلى آخره

اعلم أنّ هذا البحث قبل الشروع فيه يحتاج إلى أبحاث كلّية وضابطة جمليّة ذكرها صاحب الملل والنحل في كتابه:

منها تقسيم أهل العالم في آرائهم واعتقاداتهم على ما ذكر في أوّل المقدّمة، وذلك قوله:

المقدّمة الأُولى في بيان تقسيم أهل العالم جملة مرسلة.

من الناس من قسّم أهل العالم بحسب الأقاليم السبعة وأعطى كلّ إقليم إقليم خطّة (حظّه) من الطبائع والأنفس التي تدلّ عليها الألوان والألسن.

ومنهم من قسّمهم بحسب الأقطار الأربعة (التي هي:) الشرق والغرب والجنوب والشمال، وفّر على كلّ قطر حقّه من اختلاف الطبائع، وتباين الشرائع.

ومنهم من قسّمهم بحسب الأُمم، فقال كبار الأُمم أربعة: العرب، والعجم، والروم، والهند، ثمّ زاوج بين أُمّة وأُمّة. فذكر: أنّ العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد، وأكثر ميلهم إلى تقرير خواصّ الأشياء، والحكم بأحكام الماهيّات والحقائق، واستعمال الأُمور الروحانيّة.

والروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم إلى افراد (تقرير) طبايع الأشياء، والحكم بأحكام الكيفيّات والكمّيات، واستعمال الأمور الجسمانيّة.

ومنهم من قسّمهم بحسب الآراء والمذاهب وذلك غرضنا في تأليف هذا الكتاب، وهم مقسّمون بالقسمة الصحيحة:

الأولى إلى أهل الديانات والملل، وأهل الأهواء والنحل.

فأرباب الديانات مطلقاً مثل المجوس واليهود والنصارى والمسلمين.

وأهل الأهوى والآراء مثل الفلاسفة، والدهريّة، والصابئة، وعبدَة الكواكب، والأوثان، والبراهمة.

ويفرق (يفترق) كلّ منهم فرقاً.

فأهل الأهواء ليس ينضبط مقالاتهم في عدد معلوم، وأهل الديانات قد انحصرت مذاهبهم بحكم الخبر الوارد فيها:

فافترقت المجوس على سبعين فرقة، واليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنين وسبعين فرقة، والمسلمون على ثلاث

وسبعين فرقة.

والناجية أبداً من الفرق واحدة، لأنّ (إذ) الحق من القضيّتين المتقابلتين في واحدة ولا يجوز أن يكون قضيّتان متقابلتان على شرائط التقابل إلّا وأن يقسم تقسما الصدق والكذب، (فيكون الحقّ) في إحداهما دون الأُخرى، ومن المحال الحكم على المتخاصمين المتضادّين في أصول المعقولات بأنّهما محقّان صادقان.

وإذا كان الحقّ في كلّ مسألة عقليّة واحداً، فالحقّ في جميع المسائل يجب أن يكون فرقة واحدة، وإنّما عرفنا هذا أيضاً بالسمع، وعنه أخبر التنزيل في قوله تعالى:

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف:١٨١].

وأخبر النبيّ ﷺ:

«ستفترق أُمّتي ثلاث وسبعين فرقةً، الناجيةُ منها واحدةٌ، والباقون هَلكىٰ، قيل: ومَن الناجيةُ؟ قال: أهل السنّة والجماعة، قيل: وما السُّنّة والجماعة؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي»(٢٠٢).

---

(٢٠٢) قوله: ستفترق أُمّتي ثلاث وسبعين فرقة.

حديث معروف عند المتكلّمين، رواه أصحاب الحديث والجوامع الروائيّة من الشيعة والسنّة.

نُقل الحديث بعبارات مختلفة تفسّر بعضها البعض وأحسن التفسير وأتقنها ما روي عن أهل البيت ﷺ لأنّهم ﷺ أدرى بالبيت وأعلم بمقصود النبيّ ﷺ وعندهم من المعرفة والعلم والعصمة ما لا توجد عند غيرهم قطّ.

فإليك نصّ ما روي في المقام والتأمّل فيه:

١ ـ روى الصدوق في «معاني الأخبار» بإسناده عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:

«سيأتي على أُمّتي ما أتي على بني إسرائيل مثل بمثل، وانّهم تفرّقوا على اثنين وسبعين ملّة، وستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين ملّة تزيد عليهم واحدة، كلّها في النار غير واحدة»، قال: قيل: يا رسول الله ﷺ! وما تلك الواحدة؟ قال: هو ما نحن عليه اليوم أنا وأصحابي».

(معاني الأخبار باب معنى الفرقة الواحدة الناجية ص٣٢٣).

وأخرج مثله الترمذي في «الجامع» ج٥ ص٢٦، الحديث ٢٦٤١.

٢ ـ وروى الصدوق أيضاً في «الخصال» بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنّ بني إسرائيل تفرّقت على عيسى إحدى وسبعين فرقة، فهلك سبعون فرقة وتخلّص فرقة، وإنّ أمّتي ستفرّق على اثنين وسبعين فرقة يهلك إحدى وسبعون ويتخلّص فرقة، قالوا: يارسول الله ﷺ! مَن تلك الفرقة؟ قال: الجماعة الجماعة الجماعة». (الخصال أبواب سبعين وما فوقه ص٥٨٤). وأخرج قريب منه ابن حنبل في «مسنده» ج٣ ص١٤٥.

وأيضاً أبو داود في سننه ج٤ ص١٩٨، الحديث ٤٥٩٧، وابن ماجة في سننه ج٢ ص١٣٢٢، الحديث ٣ و٣٩٩٢، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم.

٣ ـ روى العلّامة الحلّي في «نهج الحقّ» ص ٣٣٠، عن الحافظ محمّد بن موسى الشيرازي في كتابه الذي استخرجه من التفاسير الاثنى عشر، كلّهم من السنّة والجمهور، رووا عن أنس بن مالك قال (في حديث) قال رسول الله ﷺ مخاطِباً لعليّ عليه السلام:

«يا أبا الحسن: إنّ أُمّة موسى افترقت إحدى وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النّار، وإنّ أُمّة عيسى افترقت أثنتين وسبعين فرقة، فرقة ناجية

وقال ﷺ:

«لا تزال طائفةٌ من أُمّتي ظاهرين على الحقّ إلى يوم القيامة»(٢٠٣).

وقال ﷺ:

والباقون في النار، فقال: يارسول الله! وما الناجية؟ فقال: المتمسّك بما أنت وأصحابك عليه».

رواه أيضاً السيّد المرعشي في «ملحقات إحقاق الحقّ» ج٧ ص١٨٤، عن العلّامة الشيخ حسين الصميري في كتابه «الإلزام».

٤ ـ وروى المجلسي في بحار الأنوار ج٢٨ ص١٣ الحديث ٢٠ عن كتاب «الفضائل» لابن شاذان، عن سليم بن قيس، عن عليّ بن أبي طالب ﷺ قال (في حديث): قال رسول الله ﷺ:

«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، سبعون فرقة في النار وفرقة واحدة في الجنّة وهي التي اتّبعت وصيّه، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون فرقة في النار وفرقة واحدة في الجنّة وهي التي اتّبعت وصيّه، وستفرق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنّة، وهي التي اتّبعت وصيّي وضرب بيده على منكبي».

وراجع أيضاً البحار ج٢٨ ص١٤ الحديث ٢١ و ٢٢.

٥ ـ وأخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» ج٥ ص٨، بإسناده عن عليّ ﷺ قال:

«تفرّق هذه الأُمّة على ثلاث وسبعين فرقة، شرّها فرقة تنتحل حبّنا وتفارق أمرنا».

وراجع تفسير المحيط الأعظم ج٣، ص١٠٤، التعليق ٥٩.

(٢٠٣) قوله: لا تزال طائفة من أُمّتي.

قد ورد الحديث بعبارات مختلفة، راجع «البحار» ج٥١ ص٨٨ رواه عن «كشف الغمّة»، وأيضاً «عمدة» في أخبار الإمام المهدي ﷺ، ص٤٣٢، الحديث ٩٠٤، وأيضاً «عوالي اللئالي» ج٤ ص٦٢، الحديث ١٣، وأيضاً سنن ابن ماجة ج١، المقدّمة باب اتّباع سنّة رسول الله ﷺ، ص٥ و ٦ الحديث ٦ إلى ١٠، وأيضاً مسند ابن حنبل ج٥ ص٢٦٨.

«لا تجتمع أُمّتي على الضلالة (ضلالة)»[٢٠٤].

هذا آخر كلامه في هذا الباب.

وهاهنا أبحاث واعتراضات وهي أن نقول: إنّ قوله:

«مَن الناجية من الفرق؟ قال: أهل السنّة والجماعة، قيل: وما السنّة والجماعة؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي» فالنقل قد ورد بغير هذه العبارة بروايتين: الأولى أنّه قال ﷺ:

«ما أنا عليه اليوم وأهل بيتي»[٢٠٥].

---

(٢٠٤) قوله: لا تجتمع.

رواه «تحف العقول» عن الإمام الهادي عليه السلام، عن رسول الله ﷺ، وقال الإمام الهادي عليه السلام بعد ذكره الحديث: «هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً».

ورواه الطبرسي في «الاحتجاج» ج ٢ ص ٢٥١، عن العسكري عليه السلام، عن رسول الله ﷺ، وقال عليه السلام في ذيله: «أنّ ما اجتمعت عليه الأُمّة ولم يخالف بعضها بعضاً هو الحقّ».

ورواه الديلمي في «إرشاد القلوب» ج ٢ ص ٢٦٤، قال:

روي عن الصادق عليه السلام: أنّ أبا بكر لقي أمير المؤمنين عليه السلام في سكّة من سكك بني النجّار، فسلّم عليه وصافحه وقال له: يا أبا الحسن أفي نفسك شيء من استخلاف الناس إيّاي وما كان من يوم السقيفة وكراهيّتك للبيعة؟ والله ما كان ذلك من إرادتي إلّا أنّ المسلمين أجمعوا على أمر لم يكن لي أن أُخالفهم فيه؛ لأنّ النبيّ ﷺ قال: «لا تجتمع أُمّتي على الضلال، فقال له أمير المؤمنين: يا أبا بكر أُمّته الذين أطاعوه من بعده وفي عهده، وأخذوا بهذا، وأوفوا بما عاهدوا الله عليه ولم يغيّروا ولم يبدّلوا». الحديث.

(٢٠٥) قوله: ما أنا عليه اليوم وأهل بيتي.

رواه المجلسي في «بحار الأنوار» ج٢٨ ص٤، الحديث ٤، عن الصدوق في «معاني الأخبار».

والثانية أنّه قال:

«ما أنا عليه اليوم وأصحابي من أهل بيتي».

وعلى كلا التقديرين أهل بيته أولى بالنجاة من غيرهم.

ومع ذلك إذا قال: «ما أنا اليوم وأصحابي»، فينبغي أن يثبت أوّلاً أنّ الذي كان هو عليه وأصحابه أيّ شيء هو؟ لأنّ الذي كان هو عليه وأصحابه لو كان معلوماً بالحقيقة ما وقع الخلاف بين الأمّة أصلاً، وما افترقوا إلى هذه الغاية، فالأصلح في هذا المقام أن نعدّ أهل بيته وأصحابه من الفرقة الناجية لا الهالكة، ونرجع فيه إلى الوجوه العقليّة:

أمّا الوجه الأوّل، فالذي قال بعض العلماء وهو قوله:

لسنا نشكّ أنّ طبقات الناس بحسب سيرهم التي اختاروها يتفنّنون بأجمعهم إلى أصناف ثلاثة وهم الملوك، والسوقة، والخلفاء، ثمّ كلّ واحدة من هذه الأصناف الثلاثة يتفنّنون بحسب أغراضهم إلى طوائف أربع: إحداها الطالبة للذّة، والثانية الطالبة للثروة، والثالثة الطالبة للرياسة، والرابعة الطالبة للمحمَدة.

ثمّ كلّ واحدة من هذه الطوائف الإثني عشرة يتفنّنون بحسب مذاهبهم إلى مآخذ ثلاثة: أحدها المكر والخديعة، الثاني القهر والغلبة، والثالث الرسم والسنّة.

ثمّ كلّ واحد من هؤلاء الستة والثلاثين إمّا أن يكون مجاهراً بمذهبه وإمّا أن يكون مداجياً به، فيكون مبلغ الفرق المؤثرة للدّنيا على الآخرة إلى هذا العدد، وهو الإثنان والسبعون.

وأمّا الناجية فهي التي جرّدت قصدها لطلب الفضيلة وهي في الحقيقة

قليلة العدد جدّاً، ولهذا قال تعالى:

﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣].

وقال الإمامؑ:

«هم (أولئك) والله الأعظمون (عند الله) قدراً والأقلّون عدداً آه آه شوقاً إلى رؤيتهم» [نهج البلاغة، الحكمة ١٤٧].

وفي هذا التقسيم نظر؛ لأنّ انحصار الناس في الملوك والسوقة والخلفاء غير صحيح.

وأمّا الثاني فالذي قال بعض العلماء أيضاً وهو قوله:

«الناس على ثلاث مراتب: ملوك، وعلماء، وعوام، وكلّ واحد منهم في جبلّته محبّة أربعة أشياء: الرياسة، والمحمدة، واللذّة، والثروة، وثلاثة في أربعة اثني عشر، وكلّ واحد من هؤلاء الإثني عشر لا يصل إلى مطلوبه إلّا بأحد ثلاثة أشياء: إمّا بالرسم والسنّة، أو بالقهر والغلبة، أو بالمكر والخديعة، فهذه ثلاثة أيضاً في اثنى عشر تبلغ ستّة وثلاثين، وكلّ واحد من هؤلاء إمّا أن يكون مجاهراً فيما يعتقده، أو مداجياً به فهذه إثنان وسبعون بعد ضرب الإثنين في الستّة والثلاثين، وكلّ هؤلاء هالكون بسبب العلائق، والفرقة الناجية ما عداهم. والله أعلم وأحكم».

وهذا التقسيم أيضاً فيه نظر مع أنّ المقصود يحصل منه.

والصحيح في التقسيم العقلي ما بيّناه في المقدّمة الأولى في هذا الكتاب عند بيان الحديث الوارد عن النبيّ ﷺ:

«إنّ للقرآن ظهراً وبطناً ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن[٢٠٦]».

وعند بيان قسمة الناس إلى سبعة أقسام مطابقاً للكواكب السبعة المتعلّقة بهم بحسب المعاش والمعاد الدائرة في البروج الإثنى عشرة التي يتعلّق بهم أيضاً في الصورتين.

(الفرقة الناجية هي أهل بيت العصمة والطهارة)

والغرض من ذلك كلّه أنّ الفرقة الناجية من الفرق كلّها هي أهل الله وخاصّته، وليس أهل الله وخاصّته في الحقيقة إلّا أهل بيت نبيّناﷺ ومن يكون على قدمهم حقيقة كما كان سلمان ؓ لقول النبيّﷺ:

«سلمان منّا أهل البيت[٢٠٧]».

وقد سبق هذا البحث أيضاً في المقدّمات، وفي هذا نكتة دقيقة لا يخفى على أهلها، ويعرف صدقها في الصورة الآتية في الدائرتين المجدولتين أحدهما لأهل الإسلام والثانية لأهل الكفر.

هذا ما قال في المقدّمة الأُولى بالنسبة إلى تقسيم أهل العالم ومذاهبهم واعتقادهم.

وأمّا ما قال في المقدّمة الثالثة في بيان أوّل شبهة وقعت في الخليفة ومن قصدها في الأوّل ومن مظهرها في الأخير فذلك قوله:

---

٢٠٦ ـ قوله: إنّ للقرآن ظهراً.

راجع تفسير المحيط الأعظم ج١، ص٢٠٣، التعليق ١٠.

٢٠٧ ـ قوله: سلمان منّا أهل البيت.

راجع تفسير المحيط الأعظم ج١ ص٤٣٣، التعليق ١١١.

«إعلم، أنّ أوّل شبهة وقعت في البرئة (الخليفة) شبهة إبليس لعنه الله، ومصدرها إستبداده بالرأي في مقابلة النصّ، واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بالمادّة التي خلق منها وهي النار على مادّة آدمؑ وهي الطين.

وانشعبت هذه الشبهة سبع شبهات وسارت في الخليفة وسَرَت في أذهان الناس حتّى صارت مذاهب بدعة وضلالة، وتلك الشبهات مسطورة في شرح الأناجيل الأربعة، ومذكورة في التوراة على شكل مناظرة (مناظرات) بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود وامتناع منه.

قال إبليس لعنه الله كما نقل عنه: إنّي سلمت أنّ الباري تعالى إلهي وإله الخلق، عالم، قادر، ولا يُسأل عن قدرته ومشيئته، فإنّه (وأنّه) مهما أراد شيئاً قال له كُن فيكون، وهو حكيم، إلّا أنّه يتوجّه على مساق حكمته أسئلة، قالت الملائكة: ما هي وكم هي؟ قال لعنه الله: سبع:

الأوّل منها أنّه علم قبل خلقه إيّاي أيّ شيء يصدر عنّي ويحصل، فلِمَ خلقني أوّلاً؟ وما الحكمة في خلقه إيّاي؟

والثاني، أو (إذ) خلقني على مقتضى إرادته ومشيئته فلِمَ كلّفني بمعرفته وطاعته؟ وما الحكمة في التكليف بعد أن لا ينتفع بطاعته ولا يتضرّر بمعصيته؟

والثالث، إذ خلقني وكلّفني فألزمت (فالتزمت) تكليفه بالمعرفة والطاعة فعرفت وأطعت، فلِمَ كلّفني بطاعة آدم والسجود له؟ وما الحكمة في التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي (إيّاه)؟

والرابع، إذ خلقني وكلّفني (على الإطلاق) بهذا التكليف على الخصوص فإذا لم أسجد فلِمَ لعنني وأخرجني من الجنّة وما الحكمة في ذلك بعد أن لم أرتكب قبيحاً إلّا قول: لا أسجد إلّا لك؟

والخامس، إذ خلقني وكلّفني مطلقاً وخصوصاً فلم أطع (فلعني وطردني) فلِمَ طرّقني إلى آدم دخلت الجنّة ثانياً وغرّرته بوسوستي، فأكل من الشجرة المنهيّ عنها وأخرجه من الجنّة معي؟ وما الحكمة في ذلك بعد (أن) لو منعني من دخول الجنّة استراح منّي آدم وبقي خالداً فيها؟

والسادس، إذ خلقني وكلّفني عموماً وخصوصاً، ولعني ثمّ طرّقني إلى الجنّة وكانت الخصومة بيني وبين آدم، فلِمَ سلّطني على أولاده حتى أراهم حيث لا يروني، ويؤثّر فيهم وسوستي ولا يؤثّر فيَّ حولهم وقوّتهم وقدرتهم واستطاعتهم، وما الحكمة في ذلك بعد أن لو خلقهم على الفطرة دون من يحتالهم عنها فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان أحرى بهم وأليق بالحكمة؟

السابع، سلمت هذا كلّه خلقني وكلّفني مطلقاً ومقيّداً، وإذ لم أطع فلِمَ لعني وطرّقني وإذا أردت دخول الجنّة مكّنني وطرّقني وإذا عملت عملي أخرجني، ثمّ سلّطني على بني آدم، فلِمَ إذا استهملته احملني؟ فقلت: «أنظرني إلى يوم يبعثون فقال: إنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم». وما الحكمة في ذلك بعد أن لو أهلكني في الحال استراح الخلق منّي وما بقي شرّ في العالم أليس بقاء العالم على نظام الخير خيرٌ من امتزاجه بالشرّ؟ فهذه حجّتي على ما ادّعيته في كلّ مسألة.

قال شارح الإنجيل: فأوحى الله تعالى إلى الملائكة كلّهم (قولوا له):

«إنّك في تسليمك الأوّل: أنّي إلٰهك وإلٰه الخلق غير صادق ولا مخلص، إذ لو صدّقت أنّي إلٰه العالم (العالمين) لما احتكمت عليَّ بلِمَ، فأنا الله الذي لا إله إلّا أنا، لا أُسئل عمّا أفعل، والخلق مسؤولون».

وهذا الذي ذكرته مذكور في التوراة، ومسطور في الإنجيل على الوجه الذي ذكرته، وقد مضى (وكنت) برهة من الزمان حتّى أتفكّر وأقول:

من المعلوم الذي لا مريّة فيه أنّ كلّ شبهة وقعت لبنيّ آدم، إنّما وقعت من إضلال الشيطان الرجيم ووساوسه ونشأت من شبهاته وإذ كانت الشبهات محصورة في سبع عادت كبار البدع والضلال (الضلالات) إلى سبع، ولا يجوز أن تعدوَ شبهات فرق الزيغ والكفر هذه الشبهات وإن اختلفت العبارات وتباينت الطرق، فإنّها بالنسبة إلى أنواع الضلالات كالبذور، ويرجع أمرها إلى إنكار الأمر الذي اعترف به (وترجع جملتها إلى إنكار الأمر) بعد الاعتراف بالحقّ وإلى الجنوح إلى الهوى في مقابلة النصّ، هكذا (هذا و) مَن جادل نوحاً ﷺ وهوداً وصالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيب وموسى وعيسى ومحمّد صلوات الله عليهم أجمعين، كلّهم نسجوا على منوال اللعين الأوّل إبليس في شبهاته، وحاصلها يرجع إلى دفع التكليف عن أنفسهم وجحد أصحاب الشرائع والتكاليف بأسرهم، إذ لا فرق بين قولهم:

﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾[التغابن:٦].

وبين قوله:

﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ [الإسراء:٦١].

وعن هذا صار مفصل الخلاف ومحزّ الافتراق ما هو في قوله:

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَسُولاً﴾ [الإسراء:٩٤].

فتبيّن أنّ المانع من الإيمان (هو هذا المعنى) هو معنى قوله كما قال في الأوّل (كما قال في المتقدّم في الأوّل):

﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [الأعراف:١٢].

وقال المتأخّرون من ذرّيته كما قال المتقدّم:

﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ [الزخرف:٥٢].

وكذلك لو تعقّبنا أحوال المتقدّمين منهم ووجدناها مطابقة لأقوال المتأخّرين،

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة:١١٨].

﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [يونس:٧٤].

فاللعين الأوّل لمّا ان حكم العقل على من لا يحتكم (يحكم) عليه العقل لزمه أن يجري حكم الخالق في الخلق، أو حكم الخلق في الخالق، والأوّل غلوّ والثاني تقصير.

فثار من الشبهة الأولى مذاهب: الحلوليّة، والتناسخيّة، والمشبّهة، والغلاة من الرافضة حيث غلوا في شخص من الأشخاص حتّى وصفوه بصفات الجلال (بأوصاف الإله).

وثار من الشبهة الثانية مذاهب: القدريّة، والجبريّة، والمجسّمة حيث قصروا في وصفه تعالى (حتّى وصفوه) بصفات المخلوقين.

والمعتزلة مشبهة الأفعال، والمشبّهة حلوليّة الصفات، وكلّ وحد منهم أعور بأيّ عينيه شاء، فإنّ من قال: إنّما يحسن منه ما يحسن منّا ويقبح منه ما يقبح منّا فقد شبّه الخالق بالخلق.

ومن قال: يوصف الباري تعالى بما يوصف به الخلق أو يوصف الخلق بما يوصف به الباري عزّ اسمه فقد اعتزل عن الحقّ، وسنح القدريّة طلب العلّة في كلّ شيء، وذاك من سنح اللعين الأوّل؛ إذ طلب العلّة في الخلق أوّلاً، والحكمة في التكليف ثانياً، والفائدة في تكليف سجوده (السجود) لآدمعليه السلام ثالثاً، وعنه نشأت مذاهب الخوارج، إذ لا فرق بينهم في قولهم: «لا حكم إلّا لله، ولا يحكم الرجال» وبين قوله: لا أسجد إلّا لك، ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ﴾[الحجر:٣٣].

وبالجملة «كلا طرفي قصد الأمور ذميم».

فالمعتزلة غلوا في التوحيد حتّى وصلوا إلى التعطيل بنفي الصفات، والمشبّهة قصّروا حتّى وصفوا الخالق بصفات الأجسام، والروافض غلوا في النبوّة والإمامة حتّى وصلوا إلى الحلول، والخوارج قصروا حين نفوا تحكيم الرجال.

وأنت ترى أنّ هذه الشبهات كلّها ناشئة من شبهات اللعين الأوّل، وتلك في الأوّل مصدرها وهذه في الأخير هو مظهرها وإليه أشار التنزيل في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة:١٦٨].

وشبّه النبيّصلى الله عليه وآله كلّ فرقة ضالّة من هذه الأمّة بأُمّة ضالّة من الأمم

السالفة، فقال: «القدريّة مجوس هذه الأُمّة»(٢٠٨)، وقال: «المشبّهة يهود هذه الأُمّة»، و«الرافضة نصارها».

وقال ﷺ جملة: «لتسلكنّ سبيل (سُبُل) الأُمم قبلكم حَذْوَا النعل

---

(٢٠٨) قوله: القدريّة مجوس هذه الأُمّة.

روى الصدوق في «عقاب الأعمال» الباب ١٠ الحديث ١٠ ص ٢٥٤، بإسناده عن أمير المؤمنين ؑ قال:

«لكلّ أُمّة مجوس، ومجوس هذه الأُمّة الذين يقولون بالقدرة، (لا قدر)».

وعنه البحار ج٥، ص ١٢٠، الحديث ٥٨.

وروى أيضاً في «التوحيد» باب القضاء والقدر، الحديث ٢٩، ص٣٨٢، بإسناده عن الإمام الصادق ؑ قال:

«إنّ القدريّة مجوس هذه الأُمّة، وهم الذين أرادوا أن يصفوا الله بعدله فأخرجوه من سلطانه، وفيهم نزلت هذه الآية:

﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر * إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر﴾ (القمر: ٤٩).

روى القمّي في تفسيره سورة الأنعام، الآية ٣٩ ج١ ص١٩٨، بإسناده عن الإمام الباقر ؑ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لكلّ أُمّة مجوس، ومجوس هذه الأُمّة الذين يقولون لا قدر، ويزعمون أنّ المشيئة والقدرة إليهم ولهم».

وراجع أيضاً نفس التفسير ج١ ص٢٢٦، سورة الأعراف، الآية ٣٠.

وروى السبزواري في «جامع الأخبار» الفصل ١٢٦، ص٤٥٩، الحديث ٤/١٢٨٩ عن رسول الله ﷺ قال:

«القدريّة مجوس هذه الأُمّة، خصماء الرحمن، وشهداء الزور».

وروى ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج١ ص١٦٦ الحديث ١٧٥، عن رسول الله ﷺ قال:

«القدريّة مجوس هذه الأُمّة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»

بالنعل والقُذّةِ بالقُذّة حتّى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه». صدق رسول الله[٢٠٩].

هذا ما قال في المقدّمة الثالثة، وأمّا في المقدّمة الرابعة فبعد كلامٍ يسير قال:

وإذا تعيّنت المسائل التي هي قواعد الخلاف تبيّنت أقسام الفرق الإسلامية، وانحصرت كبارها في أربع، بعد أن يداخل في بعض وهي هذه:

كبار الفرق الإسلاميّة أربع: القدريّة، الصفاتية، الخوارج، الشيعة، ثمّ يتركّب بعضها مع بعض وينشعب عن كلّ فرقة أصناف، فيصل إلى ثلاث وسبعين فرقة كما أشار إليه النبيّ ﷺ.

أهل الكتاب والأمّيّون: الفرقتان المتقابلتان قبل البعث (المبعث) هم الكتّاب والأمّيون، والأمّي لا يعرف الكتابة، وكانت اليهود والنصارى بالمدينة، والأمّيّون بمكّة.

وأهل الكتاب كانوا ينصرون دين الأسباط، ويذهبون مذهب بني إسرائيل، والأمّيون كانوا ينصرون دين القبايل، ويذهبون مذهب بني

---

(٢٠٩) قوله: لتسلكنّ سُبل الأُمم.

رواه النعمان المغربي في «دعائم الإسلام» ج١ ص١، ورواه صاحب التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام ص٤٨١، الحديث ٣٠٩، ورواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي، ج١ ص٣١٤، الحديث ٣٣.

وأخرجه مسلم في صحيحه ج٤ ص٢٠٥٤، الحديث ٢٦٦٩، كتاب العلم، الباب، ٣، وأخرجه ابن ماجة في سننه ج٢، كتاب الفتن، باب افتراق الأُمم، الحديث ٣٩٩٤، ص١٣٢٢.

إسماعيل.

ولمّا انشعب النور الوارد من آدمﷺ إلى إبراهيمﷺ، ثمّ الصادر عنه إلى شعبتين: شعبة في بني إسرائيل، وشعبة في بني إسماعيل، وكان النور المنحدر منه إلى بني إسرائيل ظاهراً، والنور المنحدر منه إلى بني إسماعيل مخفيّاً. كان يستدلّ على النور الظاهر بظهور الأشخاص وإظهار النبوّة في شخص شخص، ويستدلّ على النور المخفيّ بإبانة المناسك والعلامات وستر الحال في الأشخاص.

وقبلة الفرقة الأولى بيت المقدس، وقبلة الفرقة الثانية بيت الله الحرام، وشريعة الأولى ظواهر الأحكام وشريعة الثانية رعاية المشاعر الحرام، وخصماء الفريق الأوّل الكافرون مثل فرعون وهامان، وخصماء الفريق الثاني المشركون من عَبَدة الأصنام والأوثان، فتقابل الفريقان وصحّ التقسيم بهذين المتقابلين. والله أعلم بحقائق الأمور ومصادرها.

هذا ذكر أهل الكتاب وتقسيمهم، وأمّا ذكر من له شبهة كتاب كالمجوس والمانوية فسيجيء عند التفصيل مبسوطاً، لأنّ هذا إجمال، هذا ما قال صاحب الملل والنحل في الكفّار والمشركين في حديثه المتقدّم.

هذا بالنسبة إلى أهل الإسلام وانقسامهم في الأعداد المذكورة كما سنبيّنه إن شاء الله مفصّلاً مجدولاً في دايرتهم المخصوصة بهم.

وأمّا بالنسبة إلى أهل الكفر وانقسامهم في أعداد معيّنة مطابقاً للأعداد المذكورة الآتية ذكرها في دائرتهم المخصوصة بهم، فما قال أيضاً صاحب الملل والنحل في كتابه المذكور، ثمّ الغزالي رحمة الله عليه في بعض

رسائله، أمّا ما قال صاحب الملل والنحل فهو قوله[٢١٠]:

«ومن ذلك الخارجون عن الملّة الحنفيّة والشريعة الإسلاميّة ممّن يقول بشريعة وأحكام وحدود، وأعلام، وهم قد انقسموا إلى من له كتاب محقّق مثل التوراة والإنجيل، ومن هذا يخاطبهم التنزيل: «يا أهل الكتاب». وإلى من له شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية.

فإنّ الصحف التي أُنزلت على إبراهيمﷺ قد رفعت إلى السماء لأحداث أحدثها المجوس، ولهذا يجوز عقد العهد والذمام معهم ويُنحىٰ بهم نحو اليهود والنصارى، إذ هم من أهل الكتاب، ولكن لا يجوز مناكحتهم، ولا أكل ذبائحهم، فإنّ الكتاب قد رُفع عنهم.

فنحن نقدّم ذكر أهل الكتاب ونؤخّر ذكر من له شبهة كتاب.

وأمّا ما قال الغزالي فهو قوله:

إعلم أنّهم على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: الدهريّون، والطّبيعيّون، والإلهيّون.

الصنف الأوّل، وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبّر الحكيم العالم القادر، وزعموا أنّ العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه بلا صانع ولم يزل الحيوان من نطفة والنطفة من حيوان كذلك كان وكذلك يكون أبداً وهؤلاء هم الزنادقة.

الصنف الثاني، الطبيعيّون وهم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة من عجائب الحيوان والنبات، وأكثروا الخواصّ في علم التشريح لأعضاء

---

(٢١٠) الباب الثاني ص٢٠٨.

الحيوانات فرأوا فيها من عجائب صنع الله وبديع حكمته ما اضطرّوا معه إلى الاعتراف بفاطر حكيم مطّلع على غايات الأمور ومصادرها ولا يطالع مطالع علم التشريح وعجائب منافع الأعضاء إلّا ويحصل له هذا العلم الضروري بكمال تدبير الباني لبنية الحيوان لاسيّما بنية الإنسان إلّا أنّ هؤلاء لكثرة عن الطبيعة ظهر عندهم الاعتدال المزاج تأثير عظيم في قيام قوى الحيوان به وظنّوا أنّ القوّة العاقلة في الإنسان وأنّها تبطل ببطلان مزاجه فينعدم.

ثمّ إذا انعدم فلا يعقل إعادة المعدوم فذهبوا إلى أنّ النفس تموت ولا تعود فجحدوا الآخرة وأنكروا الجنّة والنار والقيامة والحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب وللمعصية عقاب فانحلّ عنهم اللجام، وانهمكوا في الشهوات إنهماك الأنعام، وهؤلاء أيضاً زنادقة لأنّ أصل الإيمان هو الإيمان بالله وباليوم الآخر وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر وإن آمنوا بالله وصفاته.

الصنف الثالث، الإلهيّون وهم المتأخّرون منهم مثل سقراط وهو أُستاذ افلاطون، وأفلاطون هو أُستاذ أرسطاطاليس، وأرسطاطاليس هو الذي رتّب المنطق وهذّب العلوم، وخمّر لهم ما لم يكن مخمّراً من قبل، وأنضج لهم ما كان نضجا من العلوم، فهم بجملتهم ردوا على الصنفين الأوّلين من الدهريّة والطبيعيّة، وأوردوا من الكشف عن فضائحهم ما أغنوا به غيرهم وكفى الله المؤمنين القتال.

ثمّ ردّ سطاطاليس على أفلاطون وسقراط ومن كان قبله من الإلهيّين ردّاً لم يفض فيه حتّى تبرّأ عن جميعهم إلّا أنّه استبقى أيضاً من رذائل

كفرهم وبدعتهم بقايا، لم يوفّق للشروع فيها، فوجب تكفيرهم وتكفير متّبعيهم من متفلسفة الإسلاميّين كابن سينا، والفارابي وأمثالهم.

على أنّه لم يقم بنقل علم أرسطا طاليس أحد من متفلسفة الإسلاميّين كقيام هذين الرجلين، وما نقله غيرهم ليس يخلو عن ضبط وتخليط ينضجر قلب المطالع، وينكدر طبيعته حتّى لا يفهم وما لا يفهم كيف يردّ.

ومجموع ما صحّ عندنا من فلسفة ارسطا طاليس بحسب نقل هذين الرجلين تنحصر في أقسام: قسم يجب التكفير، وقسم يجب التبديع، وقسم لا يجب إنكاره أصلاً والله أعلم وأحكم».

والغرض من هذين النقلين بعد نقل الأوّل المتعلّق بأهل الإسلام تحقيق الكفر وإطلاقه على أهل الأديان والملل والآراء والنحل، وقد استوفى الكلام في هذا صاحب الملل والنحل في كتابه، وكذلك الغزالي في كتبه وتصانيفه سيّما في (فيصل التفرقة بين الكفر والزندقة»، فإن أردت البسط في ذلك فاطلب من هناك فإنّ هذا المكان لا يسع غير ما ذكرناه، وحيث فرغنا من هذا إجمالاً فلنشرع فيه تفصيلاً على سبيل الاختصار ثمّ نشكلهما في صورة الدائرتين المذكورتين إحداهما لأهل الإسلام، والثانية لأهل الكفر على ما شرطناه أوّلاً وهو هذا وبالله التوفيق.

هذا ذكر المذاهب المذكورة على سبيل التفصيل اختصاراً، نقلاً عن الملل والنحل بعد إجمالها ثمّ تشكيل ذلك كلّه وتعيينه في الدائرتين.

اعلم أنّ صاحب الملل والنحل ذكر كلّ طائفة طائفة من الفريقين وذكر أتباعهما وتابعيهما بعدهما بلا فصل فنحن نريد أن نذكر هاهنا كذلك ليسهل على الطالب ضبطه وعلى الحافظ حفظه.

فقوله في أوّل الكتاب (ص٢٧) وهو الذي قال:

«مذاهب أهل العالم من أرباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل من لدن آدمﷺ إلى آخر الزمان منقولة عن كتب طائفة منهم بعباراتهم واصطلاحاتهم من غير ميل إلى طرف ولا نقص في أحد منهم بغير حقّ.

منها أرباب الديانات والملل فمن له كتاب منزل ورسول معيّن أو شبهة كتاب أو حدود وأحكام من حلال وحرام وهم فرق المسلمين وفرق النصارى واليهود والمجوس وبعض الصابئة، وقد قال النبيّﷺ:

«ستفرق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة والباقون هلكى»، قيل: ومَن الناجية؟ قال: «أهل السنّة والجماعة» قال: «اللّهمّ ما أنا عليه وأصحابي».

وقالﷺ:

افترقت المجوس على سبعين فرقة، واليهود على إحدى وسبعين، والنصارى على اثنين وسبعين فرقة، والناجية أبداً من الفرق كلّها واحدة، قال الله تعالى:

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف:١٨١].

وقد سبق منّا الإسرار على هذا البحث لأجل التخصيص وكذلك تعيين الناجية من الفرق تعريضاً لا تصريحاً احترازاً عن أهل الجهل والغيّ واجتناباً عن أرباب الكفر والضلال لقوله تعالى:

﴿لَا يَتَّخِذْ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنْ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمْ اللهُ نَفْسَهُ

وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨].

فمن ذلك المسلمون القائلون بالدّين الحقيقي وشرع الرسول النبيّ الأُمّي المصطفى ﷺ الذي عليه القرآن، هدىً للناس وبيّنات من الهدى والفرقان، وأُوتي جوامع الكلم لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، وهم أهل القبلة كلّهم وأهل الصلاة والزكاة والصوم والحجّ والجهاد والحلال والحرام، وقد قسّمهم الخبر إلى الناجية والهالكة، وقسّمهم العبارة إلى أهل الأُصول وأهل الفروع.

أهل الأُصول

منها المتكلّمون في التوحيد والعدل وإثبات الصفات للباري تعالى ونفيها، والتميّز بين الصفات الذاتية والصفات الأفعاليّة، وبيان ما يجب له تعالى، وما يجوز عليه ويستحيل في حقّه، والمتكلّمون في القدر خيره وشرّه من الله تعالى أم من العباد، وفي قدرة البشر أهم صالحة للإيجاد أم غير صالحة، وفي الوعد والوعيد والأسماء والأحكام والتحسين والتقبيح والسمع والعقل، وإثبات النبوّات والمعجزات وإثبات الإمامة والخلافة بالنصّ أو بالاختيار، وأمثال ذلك ممّا يتعلّق بعلم الأُصول.

ومن ذلك المعتزلة القائلون بالتوحيد والعدل، وأنّ المعارف كلّها عقلية حصولاً وجوباً قبل الشرع، (واختلفوا في الإمامة هل الإمامة بالاختيار، أو بالنصّ).

فمنهم:

١ ـ **الواصليّة**: أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطا الغزّال، تلميذ الحسن بن أبي الحسن البصري.

وأنّ واصل أخذ الاعتزال من أبي هاشم عبدالله بن محمّد الحنفيّة وخالفه في الإمامة، واعتزاله يدور على أربع قواعد.

٢ ـ **الهذيليّة**: أصحاب أبي الهذيل حمدان بن هذيل العلّاف، شيخ المعتزلة، أخذ الاعتزال من عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطا، وطالع كتب الفلاسفة ووافقهم في كثير من مسائلهم، وامتاز عن أصحابه بعشر مسائل.

٣ ـ **النظاميّة**: أصحاب إبراهيم بن سيّار (يسار) النظام كبش المعتزلة، طالع كتب الفلاسفة وخلط، وامتاز عن أصحابه باثني عشر مسألة.

٤ ـ **الخابطيّة**: أصحاب أحمد بن خابط، **والحديثيّة** أصحاب فضل بن عمر الحدثي، وهما من أصحاب النظام طالعا كتبه وكتب الفلاسفة، وامتازا عن أصحابهما بثلاث بدع.

٥ ـ **البشْريّة**: أصحاب بشر بن المعتمر، أفضل علماء المعتزلة، امتاز عن أصحابه بستّ مسائل.

٦ ـ **المُعَمّريّة**: أصحاب مُعمّر بن عاد (عباد) السلمي، أغلاهم في نفي الصفات ونفي القدر والتكفير، وامتيازه عن أصحابه بأربع مسائل.

٧ ـ **المُرداريّة**: أصحاب أبي موسى عيسى بن صبيح الملقّب بالمردار، تلميذ بشر بن المعتمر، ويسمّى راهب المعتزلة، وامتاز عن أصحابه بثلاث مسائل.

٨ ـ **الثماميّة**: أصحاب ثمامة بن أشرس النميري كان جامعاً بين سخافة الدِّين وخلاعة النفس، مع أنّ اعتقاده أنّ الفاسق يخلد في النار إذا

مات على فسقه من غير توبة، وامتاز عن أصحابه بستّ مسائل.

٩ ـ **الهشاميّة**: أصحاب هشام بن عمرو الفُوَطي شديد القول في القدر، خيره وشرّه من العبد بعد النظر في السمع والعقل، صاحبه عبّاد بن محمّد، وامتاز عن أصحابه بسبع مسائل.

١٠ ـ **الجاحظيّة**: أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ، أفضل الزمان لغةً وفصاحة، وأكثرهم تصنيفاً، طالع كتب الفلاسفة كثيراً، وخلط، وانفرد عن أصحابه بخمس مسائل.

١١ ـ **الخيّاطيّة**: أصحاب أبي الحسن بن أبي عمرو الخيّاط، أُستاذ أبي القاسم ابن محمّد البلخي الكعبي، وهما على مذهب واحد، وبينهما وبين النصيريّة خلاف في عشر مسائل.

١٢ ـ **الجُبّائيّة**: أصحاب أبي عليّ محمّد بن عبد الوهاب الجُبّائي، وأصحاب ابنه أبي هاشم عبد السّلام، وهما على مذهب واحد سوى مسألة الحال، والمسائل التي تبتني عليها وجرى بينهما تكفير فيها، وكذلك في مسائل الصلاح والأصلح، وامتاز عن أصحابه بعشر مسائل، ومن ذلك الجبريّة القائلون بالجبر في أفعال العباد لا يثبتون للعبد قدرة واستطاعة، وهم الجبريّة الخالصة التي لا يثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، والجبريّة المتوسّطة هم الذين يثبتون للعبد قدرة غير مؤثّرة أصلاً.

والجبريّة أيضاً أصناف:

١ ـ **الجهميّة**: أصحاب جهم بن صفوان، ظهرت بدعته بترمذ، وقبله سالم بن أحوز المازني بمرو وهو من الجبريّة الخالصة، وافق المعتزلة في

نفي الصفات، وخالفهم في الجبر والقدر وإثبات علوم لله تعالى حادثة لا في محلّ.

٢ ـ النجّاريّة: أصحاب الحسين بن محمّد النجّار، وهم فرق برغوثيّة وزعفرانيّة ومستدركة، وافقوا المعتزلة في نفي الصفات، وخالفوهم في خلق أفعال العباد ومسائل القدر خيره وشرّه من الله، ولهم مسائل قد انفردوا بها عن الفرق كلّها.

٣ ـ الضراريّة: أصحاب ضرار بن عمرو وأصحاب حفص الفرد، وهما على مذهب واحد في نفي القدرة الحادثة وتأثيرها وحمل قدرة الله تعالى على أنّه ليس بعاجز ولا جاهل، ومن ذلك:

الصفاتيّة: القائلون بإثبات الصفات الأزليّة للباري تعالىٰ معان موجودة زائدة على الذات، أو إثبات حادثة في الذات، أو تسمية الوجه واليدين بالصفات الخبرية، والقول بظواهر الكتاب والسنّة دون التعرّض للتأويل، وكلّهم على أنّ الإمامة بالاختيار دون النصّ فمنهم:

١ ـ الأشعريّة والكلابيّة: أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تلمّذ للجبائي مدّة، ثمّ أعرض عنه وألجأ إلى الكلابيّة أصحاب عبدالله سعيد الكلابي واختار مذهبه في إثبات الصفات وإثبات القدرة خيره وشرّه من الله، وأبطل القول بتحسين العقل وتقبيحه ومسائل الصلاح والأصلح، وأنّ العقل لا يوجب المعارف قبل السمع، فالمعارف تحصل بالعقل ويجب بالسمع ولا يجب على الله تعالى شيء بالعقل، والنبوّات من الجائزات العقليّة والواجبات السمعيّة، وأبو العبّاس القلايسي والكلالي والحرث بن الأسد المحاسني على مذهب واحد.

٢ ـ المُشبِّهيّة، والحنابلة: أصحاب أحمد بن حنبل، والداوديّة أصحاب داودبن علي الاصفهانيّ، والسفيانيّة أصحاب سفين، كلّهم اتّفقوا على إثبات الصفات وأجروا ما ورد في الكتاب والسنّة على ظواهرها من غير تعرّض للتأويل، وبعضهم احترز عن التشبيه وأكثر السلف على ذلك، ووافقهم جماعة من المتأخّرين مثل مضر بن فلان، وكهمش وأحمد الهجيمي، وداود الحوازني، وميلهم إلى الحلول ومذهبهم في السمع والعقل والنبوّات والإمامة كمذهب الأشعري.

٣ ـ الكراميّة: أصحاب أبي عبدالله محمّد بن كرام، وهم مجسّمة مشبّهة وُحاش على آراء ومذاهب وأصولها ستّة:

العابديّة، والتونيّة، والزرينيّة، والإسحاقيّة، والواحديّة، والهيصميّة، محمّد بن الهيصم أقربهم في نفي التشبيه وادماء الحلل، الرافع في مذهب صاحبه، وافقوا المعتزلة في العقل والسمع، وأنّ المعارف يجب بالعقل، وخالفوهم في كثير من مسائل التحسين والتقبيح.

ومنهم عرف الخوارج ومن ذلك: **الخوارج**

وهم الناكثون والقاسطون والمارقون الذين خرجوا على عليّ عليه السلام وتبرّؤوا منه. فمنهم من كان معاصراً له مثل عبدالله بن الكوّا، وغياث الأعور، وعبدالله بن وهب الراشي، وعروة بن جرير، وزيد بن عاصم المجاري، وهرقوص بن زهير البجلي، وهو ذو الثدية، ومنهم من.... وهم العشرة الذين أفلتوا يوم النهر فوقع رجلان منهم بسجستان، ورجلان بعمّان، ورجلان بكرمان، ورجلان بالجزيرة، ويجمعهم القول بتولّي الصهرين والتبرّي عن (عثمان وعليّ عليه السلام)، والإمامة عندهم بالاختيار لكلّ

مسلم ضابط للبيضة، قرشيّ وغير قرشيّ، وهم أصناف:

١ ـ المُحكّمة الأولى: وهم الذين خرجوا على عليّ عليه السلام يوم صفّين وأشدّهم خروجاً الأشعث بن قيس، ومسعود بن فدكي التميمي، وزيد بن حصّن (حصين) الطائي، حملوه على وضع الحرب بأوزارها، والتحاكم إلى كتاب الله، والتحكيم إلى من يحكم بكتاب الله، ثمّ تبرّؤا منه بالتحكيم الذي هم تولّوه وقالوا: لا حكم إلّا لله، ولا يحكم الرجال، وانحازوا عنه إلى حروراء، ثمّ إلى النهروان، وكلّهم قد خرجوا من ضيضى ذلك الرجل الملعون المنافق ذي الخويصرة التميمي وقتلهم عليّ عليه السلام بالنهروان وفيهم ذو الثدية المخرج كما أمر النبيّ صلى الله عليه وآله:

«فإذا أدركتهم فاقتلهم قتل ثمود»(٢١١).

٢ ـ الأزارقة: أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق الذي خرج بالبصرة

---

(٢١١) روى الصدوق

في «الخصال» أبواب السبعين وما فوقه، باب لأمير المؤمنين عليه السلام سبعون منقبة، الحديث ١، ص٥٧٢، بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال (في حديث طويل): قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، إلى أن قال: قلت: يارسول الله! فمن المارقين؟ قال:

«أصحاب ذي الثُّدَّية وهم يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرميّة، فاقتلهم فإنّ في قتلهم فرجاً لأهل الأرض»، الحديث.

وأخرج أبو داود في سننه ج ٤، كتاب السنّة، باب في قتال الخوارج، الحديث ٤٧٦٤ ص٢٤٣، بإسناده عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في رجل:

«إنّ في عقب هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مُرُوق السهم من الرميّة، يقتلون أهل الإسلام ويَدَعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم قتلتهم قتل عاد».

واستولى عليها وعلى الأهواز وفارس وكرمان في أيّام عبدالله بن الزبير، والأُمراء الذين خرجوا معه عطيّة بن أسود الحنفي، وعبدالله بن ماخون (ماحوز)، وأخواه عثمان والزبير، وعمرو بن عمير عميري (العنبري)، وقطري بن فجاة المازني وعبيدة بن هلال اليشكري، وأخوه محرن وصخر بن حينا التميمي وصالح بن مخراق العبدي وعبدالله الكبير وعبد ربّه الصغير كلّهم على التبرّي من عثمان وعليّ واللعن عليهما لعنهم الله في الدُّنيا والآخرة.

٣ ـ النَّجَدات العاذِريّة: أصحاب نجدة بنعامر الحنقي الذي خرج باليمامة، والجاز (فاستقبله) إليه أبو فديك، وعطيّة بن الأسود الحنفي، وسمّوه أمير المؤمنين، وصار عطيّة إلى سهلسان، وأظهر مذهبه ثمّة، ويقال لهم العطريّة.

٤ ـ البَيْهسيّة: أصحاب أبي بيهس الهيصم بن جابر، وهو أحد بني سعد بن ضبيعة، وكان الحجّاج بن يوسد يطلبه فهرب إلى المدينة فظفر به عثمان بن حيّان، وكان يسامره إلى أن ورد كتاب وليد بن هشام فأمر بقطع يديه ورجليه وقتله وصلبه.

٥ ـ العَجَارِدَة: أصحاب عبد الكريم بن عجرد، وافق النجدات والبَيْهسيّة في بعض مسائلهم وهم أصناف:

أ ـ الصلتيّة، أصحاب عثمان بن أبي الصلت (أو) الصلت بن أبي الصلت.

ب ـ الميمونيّة، أصحاب ميمون بن عمران (خالد).

ج ـ الحَمْزِيّة، أصحاب حمزة بن أدرك.

د ـ الخَلفيّة، أصحاب خلف عمرو الخارجي، ومنهم (هم) خوارج كرمان ومكران.

هـ ـ الأطرافيّة، عذروا أصحاب الأطراف في ترك ما لم يعرفوه من الشريعة.

و ـ الشُّعبيّة (الشُعيبيّة)، أصحاب شعب (شعيب) بنْ محمّد.

ز ـ الحازميّة، أصحاب حازم بن عاصم.

الثعالبة

أصحاب ثعلبة بن عامر، كان مع عبد الكريم بن عجرد يداً واحدة، ثمّ اختلفوا وتبرأ كلّ واحد منهما عن صاحبه وهم أصناف:

أ ـ الأخنسيّة، أصحاب أخنس بن قيس.

ب ـ المَعْبَديّة، أصحاب معبد بن عبد الرحمن.

ج ـ الرَّشيديّة، أصحاب رشيد الطوسي وهم العشريّة.

د ـ الشيبانيّة، أصحاب شيبان بن سلمة، الخارج في أيّام أبي مسلم، وهو المعين له ولعليّ الكرماني على نصر بن سيّار.

هـ ـ المُكْرَميّة، أصحاب مُكرم بن عبدالله العجليّ.

و ـ المَعلوميّة والمَجهوليّة، كانوا في الأصل خارجيّة (حازميّة)، ثمّ صاروا من الثعالبة.

الإباضيّة

أصحاب عبدالله بن إباض الذي خرج في أيّام مروان بن محمّد،

فوجّه إليه عبدالله بن محمّد بن عطيّة فقاتله بتبالة، وقيل: إنّ عبدالله بن يحيى الإباضيّ كان يوافقه في مذاهبه وأفعاله، وهم أصناف:

أ ـ الحارثيّة، أصحاب الحارث بن محمّد الاباضيّ، خالف الإباضيّة في قوله بالقدر.

ب ـ الحَفْصيّة، أصحاب حفص بن أبي المقداد.

ج ـ البريديّة، أصحاب بريد بن أقيسة، يتولّى الإباضيّة والمحكمة الأُولى، وتبرّأ من سائر الخوارج.

(اليزيديّة، أصحاب يزيد بن أنيسة الذي قال بتولّي المحكمة الأُولى قبل الأزارقة، وتبرّأ من بعدهم إلّا الإباضيّة فإنّه يتولّاهم).

الصفريّة

أصحاب زياد بن الأصفر، خالف الأزارقة والنجدات والعجاردة في مسائل وتولّى الاباضيّة.

ومن ذلك:

المرجئة

القائلون بإرجاء العمل عن السنّة (النيّة) والاعتقاد، وترجئة المسلم بأنّه لا يضرّ مع الإيمان عصيان كما لا ينفع مع الكفر طاعته، وهم أصناف: مرجئة القدريّة، ومرجئة الجبريّة، ومرجئة الخوارج، والمرجئة الخالصة، وكلّهم على أنّ الإمامة بالاختيار، وهؤلاء ستّة:

اليونسيّة، أصحاب يونس بن النميري.

العُبيديّة، أصحاب عبيد بن المكتب (المكتئب).

الغَسّانيّة، أصحاب غسّان بن أبان الكوفي.

الثوبانيّة، أصحاب ابن (أبي) ثوبان المرجئ.

التُّومنيّة، أصحاب أبي معاذ التومني.

الصالحيّة، أصحاب صالح بن عمرو بن الصالحي، وأبو شمر غيلان بن أبي غيلان الدمشقي، ومحمّد بن شبيب الخالدي جمعوا بين القدر والإرجاء.

ومن ذلك:



الشيعة

القائلون بإمامة عليّ ﷺ بالنصّ والتعيين، أو بالوصف والتعريض، وسوق الإمامة إلى أولاده دون غيرهم، والوقف والانتظار والرجعة من مقالاتهم، والقول بعصمة الأئمّة من مذاهبهم، وهم خمس فرق كبار: الكيسانيّة، والزيديّة، والإماميّة، والغلاة النصيريّة، والإسماعيليّة، وكلّ واحدة من هذه الفرق ينقسم إلى أصناف متعدّدة كما ستعرفها إن شاء الله.

أمّا الكيسانيّة

فأصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين عليّ ﷺ، وكان السيّد محمّد بن الحنفيّة رضي الله عنهم قد علّمه العلوم الدقيقة وأفضى إليه الأسرار اللطيفة، وأرشده إلى التأويلات العجيبة وهم غيّروا وبدّلوا، وهم فرق:

المختاريّة، أصحاب المختار بن عبيد، كان خارجيّاً، ثمّ صار

زبيريّاً، ثمّ صار (شيعيّاً) (ثمّ) كيسانيّاً وقال بموالاة محمّد بن الحنفيّة.

الهاشميّة، أصحاب أبي هاشم بن محمّد بن الحنفيّة يدّعي انتقال الإمامة من أبيه إليه.

الرزاميّة، أصحاب رزام بن رزم، ساقوا الإمامة من عليّ إلى ابنه محمّد، ثمّ إلى ابنه أبي هاشم، ثمّ إلى عليّ بن عبدالله بن عبّاس بالوصيّة، ثمّ إلى محمّد بن عليّ وأوصى محمّد إلى ابنه إبراهيم الإمامة صاحب أبي مسلم.

البنانيّة (البيانيّة)، أصحاب بنان (بيان) بن سمعان النهندي، ادّعى انتقال الإمامة من أبي هاشم إليه، وقال إلى التشبيه والحلول.

وأمّا الزيديّة

فأصحاب زيد بن علي بن الحسين القائلون بإمامته، وإمامة كلّ من كان فيه ستّ خصال: العلم، والزهد، والشجاعة، والخروج، وأن يكون من أولاد فاطمة عليها السلام حسنيّاً كان أو حسينيّاً، ومنهم من زاد صباحة الوجه، وأن لا يكون به آفة، وأُصولهم أصول المعتزلة في جميع المسائل إلّا مسألة الإمامة، قد تلمّذ زيد بن علي، واصل بن عطا الغزالي، وأخذ الاعتزال منه وهم أصناف.

الجاروديّة، أصحاب أبي الجارود، قالوا بإمامة عليّ بالوصف لا بالنصّ، ثمّ ساقوا الإمامة إلى زيد بن عليّ ثمّ إلى محمّد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين.

السليمانيّة، أصحاب سليمان بن جرير، جوّزوا الإمامة لمفضول مع

قيام الأفضل، وقال بإمامة من فيه الخصال المذكورة ولا يتبرّأون من الشيخين.

الحسنيّة، أصحاب الحسن بن صالح بن حيّ **والأبتريّة** أصحاب كثير النوى الأبتر وهما متّفقان في المذهب، وقولهم في الإمامة كقول السليمانيّة.

وأمّا الإماميّة

فالقائلون بإمامة عليّ ﷺ بالنصّ والتعيين، وسوق الإمامة منه نصّاً على ولديه الحسن والحسين، ثمّ سوق الإمامة في أولاد الحسين دون الحسن، ومنه إلى عليّ بن الحسين زين العابدين، ومنه إلى محمّد بن عليّ باقر علم النبيّين، ومنه إلى ابنه جعفر الصادق ﷺ، واختلفوا بعده في أولاده اختلافاً كثيراً، وأكثرهم واقفة قائلون بالرجعة، وهم أصناف:

أ ـ **الباقريّة**: الواقفة على محمّد بن عليّ الباقر القائلون بأنّه يرجع وهو القائم المنتظر.

ب ـ **الناووسيّة**: أصحاب ناووس المنسوب إلى قرية ناووسيا، قال برجعة الصادق وأنّه لم يمت ولا يموت، وهو القائم المنتظر.

ج ـ **الأفحطيّة**: قالوا: بإمامة عبدالله بن جعفر وهو الأفطح وأكبر أولاده، ومن تولّى غسل أبيه وتجهيزه وتكفينه والصلاة عليه إلّا أنّه مات ولم يعقب.

د ـ **الشُمَيْطيّة**: أصحاب يحيى بن أبي شميط، قالوا بإمامة محمّد بن جعفر.

هـ ـ الموسويّة: قالوا بإمامة موسى بن جعفر نصّاً عليه بالإسم، إذ قال الصادق: «سابعكم قائمكم، ألا وهو سَمِيُّ صاحب التوراة»، وأجمع عليه جماعة الشيعة.

أقول: والقول به ضروريّ هؤلاء الطوائف الّذين ذكرناهم، عند الإماميّة ليسوا بالإماميّة وحيث كان هذا نقلاً صرفاً ما تمكّنا تعبيره، فالإماميّة بالحقيقة لا تصدق إلّا على القائلين بالأئمّة الاثنى عشر نصّاً وتعييناً بلا فصل بين أحد منهم، نعم يصدق على الطوائف المذكورة: الشيعة لا الإماميّة، والخبط إنّما وقع من صاحب الملل والنحل، ومن خبطه سمّى الإماميّة بالإثنى عشرية والحال أنّ الإماميّة والاثنا عشرية شيء واحد، وبالجملة:

الإثنا عشريّة: على رأيه هم الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر، وساقوا الإمامة بعده إلى ابنه عليّ بن موسى الرضا، وبعده إلى محمّد بن عليّ التقيّ، وبعده إلى عليّ بن محمّد النقيّ، وبعده إلى الحسن العسكري، وبعده إلى محمّد بن الحسن القائم المنتظر، واختلافاتهم في الحسن العسكري وأخيه جعفر الكذّاب إحدى وعشرين مقالة.

أسماء الأئمّة الإثنى عشرية:

المرتضى، المجتبى، الشهيد، السجّاد، الباقر، الصادق، الكاظم، الرّضا، التقيّ، النقيّ، الزكيّ، القائم المنتظر ﷺ.

وأمّا الغالية فالذين غلوا في عليّ والأئمّة من بعده حتّى شبّهوا بالخالق جلّ جلاله، وشبّهوا الخالق بالخلق وفيهم عرق الحلول والتناسخ، والقول بالبداء، وهم أصناف:

أ ـ **السَّبَائيّة**: أصحاب عبدالله بن سبأ الذي قال شفاهاً لعليّ‏ؑ: أنت أنت الإله، وكان يهوديّاً فأسلم، وكان يقول في يوشع بن نون مثل ما قال في عليّ‏ؑ.

ب ـ **الكامليّة**: أصحاب أبي كامل كفّر جميع الصحابة بتركهم بيعة عليّ، وكان يقول بتناسخ الأنوار الإلهيّة في الأئمّة الإثنى عشرية.

ج ـ **العَلْبائيّة**: أصحاب العَلبان ذراع الأسدي (الدّوسي) كان يفضّل عليّاً على النبيّ‏ﷺ.

د ـ **المغيريّة**: أصحاب المغيرة بن شعبة (سعيد) العجلي، تولّى خالد بن عبدالله العشري (القسري)، ادّعى الإمامة لنفسه بعد محمّد بن عبدالله بن الحسن وقال بالتشبيه الفاحش.

هـ ـ **المنصوريّة**: أصحاب أبي منصور العجلي الذي عزى نفسه إلى الباقر، وهو قد تبرّأ منه فدعا الناس إلى نفسه وقال بالغلوّ في عليّ وبالتشبيه لله تعالى.

و ـ **الكيّاليّة**: أصحاب أحمد بن الكيّال، كان من دعاة من إمام من أهل البيت ثمّ دعى الناس إلى نفسه وتبرّأ عنه، وله تصانيف بالفارسيّة، واختيارات لا يرتضيها عاقل.

ز ـ **الخطّابيّة**: أصحاب أبي الخطّاب محمّد بن أبي زينب الأسدي الأجدع، وقد عزى نفسه إلى الصادق‏ؑ وقد تبرّأ عنه ولعنه، وقال بالغلوّ في الصادق والتشبيه لله تعالى.

ح ـ **الهِشاميّة**: أصحاب هشام بن الحكم صاحب المقالة في التشبيه وله سرّ، وأصحاب هشام بن سالم الجواليقي وله تشبيه وغلوّ.

ط ـ النُّعمانيّة: أصحاب محمّد بن النعمان بن أبي جعفر الأحول الملقّب في أهل السنّة بشيطان الطاق، وفي الشيعة بمؤمن الطاق، وله تصانيف يميل إلى الغلوّ والتشبيه بعض الميل.

ي ـ النصيريّة والإسحاقيّة: هم من جملة غُلاة الشيعة ولهم جماعة ينصرون مذهبهم.

وأمّا الإسماعيليّة: فالقائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر وسوق الإمامة منه إلى ابنه محمّد بن إسماعيل وإلى الأئمّة المستورين، وهم يقولون في كلّ زمان إمام حيّ قائم إمّا ظاهر مكشوف وإمّا باطن مستور، يحتاج الناس إليه في الأُصول والفروع.

ومن ذلك: أهل الفروع

المختلفون في الأحكام الشرعيّة والمسائل الاجتهاديّة، من الحلال والحرام، والجواز والوجوب، والحظر والقرب والإباحة المبنيّة على الظنون بالأقيسة الصحيحة.

وأركان الاجتهاد أربعة: الكتاب، والسنّة، والإجماع، والقياس، وهم فرقتان:

أصحاب الحديث، هم أهل الحجاز مالك بن أنس، ومحمّد بن إدريس الشافعي، وسفيان بن سعيد الثوري، وداود بن علي بن الإصفهاني، وأحمد بن حنبل.

ومن أصحاب الشافعي: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني، وربيع بن سلمان الجيزي، وحرملة بن يحيى الحسيني (النجيبي)، وربيع بن

سلمان المرادي، وأبوى عقوب البويطي، والحسن بن محمّد الصباح الزعفراني، ومحمّد بن عبدالله بن الحكم المصري، وأبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي، ومن بعدهم من العلماء والأئمّة.

أصحاب الرأي

هم أهل العراق؛ أبو حنيفة النعمان بن ثابت، ومن أصحابه: محمّد بن الحسن وأبو يوسف يعقوب بن محمّد القاضي، وزفير بن هذيل، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وابن سماعة، وعافية القاضي، وأبو مطيع البلخي، وبشر بن المريشي أو المرتشي (المريسي).

وإنّما سمّوا أصحاب الرأي لأنّ عنايتهم بتحصيل وجه القياس، والمعنى المستنبط من الأحكام، وبناء الحوادث عليها، وربما يقدّمون القياس على الأخبار.

وقد قال أبو حنيفة: علمنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن قدر على غير ذلك فله ما رأى.

وبين الفريقين اختلافات كثيرة في الفروع ولهم فيها تصانيف وعليها مناظرات، فاطلب من مظانّها، والله أعلم وأحكم وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

هذا آخر تقسيم أهل الإسلام على ما ذكر صاحب الملل والنحل في كتابه، وأوّل تقسيم أهل الكفر على ما ذكره هو أيضاً في كتابه المذكور وبالله التوفيق.

ومن ذلك:

فرق أهل الكتاب أو شبهة الكتاب

الخارجون عن الملّة الحنفيّة الإسلامية ممّن يقول بشريعة وأحكام وهم أهل الكتاب أو شبهة الكتاب.

أمّا أهل الكتاب فهم ثلاث فرق: كاليهود والنصارى، والمجوس.

أمّا اليهود: فهم القائلون بنبوّة موسى عليه السلام دون عيسى عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله لا يجوّزون النسخ في الشرائع، والتشبيه الفاحش، والجبريّة والقدريّة فيهم، يتخاصمون بخاصمتهم في الإسلام، ويقولون بإمامة يوشع بن نون عليه السلام بالوصاية والنصّ، ويختلفون بعده في أولاده وأولاد هارون عليه السلام، وهم فرق:

العِنانيّة: أصحاب عنان بن داود رأس الجالوت.

العيسويّة: أصحاب عيسى (أبي عيسى إسحاق) بن يعقوب الإصفهاني.

المُقارَبَةُ واليُوذْعانيّة: أحصاب يوذعان الهمداني.

السامرة: القائلون بنبوّة موسى وهارون ويوشع بن نون دون غيرهم من بني إسرائيل.

أمّا النصارى

فهم القائلون بنبوّة عيسى عليه السلام وإجماع اللّاهوت والناسوت فيه، والقائلون بالأقانيم الثلاثة: الوجود والحياة والعلم، وأنّ الباري تعالىٰ واحد بالجوهر، ثلاثة بالأقنوميّة، ويكتبون بإسم الأب والإبن وروح

القدس، وكبار الفرق فيهم ثلاث:

الملكاتيّة: أصحاب ملكان الرومي القائلون بحلول خرومن اللاهوت.... في عيسىٰ ﷺ.

النسطوريّة: أصحاب نسطور الحكيم القائلون بإشراق نور الإله على ناسوت عيسىٰ كإشراق نور الشمس في كوة على بلورة، أو النقش في الشمعة.

اليعقوبيّة: أصحاب يعقوب بن الغالي القائل بإلٰهية عيسى ﷺ.

وأمّا المجوس

فهم القائلون بالأصلين النور والظلمة، يزدان وأهرمن، وبنبوّة إبراهيم ﷺ، المتكلّمون في المزاج والخلاص أي المبدأ والمعاد، وكبار الفرق منهم ثمانية:

الكيومرثيّة: أصحاب المقدّم الأوّل كيومرث الذي هو آدم، ويقال كان في زمان آدم ﷺ.

الزَّروانيّة: أصحاب زروان الكبير المزمزم.

الزَّردشتيّة: أصحاب زردشت بن پوروشست (يورشب) الحكيم الذي ظهر في زمان كشتاسف (گشتاسب) بن لهراسب الملك، وأبوه كان من آذربيجان وأمّه من الرّي.

المانويّة: أصحاب ماني بن فاين (فاتك) الحكيم الذي ظهر في زمان شابور بن أردشير، وقتله بهرام بن هرمز بن شابور وذلك بعد عيسى ﷺ، أخذ ديناً من المجوسيّة والنصرانيّة وكان يقول بنبوّة عيسى دون

موسى‌عليه‌السلام.

المزْدَكيّة: أصحاب مزدك الذي ظهر في أيّام قباذ وأنوشروان، وهو دعا قباذ إلى مذهبه فأجابه فأطلع أنوشروان على خزيه وافترائه فطلبه فوجده فقتله.

الدَّيصانيّة: أصحاب ديصان بن الغلان القائل بالأصلين القديمين.

المرقونيّة: القائلون بالأصلين والمعدل.

الكينونيّة والصّامية وأصحاب التناسخ منهم.

ومن ذلك: أهل الأهواء والنحل

الذين لا يقولون بالشرائع والأحكام الدينيّة ولا بالأنبياء والرُّسل‌عليهم‌السلام والكتب الإلهيّة، ويعتقدون فيهم إنّهم حكماء (شرعوا) أحكاماً مصلحيّة، وربما ينسبون بينهم وبين العقول المفارقة والروحانيّات العلويّة فيفيض عليهم من أنوارها ما يحملهم على رعاية مصالح (العباد).... ولست أعني بهم الذين أخذوا علومهم من مشكاة النبوّة، وإنّما أعني بهؤلاء الذين كانوا في زمن الأوّل دهريّة وحشيشيّة، وطبيعيّة، وإلهيّة، قد اغترّوا بحكمهم، واستعلوا بأهوائهم وبدعهم.

ثمّ سلوهم (يتلوهم) ويقرب منهم: قوم يقولون بحدود وأحكام عقليّة، وربّما أخذوا أصولها وقوانينها من مؤيّد بالوحي إلّا أنّهم اقتصروا على الأوّل وما تعدّوا (نفذوا) إلى الآخر وهؤلاء هم الصابئة الأولى الذين قالوا بعاذيمون، وهرمس، وهما: شيث وإدريس‌عليهما‌السلام ولم يقولوا بغيرهما من الأنبياء‌عليهم‌السلام.

والتقسيم الضابط أن نقول:

من الناس من لا يقول بمحسوس ولا معقول وهم: السوفسطائيّة. ومنهم من يقول: بالمحسوس ولا يقول بالمعقول وهم: الطبيعيّة. ومنهم من يقول: بالمحسوس والمعقول ولا يقول بحدود وأحكام، وهم: الفلاسفة الدهريّة.

ومنهم من يقول: بالمحسوس والمعقول والحدود والأحكام ولا يقول بالشريعة والإسلام وهم: الصابئة.

ومنهم من يقول: بهذه كلّها وبشريعة مّا والإسلام، ولا يقول بشريعة نبيّنا محمّد ﷺ، وهم: المجوس، واليهود، والنصارى. ومنهم من يقول: بهذه كلّها وهم المسلمون.

ومن ذلك الصالحيّة. القائلون بالهياكل والأرباب السماويّة والأصنام الأرضيّة متوسّطين إلى ربّ الأرباب المنكرون لربّ الأرباب في الصورة البشريّة، وهم أصناف، بينهم وبين الحنفاء مناظرات ذكرها في الكتاب مفصّلاً، فمنهم:

أصحاب الروحانيّات التي هي مدبّرات الأفلاك والكواكب.

أصحاب الهياكل التي هي السيّارات وهم عبدة الكواكب.

أصحاب الأشخاص التي عملت على صورة الكواكب بالطوالع المختارة لأجل الحاجات وهم عبدة الأصنام.

أصحاب الطلسمات والسحر والتعزيم والتنجيم وهم الحرمانيّة.

ومن ذلك: الفلاسفة

القائلون بالحكم العقليّة المتكلِّمون في الموجودات الطبيعيّة والإلهيّة بالمناهج المنطقيّة والإرتياض بالعلوم الرياضيّة.

الحكماء السبعة من الأوائل الذين أساطين الحكمة من الملطيّة، وايثناس وسامنا (ساميا): ثاليس الملطي أوّل من تكلّم في الفلسفة، انكساغورس الملطي على منواله، وأنكسيمايس الملطي على منواله، انبادقلس من ايثناس يخالفه في الرأي، فيثاغورس من ساميا يخالفهم في الرأي، أفلاطون الإلهي من ايثناس وهم أصحاب الرّواق، سقراط الزاهد من ساميا.

الحكماء الذين نسجوا على منوالهم ووافقوهم على آرائهم وأقوالهم من الشعراء والنسّاك: فلوطرخيش تعلّم بمصر ثمّ صار إلى ملطيّة، كسيوپايس (أكسنوفانس) من الملطيّة، زينون الأكبر الشاعر، ذيمراطيس الأفلاطون، هرقل الحكيم الرومي، أبيقورس الرواقي، شركون الشاعر، أو ميرس الشاعر.

حكماء قاديميا المظال: بقراط واضع الطبّ، بطليموس الحكيم، ذيمراطيس الحكيم، أوقليدس واضع الهندسة، خروسس من المظالّ.

الحكماء المتأخِّرون

عــنهم المــخالفون لهـم فـي الرأي: أرسـطاليس واضـع المـنطق، ثامسطيوس شارح كتب أُرسطاطاليس، الإسكندر الرومـي، ديـوطايس (ديوجانس) الكلبي، فرفريوش شارح كتب ارسطاليس، الشيخ اليوناني، برقلش صاحب الشبه في قدم العالم، الإسكندر الأفروديسي.

فلاسفة الإسلام

المفسِّرون في كتب الحكمة من اليونانيّة إلى العربيّة وأكثرهم عـلى رأي أرسطاطاليس، فننقل أساميهم دون كلام واحد واحد مـنهم إذ ليس لهم استقلال برأي وانفراد بمذهب سوى الرئيس عبدالله بن سينا وقد نقلت المفهوم لي من كلامه في الشفاء والنجاة والإشارات وسائر الطبقات.

(حنين) حسين بن إسحاق، يـحيى النـحوي، يـعقوب بـن إسـحاق الكندي، أبو سليمان البحري، أبو سليمان محمّد بن معشر المقدّسي، أبو بكر ثابت بن قرّة الحراني، أبو زيد أحمد بن سهل البلخي، أبو الحـارث الحسن بن سهل القمّي، أحمد بن الطيّب السرخسي، أبو حامد أحمد بن محمّد الأسفرايني، عيسى بن علي بن عيسى الوزير، أبو علقي أحمد بن مسكويه، أبو الفرج المفسّر، أبو تمّام يـوسف بـن مـحمّد النـيسابوري. طلحة بن محمّد النسفي، أبو زكريّا يحيى بن الضّميري، محمّد بن محمّد طركان الفارابي أبو نصر، أبو الحسن بن الفارابي، أبو علي الحسـين بـن عبدالله سينا.

ومن ذلك آراء العرب

بالحكم الغريزيّة والأنواء السماويّة، وكانت لهم علوم أربعة قبل الإسلام: علم الرؤيا، وعلم الأنواء، وعلم الأنساب، وعلم الكهانة.

معطّلة العرب: من عبدَة الأصنام وغيرهم من المشركين العالمين بالأنواء وعبَدة الكواكب.

محصّلة العرب: وهم يسمّون الله عزّوجلّ القائلون بالمشاعر والمناسك، المنتظرون لبعثة المصطفى ﷺ، المنكرون للنبوّات والشرائع كلّها بعد الإقرار بالله عزّوجلّ، المنكرون للمعاد والحساب بعد الاعتراف بشريعة من الشرائع الإلهيّة.

ومن ذلك آراء الهند

القائلون بالأصنام الموضوعة قبل آدم عليه السلام بزعمهم، وفيهم حِكم عقليّة وخلود وأحكام مصلحيّة، وضعها بعض حكمائهم، وهم فرق متعدّدة:

منهم البراهمة: أصحاب برهام الأوّل من أنكر النبوّة في صورة البشريّة.

البَدَدَة: الزهّاد والعبّاد، منهم يهجرون اللّذات الدنيويّة.

أصحاب الفكرة والوَهْم بعد الرياضة التامّة.

أصحاب التناسخ في صورة الحيوانيّة والنباتيّة.

الناسوتيّة: عبدة الشمس، اليهوديّة عبدة القمر، الكامليّة عبدة الكواكب. البهاذوديّة عبدة الأصنام، المهاكاليكيّة لهم صنم يدّعى مهاكاك له أربع أيد، كثير شعر الرأس، الركسهيّكيّة حكماء الهند في الأصول، ومن سننهم أن يأخذوا صنماً من أنفسهم يعبدونه، الدهكينيّة الذين تلقّوا الحكمة من تلميذ فيثاغورس، الجلهكيّة، الإكساطوريّة يزعمون أنّ الماء ملك ومعه ملائكة وأنّه أصل كلّ شيء.

هذا آخر تعداد أهل الأديان والملل، وأهل الآراء والنحل من المسلمين والكفّار على رأي صاحب «الملل والنحل»، وكان الغرض من هذا النقل إطلاع السالك على الآراء والأديان من لدن آدمعليه السلام إلى آخر الزمان ليحصل له بهذا تنبيه في نفسه واعتقاد جازم في مذهبه، ويعرف أنّ من بين المذاهب كلّها ليست الناجية إلّا طائفة أهل الله وأهل التوحيد الذين هو منهم، لأنّهم هم المشيرون في هذا التقسيم، وكلّ من هو خارج عن اثنى وسبعين لابدّ وأن يكون من ثلاث وسبعين الذي هو من الفرق (الأولى) وبذلك يعدّ نفسه منهم ويجتهد فيه حتّى لا يخرج عنهم.

الفرقة الناجية

ومن هذا قد أنشأنا بعناية الله تعالى دائرتين معتبرتين في أهل الإسلام وأهل الكفر، كلّ واحدة منهما مشتملة على اثنين وسبعين فرقة،

والناجية منها جعلنا النقطة المركزيّة المخصوصة بأهل الله تعريضاً لا تصريحاً.

وقد ذكرنا أيضاً أنّ أهل الله على قسمين قسم منهم أهل الباطن وأرباب التوحيد وسيجيء بيانهم عند بحث التوحيد في المقدّمة السابعة* مع أنّهم قد سبق مراراً، وقسم منهم أهل الظاهر وهم المخصوصون بطريق أهل البيت عليهم السلام بحسب الشريعة والظاهر كما مرّ ذكرهم أيضاً مراراً.

وكما بيّنا أنّ الناجية من المسلمين واحدة وهم أهل الله كذلك بيّنا أنّ الناجية من الكفّار واحدة وهم الذين ما وصل إليهم دعوة أحد من الأنبياء فإنّهم باتّفاق المسلمين في حكم البله والمجانين والأطفال وأمثالهم ممّن أسقط عنهم التكليف، وكلّ من أسقط عنه التكليف فهو في حكم فضل الله ورحمته كما هو مذكور في الكتب الأصوليّة عند أهل الظاهر.

وكتبنا على أطراف الدائرة الأولى الإسلاميّة أنّ كبار طوائف المسلمين بحكم التقسيم أربعة:

الأشاعرة، والمعتزلة، والشيعة، والخوارج.

وكذلك على أطراف الدائرة الثانية الكفريّة أنّ كبار طوائف الكفّار أربعة:

اليهود، والنصارى، والمجوس، والفلاسفة؛ لأنّ كلّ واحدة من هذه الأربعة كلّيات منحصرة فيها الجزئيّات، كلّها من المذاهب والآراء بحيث لا يخرج عنها جزئي من الجزئيّات إسلاماً كان أو كفراً.

(*) مع الأسف المقدّمة السابعة مفقودة والنسخة الفريدة من الكتاب التي بأيدينا فاقدة منها.

وجه اختلاف الآراء بين الناس

وإذا تقرّر هذا فقَبْل الخوض في الدائرتين وتصويرهما وتشكيلهما نريد أن نقرّر لك ضابطة كلّية تعرف بها سرّ الاختلاف في الأُمم حقّاً كان أو باطلاً وإن سبق بعض ذلك في المقدّمة الأُولى.

فنقول: اعلم أنّ قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٨ ـ ١١٩].

وقوله:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة:٤٨].

دالّ على.... (أنّ الاختلاف) لازم الوجود، والوجود لا يزال محتوياً على الاختلاف، أو حكمته تعالى تقتضي الاختلاف، أو الاختلاف في (من) حكمته وعلمه.... والوجود لو لم يكن مختلفاً لم يكن تامّاً. لأنّ تمام الوجود في ظهوره بصور المختلفات، فإذا لم يظهر بصور المختلفات لا يكون تامّاً فيجب حينئذٍ أن يكون بصور مختلفات ليكون تامّاً. وهذا هو المعبّر عنه بالنظام المشار إليه في قوله تعالى:

﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود:١١٩].

والحاصل أنّ نظام الوجود في اختلاف الموجودات لقوله تعالى:

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود:١١٨].

فالموجودات لابدّ أن تكون مختلفة صورةً ومعنى وفرقة كما سبق ذكره، هذا بالنسبة إلى الوجود.

وأمّا بالنسبة إلى الحقّ تعالى فحيث إنّ ظهوره ليس إلّا بحسب أسمائه، والأسماء مختلفة الحقائق متنوّعة الأحكام لابدّ وأن يكون مظاهرها كذلك فيلزم حينئذٍ في الحكمة الإلهيّة والاقتضاءات الأسمائيّة أن تكون المظاهر مختلفة في الصور والمعاني فلابدّ من الاختلاف حينئذٍ للكلّ وإن كان هذا الاختلاف عند التحقيق عين الاتّفاق كما أشرنا إليه بالنسبة إلى القرآن عند قوله تعالى:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾ [النساء:٨٢].

ووجه آخر غير هذين الوجهين وهو أنّ المظاهر المعبّرة عنها بالحقائق والماهيّات والأعيان الثابتة، ليست بجعل الجاعل حتّى يتصوّر هاهنا ظلم أو نقص في الفاعل والقابل، لأنّه لو كانت بجعل الجاعل لكانت يلزم هذا وأكثر، وإذا لم يكن بجعل الجاعل فيرجع الاختلاف والاتّفاق إلى المظاهر والقوابل، وإذا كان كذلك فلا يكون للوجود فيها دخل ولا للحقّ تعالى تصرّف في شيء منها إلّا إعطاء الوجود على ما هم عليه من الاستعداد.

والدليل على أنّها غير مجعولة فهو أنّ الجعل بالموجودات الخارجيّة والأعيان ليست من الموجودات الخارجيّة حتّى يتعلّق بها الجعل فلا يكون للفاعل فيها تصرّف إلّا إعطاء الوجود الخارجي.

وقد سبق هذا البحث مستوفى، وسيجيء عند بحث التوحيد

مستوفى. والغرض من هذه الوجوه الثلاثة في هذا المقام أن يتحقّق عندك أنّ الاختلاف للأشياء ذاتيّ لها لازم لماهيّتها لا يمكن انفكاكه عنها، وأنّ الأسماء الإلهيّة على أنواع طبقاتها التي صارت الأشياء مظاهراً لها وهي أيضاً مختلفة الأعيان والحقائق فلابدّ للاختلاف فيها أيضاً وفي مظاهرها من غير تكرار ولا انتهاء، لقوله:

﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:٢٧].

لأنّ كلماته ليست إلّا الأشياء الممكنة، كما أثبتناه عقلاً ونقلاً، فلابدّ أن يكون في الوجود: مسلم وكافر، وكامل وناقص، وقبيح وحسن، ولابدّ أن يكون لهم فاعل وموجد وخالق يتوجّهون إليه، وهذا الفاعل حقيقة ليس إلّا الحقّ، فلابدّ من توجّه كلّ موجود إليه، لكن التوجّه يختلف باختلاف المتوجّه، لأنّ التوجّه الخاصّ بالإنسان والتوجّه الخاصّ بالملك والتوجّه الخاص بالحيوان ليس كالتوجّه الخاص بالنبات، فكذلك الكافر والمسلم والموحِّد والمشرك والحجر والمَدَر، لقوله:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة:١٤٨].

وحيث إنّ الصراط الذي يتوجّهون إليه على قسمين: وجوديّ حقيقيّ إلهي، وشرعيّ وضعي نبويّ، قال في الأوّل:

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦].

لأنّ بهذا يلزم أن يكون كلّ دابّة أعني كلّ موجود على صراط مستقيم، وهذا صحيح إذا أردنا الصراط الوجودي، وأمّا إذا أردنا الصراط

الوضعي الشرعي لا يكون لهذا الكلام معنىً.

والصراط الوجودي معناه أنّ كلّ موجود من حيث هو موجود.... وهو على صراط المستقيم بلا خلاف، لأنّ الصراط المستقيم الإلهي هو الذي هو عليه من الأوضاع والأشكال والنفع والضرر وغيرها: ومن هذا كتبنا على الدائرة المخصوصة بأهل الكفر والضلال: الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، لأنّها مناسب بحالهم بموجب ما بيّناه، وكتبنا في الوسط: «الوجود المطلق» للمناسبة أيضاً.

وقال في الثاني:

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [سورة الحمد:٦ و ٧].

لأنّ هذا صراط شرعيّ وضعيّ خاصّ لطائفة مخصوصة من المسلمين والمؤمنين، ومن هذا كتبنا على الدائرة المخصوصة بأهل الإسلام والإيمان:

﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦].

لأنّ لها مناسبة بحالهم، وكتبنا في الوسط: الربّ المطلق، للمناسبة أيضاً.

وقد عرفت بيان الصراط المعنوي والصوري أكثر من ذلك، وكذلك القرب الصوري والمعنوي وأمثال ذلك غير مرّة.

وهاهنا نكتتان على طريق القوم:

الأولى: أنّه إذا لم يكن في الوجود غيره فلا يعبد غيره حقيقة لقوله:

﴿أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف:٤٠].

وإذا لم يكن في الوجود حقيقة غيره فيكون الوجود هو إمّا (أو) مظاهره.

والثانية: أنّه إذا لم يكن في الخارج إلّا هو فكلّ معبود في الحقيقة لا يكون إلّا هو، لقوله:

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ [البقرة:١١٥].

ولقوله:

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

وستعرف هذا أوضح من ذلك عند الدائرة التوحيديّة الآتية بعد هذه المقدّمة في صورة المرآة المجلوّة في مقابله وجه واحد مشيراً إلى الفاعل والقابل.

وفي النكتتين قيّدنا كلامنا بالحقيقة لئلّا يتوهّم الجاهل أنّ الحجر والمدر أو الأصنام والأوثان هو لأنّه ليس كذلك، بل المراد أنّ حقيقة الحجر والمدر، والكلّ بالكلّ هو لا غيره لقوله:

﴿وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾ [النساء:١٠٨].

ولقول الكامل عليه السلام:

«مع كلّ شيء لا بمقارنة وغير كلّ شيء لا بمزايلة» [نهج البلاغة، الخطبة ١].

والحقيقة والملكوت والذات بمعنى واحد، فقوله:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٨٣].

إشارة إلى هذا فافهم جدّاً، ولا تتوهّم غير الحقّ، فإنّ كلامنا ليس غير

الحقّ.

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية:٢٩].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧].

وتلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت، نرجع إلى ما كنّا بصدده ونقول:

اعلم أنّ الدائرتين جعلناهما مشتملتين على اثنين وسبعين فرقة من أهل الإسلام، واثنين وسبعين فرقة من أهل الكفر، ولم يتّفق لأحد من المتقدّمين والمتأخّرين بحسن هاتين الدائرتين ولا بلطفهما.

وأشرنا إلى تعريف كلّ واحدة من الطائفتين بشيء قليل لضيق المكان، اختصاراً على مقدار تميّز هو من غيره، معتمداً على النقل الصريح والعقل الصحيح.

وفّقك الله تعالى لفهم معانيهما ودرك فحاويهما، فإنّهما معظمتان معتبرتان مشتملتان على أبحاث كثيرة وأسرار جمّة.

وإذا عرفت هذا وتحقّقت ما بيّناه من المقاصد والمطالب فلنشرع في صورة الدائرتين وجداولهما وتشكيلهما على ما تقرّر ذكرهما وبالله التوفيق، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

وهذه صورة الدائرتين المجدولتين:

دائرة أهل الإسلام

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[هود: ١١٨ و١١٩].

هذه دائرة أهل الإسلام وتقسيمهم على ثلاث وسبعين فرقة بحكم الحديث النبويّ، منقولاً عن كتاب الملل والنحل.

والجداول قد وقعت على اثنين وسبعين فرقة، والفرقة الناجية هي النقطة المركزيّة الخارجة من أهل الله وخاصّته.

كبار هذه الطوائف كلّها أربعة:

الأولى: الأشعريّة.

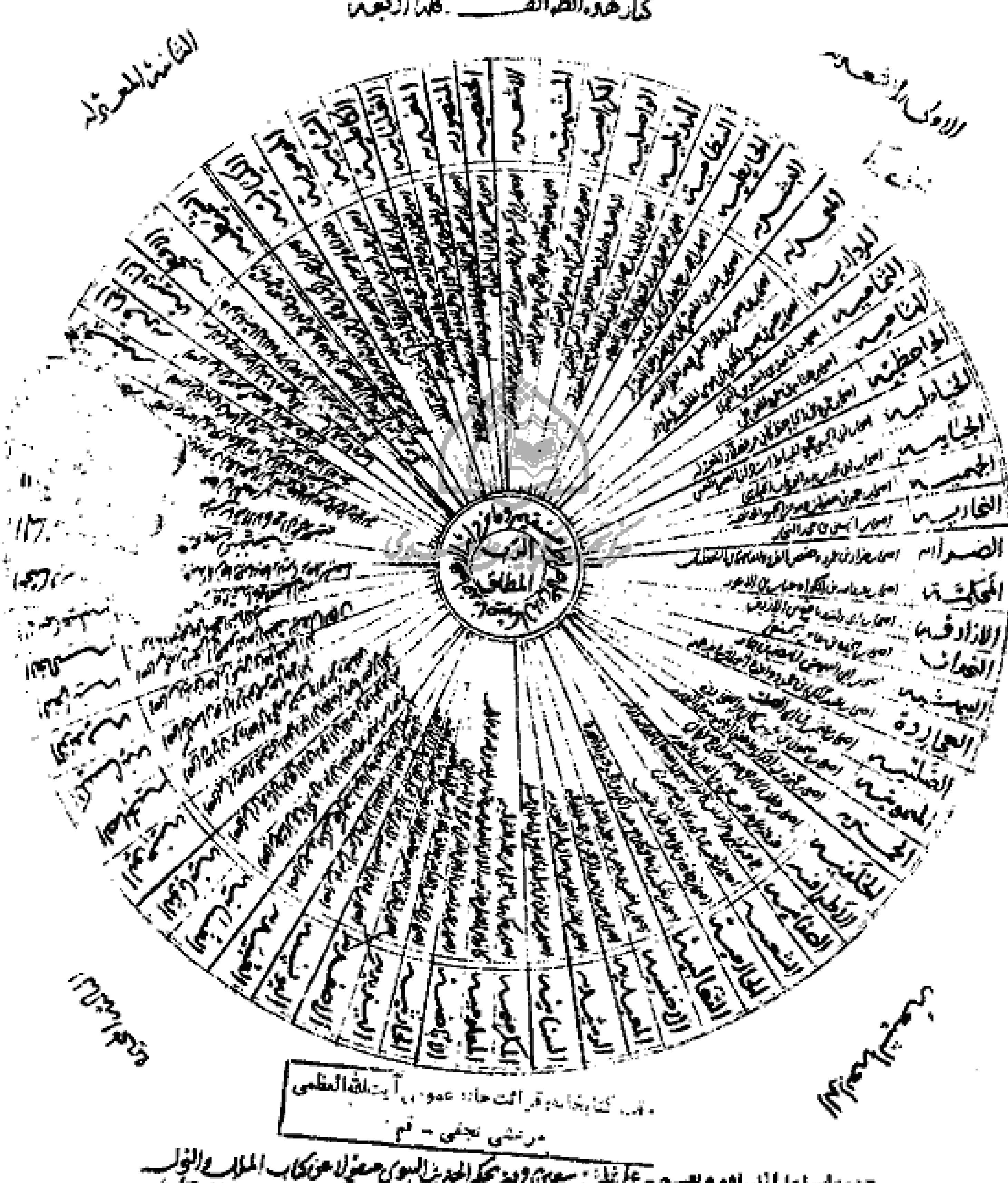
الثانية: المعتزلة.

الثالثة: المجبرة.

الرابعة: الشيعة.

قال الله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين

كما هو الظاهر ــــــ كلمة أربعة



هذه دائرة أهل الإسلام وتقسيمهم على ثلاث وسبعين فرقة بحكم الحديث النبوي منقولاً عن كتاب الملل والنحل والجداول فوضعت على أساس وسبعين فرقة والفرقة الناجية هي النقطة المركزة الخالصة من أهل الله وخاصته

مركز الدائرة:

الربّ المطلق: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّى عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦].

الأشعرية: أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى موسى الأشعري.

المشبّهيّة: أصحاب مضر وكهمس وأحمد الجهني (الهجمي) وغيرهم من المشبّهة.

الكراميّة: أصحاب محمّد بن كرام وهو من الصفاتيّة.

الواصليّة: أصحاب واصل بن عطاء الغزّال تلميذ الحسن البصري.

الهذيليّة: أصحاب أبي الهذيل حمدان بن الهذيل العلّاف شيخ المعتزلة.

النظاميّة: أصحاب إبراهيم بن سيار (يسار) بن النظام بن هاني النظام.

الحايطيّة (الخابطيّة) أصحاب أحمد بن حايط (خابط) وكذلك الحدثيّة.

البُشْريّة: أصحاب بشر بن المعتمر، كان من أفضل علماء المعتزلة.

المعمّريّة: أصحاب معمّر بن عبّاد السلمي وهو أعظم القدريّة.

المرداريّة: أصحاب عيسى بن صبيح، المكنّى بأبي موسى، الملقّب بالمردار.

الثماميّة: أصحاب ثمامة بن أشرس النميري.

الهشاميّة: أصحاب هشام بن عَمْرو الفوطي.

الجاحظيّة: أصحاب عمرو بن الجاحظ كان من فضلاء المعتزلة.

الخياطيّة: أصحاب أبي الحسين عمرو الخيّاط أستاذ أبي القاسم الكعبي.

الجبّائيّة: أصحاب أبي محمّد بن عبد الوهاب الجبّائي.

الجهميّة: أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبريّة الخالصة.

النجاريّة: أصحاب الحسين بن محمّد النجّار.

الضراريّة: أصحاب ضرار بن عمرو، وحفص الفرد، واتّفاقهما في التعطيل.

المحكميّة: أصحاب عبدالله بن الكواء وعتاب بن الأعور.

الأزارقة: أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق.

النّجدات: أصحاب نجدة بن عامر الحنفي.

البهيشيّة: أصحاب أبي بيهش الهيصم بن جابر.

العجارِدة: أصحاب عبد الكريم بن عجرد، وافق النجدات في بدعهم.

الصلتيّة: أصحاب عثمان بن أبي الصّلت.

الميمونيّة: أصحاب ميمون بن عمران كان من العجاردة.

الحمزيّة: أصحاب حمزة بن أدرك، وافقوا الميمونيّة في القدر.

الخلفيّة: أصحاب خلف الخارجي وهم من خوارج كرمان.

الأطرافيّة: فرقة على مذهب حمزة في القول بالقدر.

الصفاتيّة: جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزليّة.

الشعبيّة: أصحاب شعيب بن محمّد وكان مع ميمون.

الحازميّة: أصحاب حازم بن عليّ علىٰ قول شعيب.

الثعالبة: أصحاب ثعلبة بن عامر، كان مع عبد الكريم بن عجرد يداً واحدة.

الأخنسيّة: أصحاب أخنس بن قيس، من جملة الثعالبة.

المعبديّة: أصحاب معبد بن عبد الرحمن، من جملة الثعالبة.

الرّشيديّة: أصحاب رشيد الطوسي، ويقال لهم العشريّة.

السنانيّة: أصحاب سنان بن سلمة، الخارج في أيّام أبي مسلم.

المكرّمية: أصحاب مكرم بن (عبدالله) العجلي من جملة الثعالبة.

المعلوميّة: كانوا في الأصل حازميّة إلّا أنّ المعلوميّة قالوا: من لم يعرف الله فهو جاهل.

الإباضيّة: أصحاب عبدالله بن إباض الذي خرج في أيّام مروان.

الحارثيّة: أصحاب الحارث الإباضي، خالف الإباضة في قولهم بالقدر.

اليزيديّة: أصحاب يزيد بن أنيسة الذي (قال) بتولّي المحكمة الأولى قبل الأزارقة.

الأصفريّة: زياد بن الأصفر خالفوا الأزارقة والإباضيّة والنجدات.

اليونسيّة: أصحاب يونس الشمري (النميري) زعم أنّ الإيمان هو المعرفة بالله تعالى.

العبيديّة: أصحاب عبيد المكتئب، حُكي عنه أنّه قال: ما دون الشرك مغفور.

الغسّانيّة: أصحاب غسّان بن الكوفيّ، زعم أنّ الإيمان هو معرفة الله ورسوله.

الثوبانيّة: أصحاب أبي ثوبان المرجيء الذين زعموا أنّ الإيمان هو المعرفة بالله.

التومنيّة: أصحاب أبي معاذ التومني الذين زعموا أنّ الإيمان هو ما عصم من الكفر.

الصالحيّة: أصحاب صالح بن عمرو الصالحي ومحمّد بن شبيب، وأبو شمر وغيلان.

الكيسانيّة: أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين عليّ﵇.

الزيديّة: أصحاب زيد بن علي بن الحسين بن علي﵇.

النعمانيّة: أصحاب محمّد بن النعمان أبي جعفر الأحول الملقّب بشيطان الطاق.

الغالية: هم الذين غلوا في حقّ عليّ وحكموا فيه بالإلهيّة.

الإسماعيليّة: هم الذين قالوا بعد جعفر﵇ بإمامة إسماعيل ابنه.

المختاريّة: أصحاب المختار بن أبي عبيد، كان خارجيّاً، ثمّ صار زيديّاً (زبيريّاً) ثمّ صار شيعيّاً.

الهاشميّة: أصحاب هاشم بن محمّد بن الحنفيّة بن عليّ﵇.

الرّزاميّة: أصحاب رزام بن عمران ساقوا الإمامة إلى محمّد بن الحنفيّة.

البيانيّة: أصحاب بيان بن سمعان.

الجاروديّة: أصحاب أبي الجارود بن زياد، زعموا أنّ النبيّﷺ نصّ

على عليّ.

السليمانيّة: أصحاب سليمان بن حرير، وكان يقول إنّ الإمامة بالشورى.

الحسنيّة: أصحاب الحسن بن صالح بن حي، أصحاب كثير النوى الأبتر.

الباقريّة: أصحاب أبي جعفر محمّد بن علي الباقر.

الناوسيّة: هم أتباع رجل يقال له: ناوس وقيل نسبوا إلى قرية ناووسا.

الأفحطيّة: قالوا: بانتقال الإمامة من الصادق إلى ابنه عبدالله الأفطح.

الشميطيّة: أتباع يحيى بن أبي شميط، قالوا إنّ جعفر قال: إنّ صاحبكم إسمه إسم نبيّكم.

الموسويّة: قالوا بإمامة موسى بن جعفر نصّاً عليه بالاسم.

السبائيّة: أصحاب عبدالله بن سبأ الذي قال لعليّ: أنت أنت يعني الإله.

الكامليّة: أصحاب أبي كامل أكفر جميع الصحابة بتركها بيعة عليّ.

العلبانيّة: أصحاب العلباء بن ذراع الدوسي وقال قوم هو الأسدي.

المغيريّة: أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي، إدّعى الإمامة لمحمّد بن عبدالله بن الحسن.

المنصوريّة: أصحاب أبي منصور العجلي القائل بإمامة الباقر.

الحفصيّة: أصحاب حفص بن أبي المقدام.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا

مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٨ - ١١٩].

كبار هذه الطوائف كلّها أربعة

(هنا شكل دائري)

هذه دائرة أهل الإسلام وتقسيمهم على ثلاث وسبعين فرقة بحكم الحديث النبوي منقولاً عن كتاب الملل ولنحل والجداول قد وقعت على اثنين وسبعين فرقة والفرقة الناجية هي النقطة المركزيّة الخارجة من أهل الله وخاصّته.

(دائرة أهل الكفر)

قال الله تعالى:

إنّ

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢١ ـ ٢٣].

هذه دائرة أهل الكفر وتقسيمهم على ثلاث وسبعين فرقة بحكم تقابل الأسماء الإلهيّة من الجلاليّة والجماليّة، والجداول قد وقعت على اثنين وسبعين فرقة، والفرقة الناجية بحكم الشرع هي التي ما وصلت إليها دعوة أحد من الأنبياء.

كبار هذه الطوائف كلّها أربعة

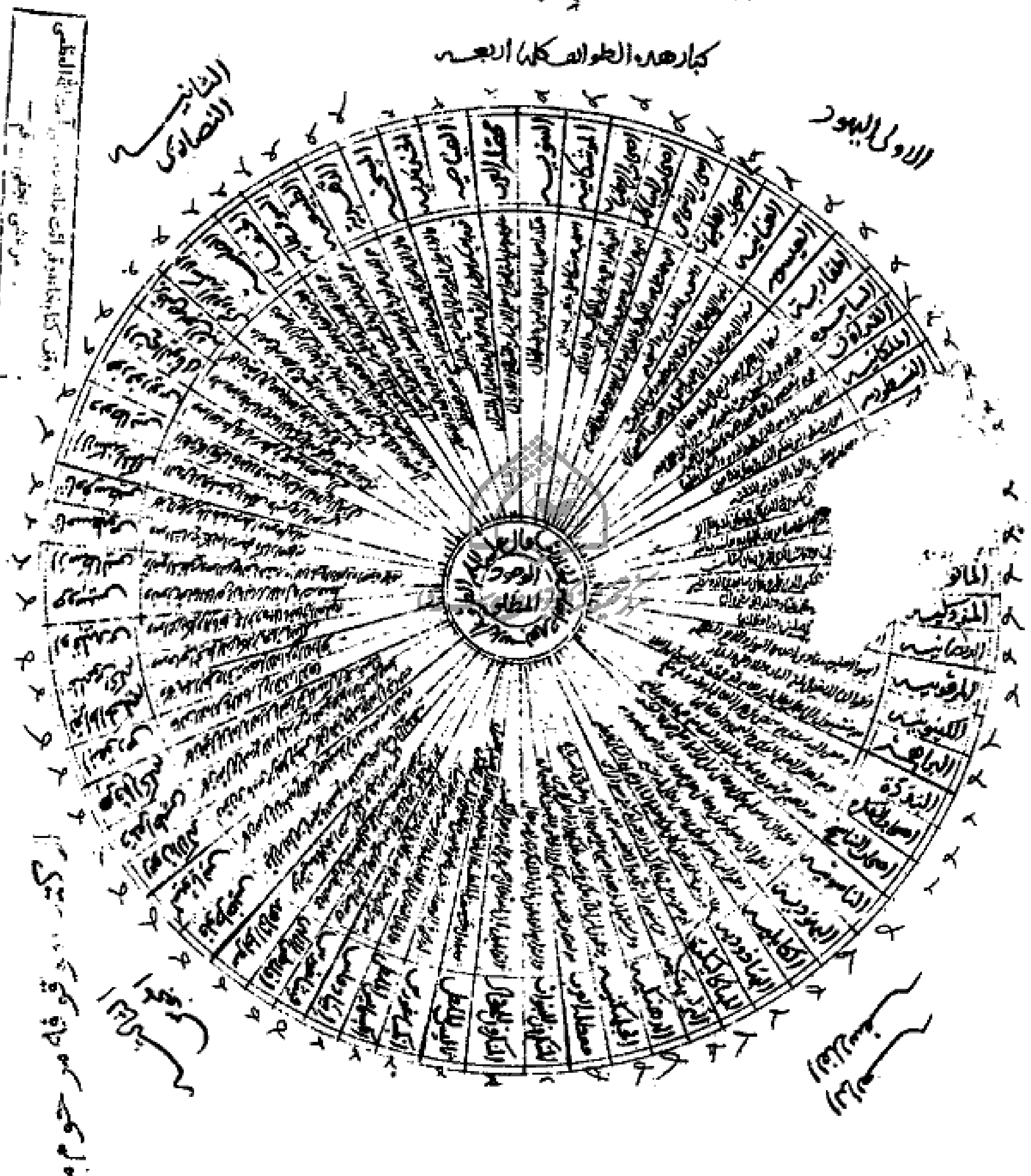
الأولى: اليهود.

الثانية: النصارى.

الثالثة: المجسوس.

الرابعة: الفلاسفة.

قال الله تعالى ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون



هذه دائرة أهل الكثرة بتقسيمهم على ثلث وسبعين فرقة بحكم مطابقة الأعداد الإلهية من الجلالية والجمالية
والجداول ... ثلث وسبعين فرقة والفرقة الناجية منهم ... أحد عشر الأخيار

مركز الدائرة:

الوجود المطلق، قالﷺ:

«الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق»(٢١٢).

محصّلة العرب: علومهم على ثلاثة أنواع علم الأنساب والتواريخ والأديان.

الثنويّة: هؤلاء أصحاب الإثنين الأزليّين وفيه أقوال.

الموشكانيّة: أصحاب موشكان علىٰ مذهب يوذعان.

أصحاب الروحانيّات: التي قالوا هي مدبّرات الكواكب والأفلاك.

أصحاب الهياكل: التي هي السيّارات وهم عبدة الكواكب.

أصحاب الأشخاص: التي عملت على صور الكواكب بالطوالع وهم عبدة الأصنام.

أصحاب الطلسمات: والسحر والتغريم والتنجيم.

العنانيّة: نسبوا إلى رجل يُقال له عنان بن داود رأس الجالوت.

العيسويّة: نسبوا إلى رجل يقال له أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الإصفهاني.

المقاربة: نسبوا إلى رجل من همدان يقال له يوذعان.

السامرة: هؤلاء قوم يسكنون بيت المقدس وقرايا من أعمال مصر.

---

(٢١٢) قوله: الطرق إلى الله.

ذكره المجلسي في «بحار الأنوار» ج٦٧ ص١٣٧.

القراؤن: قوم يتعصّبون في القدر خيره وشرّه من العبد.

الملكانيّة: أصحاب ملكا وهو الذي ظهر بالروم واستولى عليه.

النسطوريّة: أصحاب نسطوريس الحكيم الذي في زمان المأمون.

اليعقوبيّة: أصحاب يعقوب، قالوا بالأقانيم الثلاثة.

الكيومرثيّة: أصحاب المقدّم الأوّل كيومرث الذي كان في زمان آدم ﷺ.

الزروانيّة: قالوا: إنّ النور الأوّل أبدع أشخاصاً من نور كلّها روحانيّة ربّانيّة.

الزرداشتيّة: أصحاب زرداشت بن يوروشب الذي ظهر في زمان گشتاسب.

المانويّة: أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير.

المزدكيّة: وهو مزدك الذي ظهر في زمان قباد والد انوشيروان.

الديصانيّة: أصحاب ديصان أثبتوا أصلين: نوراً وظلاماً.

المرقونيّة: أثبتوا أصلين متضادّين: أحدهما النور والآخر الظلمة.

الكَيْنَويّة: زعموا أنّ الأصول ثلاثة: النار، والأرض، والماء.

البراهمة: هم منتسبون إلى رجل يُقال له برهام قد مهّد نفي النبوّات أصلاً.

البَدَدة: ومعنى البدد عندهم شخص هذا العالم لم يولد ولم ينكح.

أصحاب الفكرة: وهم أهل العلم بالفلك والنجوم وأحكامها.

أصحاب التناسخ: ومذاهبهم مشهورة وما من ملّة إلّا وللتناسخ فيها

قدم راسخ.

الناسوتيّة: زعموا أنّ رسولهم ملك روحاني نزل من السماء على صورة بشر.

البهوديّة: زعموا أنّ رسولهم ملك روحاني على صورة بشر واسمه باهوديّة.

الكابليّة: زعموا أنّ رسولهم ملك روحاني يقال له شبر.

البهاذوديّة: قالوا إنّ بهاذود كان ملكاً عظيماً أتانا في صورة إنسان عظيم.

المهاكاليكيّة: لهم صنم يدّعى مهاكاك له أربعة أيد كثير شعر الرأس.

البركسهيّكيّة: من سننهم أن يتّخذوا لأنفسهم صنماً يعبدونه.

الدهنكيّة: ومن سننهم أن يأخذوا صنماً على صورة امرأة وفوق رأسه تاج.

الجلهكيّة: يزعمون أنّ الماء ملك ومعه ملائكة وأنّه أصل كلّ شيء.

معطّلة العرب: هم أصناف فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والإعادة.

المنكرون للنبوّات: والشرائع القائلون بأنّ الملائكة بنات الله تعالى.

المنكرون للمعاد: القائلون بأنّ الله تعالىٰ جسم وجسمانيّة وهم من الكهنة.

تاليس الملطي: وهو أوّل من تفلسف بالملطيّة، قال: إنّ للعالم مُبدعاً لا تدرك صفته العقول.

انكساغورس: له رأي في الوحدانيّة مثل رأي تاليس وخالفه في

المبدأ الأوّل.

انكسمانس الملطي: قال: إنّ الباري أزليّ لا أوّل له ولا آخر هو مبدأ الأشياء.

انباذقلس: وهو من الكبار عند الجماعة، وكان في زمن داودﷺ.

فيثاغورس: بن منسارخس من أهل ساميا، وكان في زمن سليمانﷺ.

افلاطون الإلهي: بن أرسطن بن أرسطوقليس من أثينيّة وهو آخر المتقدّمين.

سقراط الزاهد: من أثينيّة وكان قد اقتبس الحكمة من فيثاغورس.

فلوطرخيس: قيل إنّه أوّل من اشتهر بالفلسفة وتفلسف بمصر ثمّ سافر إلى المطليّة.

كسنونانس: كان يقول: إنّ المبدع الأوّل هو آنية أزليّة دائمة ديمومة القدم.

زينون الأكبر: زينون بن ماوس من أهل قنطس، كان يقول في المبدع الأوّل بأشياء غريبة.

ديمقراطيس: كان يقول في المبدع الأوّل: أنّه ليس هو العنصر فقط ولا العقل فقط.

هرقل الحكيم: كان يقول: إنّ أوّل الأوائل النور الحقّ لا يُدرك من جهة عقولنا.

ابيقورس: خالف الأوائل في الأقاويل والآراء أكثرها.

بقراط الحكيم: وكان علمه الطبّ وأقرّ بفضله الأوائل والأواخر.

بطليموس (بَطْلَيمُوس) الحكيم: وهو صاحب المجسطي الذي تكلّم في هيئات الفلك.

اقليدس: وهو أوّل من تكلّم في الرياضيات وأفرده علماً نافعاً في العلوم.

خروسيبس: وزينون، قولهما الخالص: أنّ الباري تعالى الأوّل واحد فقط.

أرسطاليس: واضع المنطق وهو الذي خالف المتقدّمين والأوائل في آرائهم ووافقوه جماعة.

ثامسطيوس: وهو الشارح لكلام أرسطو وكبار أصحابه.

ثاوُفرَسْطيس: كان الرجل من تلامذة أرسطو أو هو على رأيه.

الإسكندر الملك: الرومي ابن فيلسوف الملك وليس بذي القرنين.

ديوطاس: الكلبي كان حكيماً فاضلاً لا يعتني شيئاً ولا يأوي إلى منزل.

فورفوريوس: وهو أيضاً على رأي أرسطو في جميع ما ذهب إليه.

الشيخ اليوناني: وله رموز وأمثال منها إنّ امك رؤم لكنّها فقيرة رعناء.

برقلس صاحب الشبه: كان يقول في قدم العالم وأزليّة الحركات.

الإسكندر الأفروديسي: وافق أرسطو في جميع آرائه وزاد عليه بشيء.

الصابئة: ذهبوا إلى أنّ الروحانيّات إبداعاً (أزلاً) لا من شيء لا مادّة ولا هيولىٰ.

الحنفاء: أجابت الحنفاء: بِمَ عرفتم وجود هذه الروحانيّات وبينهما معارضات السوفسطائيّة: هم الذين لا يقولون لا بالمحسوس ولا بالمعقول.

الطبيعيّة: هم الذين يقولون بالمحسوس ولا يقولون بالمعقول.

الدهريّة: هم الذين يقولون بالمحسوس والمعقول ولا يقولون بالحدود والأحكام.

المسيخيّة: قالوا: إنّ النور كان وحده نوراً محضاً ثمّ انمسخ بعضه فصار ظلمة.

الخردميّة: قالوا: بأصلين ولهم ميل إلى التناسخ والحلول.

الصياميّة: قوم أمسكوا من طيّبات الرزق وتوجّهوا في عباداتهم إلى النيران.

هذا تمام الكلام في المقدّمة السادسة

قد تمّ بحمدالله و المنّة المجلّد الرّابع من تفسير المحيط الأعظم للسيّد الفقيه العارف السيّد حيدر الآملي رضي الله عنه حسب تجزئتنا، ويليه إن شاء الله المجلّد الخامس المشتمل على التفسير سورة الحمد.

على أنّ المقدّمة السابعة مفقودة ،والنسخة الفريدة الّتي بأيدينا من التفسير المحيط الأعظم فاقدة منها.

الفهـرس